اخبرنا جعفر بن محمد بن نصر –في كتابه– وحدثني عنه عثمان، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: سئل الحارث بن أسد وقيل له: رحمك الله، ما علامة الأنس بالله؟ قال: التوحش من الخلق. قيل له: فما علامة التوحش من الخلق؟ قال: الفرار إلى مواطن الخلوات، والتفرد بعذوبة الذكر، فعلى قدر ما يدخل القلب من الأنس بذكر الله يخرج التوحش، كما قال بعض الحكماء في مناجاته: يا من آنستني بذكره، وأوحشتني من خلقه، وكان عند مسرتي ارحم عبرتي. وفي قول الله تعالى لداود عليه السلام: كن بي مستأنساً، ومن سواي مستوحشاً. وقيل لبعض المتعبدين: ما فعل فلان؟ قال: أنس فتوحش. وقيل لرابعة: بم نلت هذه المنزلة؟ قالت: بتركي ما لا يعنيني، وأنسي بمن لم يزل. وقال ذو النون في بعض كلامه: يا أنيس كل منفرد بذكرك، وجليس كل متوحد بحبك. وقال عبد الواحد بن زيد لراهب: يا راهب، لقد تعجلت الوحدة. فقال الراهب: يا فتى، لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليها من نفسك، الوحدة رأس العبادة ما أنستها الفكرة. قال يا راهب: ما أقل ما يجد العبد في الوحدة؟ قال: الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم. قال: يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الأنس بالله؟ قال: إذا صفا الود وخلصت المعاملة. قال: يا عبد الله متى يصفو الود؟ قال: إذا اجتمع الهم فصار في الطاعة. قلت: متى تخلص المعاملة؟ قال: إذا اجتمع الهم فصار هماً واحداً. وقال بعض الحكماء: عجباً للخلائق كيف أرادوا بك بدلاً، وعجباً للقلوب كيف استأنست بسواك عنك، اللهم آنست الآنسين من أوليائك، وخصصتهم بكفاية المتوكلين عليك، تشاهدهم في ضمائرهم، وتطلع عليهم في سرائرهم، وسترى عندك مكشوف، وأنا إليك ملهوف، فإذا أوحشتني العزلة آنسني ذكرك، وإذا كثرت علي الهموم رجعت إلى الاستجارة بك، يا رب العالمين. وقال إبراهيم بن أدهم: جئت من أنس الرحمن وكما قال بعض الحكماء: لو أن معي أنساً لتوحشت. قيل: رحمك الله فما علامة صحة الأنس بالله؟ قال: ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم، واختيار القلب عذوبة الذكر، قيل: رحمك الله فما علامته في ظاهره؟ قال: منفرد في جماعة، ومستجمع في خلوة، وغريب في حضر، وحاضر في سفر، وشاهد في غيبة، وغائب في حضور. قيل: اشرح عن وصف هذا، ما معنى منفرد في جماعة، ومستجمع في خلوة؟ قال: منفرد بالذكر مشغول بالفكر، لما استولى على القلب والهم من الشغل. وطيب عذوبة الذكر وحلاوته، وهو منفرد فيما هو فيه من الجماعة، وهو شاهد معهم ببدنه، كما روى عن علي بن أبي طالب في حديث كهيل بن زياد فقال: هجم بهم العلم عن حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين، فاستلانوا ما استوعده المترفون، وأنسوا بما استوحش منه

الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان قلوبها معلقة بالمحل الأعلى، وبأعلى العلى عند الملك العالي، فهذه صفة المنفرد في جماعة. قيل: فما المستجمع في خلوة? قال: مستجمع له بهمة قد جمع الهموم فصيرها هماً واحداً في قلبه، فاستجمعت له الهموم في مشاهدة الاعتبار وحسن الفكر في نفاذ القدرة، فهو مستجمع لله بعقله وقلبه وهمه ووهمه كله، وكل جوارحه مستجمعة منتصبة لدوام الذكر إلى وجود لحوق البصيرة، وعوض الفطنة، وسعة المعونة، وليس شيء منه متفرقاً ولا وهم معطلاً، وهذه صفة المستجمع في انفراده. قيل: فما معنى غائب في حضور? قال: غائب بوهمه، حاضر بقلبه، فمعنى غائب أي غائب عن أبصار الناظرين، حاضر بقلبه في مراعاة العارفين.

اخبرنا جعفر بن محمد –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: سمعت الحارث بن أسد يقول: المحاسبة والموازنة في أربعة مواطن، فيما الإيمان والكفر، وفيما بين الصدق والكذب، وبين التوحيد والشرك.

قال: وسمعت الحارث يقول: الذي يبعث العبد على التوبة ترك الإصرار، والذي يبعثه على ترك الإصرار ملازمة الخوف.

صفحة : 1802

وقال الحارث: العبودية أن لا ترى لنفسك ملكاً وتعلم أنك لا تملك لنفسك ضراً ولا نفعاً. والتسليم هو الثبوت عند نزول البلاء من غير تغير منه ظاهراً وباطناً. والرجاء هو الطمع في فضل الله ورحمته، وأقهر الناس لنفسه من رضي بالمقدور. وأكمل العاقلين من أقر بالعجز أنه لا يبلغ كنه معرفته. والخلق كلهم معذورون في العقل مأخوذون في الحكم. ولكل شيء جوهر وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر، والعمل بحركات القلوب في مطالعات الغيوب أشرف من العمل بالجوارح.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: قد أتينا على طرف من كلام الحارث بن أسد مجتزياً من فنون تصانيفه وأنواع أقواله وأحواله بما ذكرنا، إذ هو البحر العميق ورواياته عن المحدثين المشهورين في تصانيفه مدونة اقتصرنا من رواياته على ما: حدثنا محمد بن عبد الله بن سعيد، حدثنا أحمد بن القاسم الفرائضي، حدثنا الحارث بن أسد المحاسبي، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا شعبة، عن القاسم، عن عطاء، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يوضع في الميزان أثقل من خلق حسن .

القاسم هو محمد بن أبي بزة.

وحدثناه أبو بكر بن خلاد، حدثنا محمد بن غالب تمتام، حدثنا عفان، حدثنا شعبة، عن القاسم بن أبي بزة به. وحدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار

الصوفي، حدثنا الحارث بن أسد، حدثنا محمد بن كثير الكوفي، عن ليث بن أبي سليم، عن عبد الرحمن بن أسود، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود، قال: شغل النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من أمر المشركين فلم يصل الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فلما فرغ صلاهن الأول فالأول، وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف .

علي الجرجاني

ومنهم المتخلي من الشهوات، والمتحلي بالخلوات، تخلى من الجزع والهلع واستحلى الفزع والضرع. علي الجرجاني. من قدماء المتعبدين.

حدثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري –ببغداد– قال: سمعت أبا أحمد بن محمد بن حمدان النيسابوري، يقول: سمعت إسماعيل ابن عبد الله أبا حامد أحمد بن محمد بن حمدان النيسابوري، يقول: سمعت إسماعيل بن عبد الله الشامي يقول: سمعت سريا السقطي يقول: خرجت من بغداد أريد الرباط إلى عبادان لأصوم بها رجباً وشعبان ورمضان، فلقيت في طريقي علياً الجرجاني وكان من الزهاد الكبار فدنا وقت إفطاري، وكان معي ملح مدقوق وأقراص، فقلت: هلم رحمك الله، فقال: ملحك مدقوق ومعك من ألوان الطعام. لن تفلح ولن تدخل بستان المحبين. فنظرت إلى مزود كان معه فيه سويق الشعير فيسف منها. فقلت: ما دعاك إلى هذا؟ قال: إني حسبت ما بين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة، فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة. فلما دخلنا عبادان قلت: موعظة أحفظها عنك. قال: نعم إن شاء الله، احفظ عني خمس خصال، إنك إن حفظتها لا تبالي ما أضعت بعدها، قلت: نعم. قال: عانق الفقير، وتوسد الصبر، وعاد الشهوات، وخالف الهوى، وافزع إلى الله في جميع أمورك. قلت: فإذا كنت كذلك؟ قال: يهب الله لك خمساً: الزهد، ومع الزهد القنوع ومع القنوع الرضا، ومع الرضا المعرفة، ومع المعرفة الشوق. ثم يهب لك خمساً: السباق، والبدار، والتخفف، وحسن البشارة، وحسن المنقلب إلى الله. أولئك أحباء الله. قلت: فأين ترى لي أن أسكن؟ قال: ارحل نحو لكام. قلت: فهل شيء أعيش به؟ قال: فمقت في وجهي وقال: تفر إلى الله من ذنبك، وتستبطئه في رزقك؟ فلا والله ما أدري دخل البحر أم لا.

وحكى جعفر بن نصير عن السري بزيادة ألفاظ.

صفحة : 1803

اخبرني جعفر بن محمد –في كتابه حاكياً، عن السري السقطي، قال: خرجت من بغداد أريد الرباط إلى عبادان فصحبني علي الجرجاني في الزورق، فلما حضر وقت إفطاري

أخرجت قرصين من شعير وملح مدقوق? وقلت لعلي: هم يا أبا الحسن. قال: فجعل يطيل النظر إلى الرغيفين والملح، ثم إنه التفت إلي فقال: يا سري ملحك مدقوق، قلت: نعم. قال: يا سري ليس تفلح. قلت: ولم? قال: يا سري أما علمت أن خبز الشعير والملح الجريش ينور القلب فجعل يتردد في صدري، فلما قربنا من عبادان وأردنا أن نفترق، قلت: رحمك الله كلمة أحفظها عنك. قال: أو تفعل? قلت: نعم أفعل فقال لي: يا سري احفظ عني خمس خصال، إن أنت حفظتها لا تبالي ما ضيعت بعدهن. قلت: وما هن يرحمك الله? قال: يا سري، عانق الفقر، وتوسد الصبر، وعاد الشهوات، وخالف الهوى، واضرع إلى الله في جميع أمورك، فإذا كنت كذلك وهب الله لك خمساً. قلت: وما هن? قال: الشكر، والرضا، والخوف، والرجاء، والصبر على البلاء. ثم تدفعك هذه إلى خمس: إلى الورع الخفي، وتصفية القلوب، وترك ما حاك في الصدور وترك ما لا يعنيك، وترك الفضول لحفظ الجوارح، ثم تمدك بخمس: بحياة القلوب، وصفاء الاعتبار، والفهم عن الله، والتيقظ من الغفلة، ومساعدة الأوطان في طاعة الله. فعندها يريدك الله بخمسة أردية: اللطف، والحلم، والرأفة، والرحمة للعالم، وهيبة النار إذا اطلعت عليها ذكرت الله بالربوبية. ويلزم قلبك خمساً: السباق، والبدار، والتصبر عن الحرام، وصدق الانقطاع، وصحة الإرادة.

فديم

قال الشيخ: وممن عرف من متقدمي البغداديين بالنسك والتحقيق بالتصوف أبو هاشم فديم.

جلس إليه سفيان الثوري فحمد طريقته وملازمته للصفاء والوفاء لا نحفظ من كلامه شيئاً إلا ما حكاه عنه الثوري أنه قال: ما زلت أرائي وأنا لا أشعر إلى أن جالست أبا هاشم فأخذت منه ترك الرياء.

وبلغني أنه رأى شريك بن عبد الله القاضي خارجاً من دار يحيى البرمكي يطرق بين يديه، فقال: أعوذ بالله من علم يورث هذا، ويفضي بصاحبه إلى ما أرى.

سمعت عبد المنعم بن عمر يقول: سمعت أبا سعيد بن زياد الأعرابي يقول: حدثنا محمد بن المؤمل القرشي، حدثنا أبو هاشم محمد بن سعيد أبو علي، قال: سمعت أبي يقول: بينا أنا أطوف بالكعبة ليلاً إذا أنا بأعرابية تقود أعرابياً مكفوفاً وهو يقول:

أنت في موضع البـعـيد قـريب ... من منيب إلـى رضـاك يثـوب

تسمع الصوت حيث لا يسمع الص ... وت ومن حيث ما دعاك تجـيب

ليس إلا بك النـفـوس تـطـيب ... يا شفاء السقام أنت الـطـبـيب

كل وصل خلاف وصـلـك زور ... كل حب خلاف حـبـك حـوب

من يرد من جنان وجهك مرعـى ... يلقه من لدنك مرعى خـصـيب

أو حوى قلبه المحبة إلا وهو لا شك عندك المحبوب
أنت روح القلوب أنت غناها بك تحيا وتستريح القلوب
بك يدنو البعيد من كل أمر بك ينأى عن الذنوب القريب

شريح بن يونس

قال الشيخ: ومن المشهورين بتحقيق العبادة والعبودية، والانقياد لتعظيم الإلهية والربوبية. المأخوذ عنه الآداب الشريفة، والمقتبس من الكثير من آثار الشريعة، أبو الحارث شريح بن يونس.

نقل عنه الأحوال السنية، وله الآيات البديعة. توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين.

حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، قال: سمعت أحمد بن الضحاك الخشاب يقول –وكان من البكائين–: رأيت فيما يرى النائم شريح بن يونس فقلت: ما فعل بك ربك يا أبا الحارث؟ فقال: غفر لي، ومع ذلك جعل قصري إلى جنب قصر محمد بن بشير بن عطاء الكندي، فقلت: يا أبا الحارث، أنت عندنا أكبر من محمد بن بشير. فقال لا تقل ذاك فإن الله تعالى جعل لمحمد بن بشير حظاً في عمل كل مؤمن ومؤمنة، لأنه كان إذا دعا الله قال: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، والكائنين منهم.

سمعت سليمان بن أحمد يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت شريح بن يونس يقول: رأيت رب العزة في المنام فقال لي: يا شريح سل حاجتك، فقلت: رحماك سر بسر.

صفحة : 1804

سمعت محمد بن إبراهيم يقول: سمعت حامد بن شعيب يقول: سمعت شريح بن يونس يقول: كنت ليلة نائماً فوق المشرعة فسمعت صوت ضفدع فإذا ضفدعة في فم حية فقلت: سألتك بالله إلا خليتها. فخلاها.

ومما أسند: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إبراهيم بن أبان السراج –ببغداد سنة ثلثمائة– حدثنا شريح بن يونس، حدثنا إسماعيل بن خالد، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر: أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: قل هو الله أحد إلى آخرها.

غريب من حديث الشعبي لم يروه إلا إسماعيل، عن أبيه.

حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا شريح بن يونس، حدثنا علي بن ثابت، عن حمزة النصيبي، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من نسي

. أن يسمي على طعامه فليقرأ: قل هو الله أحد إذا فرغ
.لا أعلم أحداً رواه عن أبي الزبير إلا حمزة
حدثنا أبو علي محمد بن الحسن، حدثنا العباس بن أحمد الوشاء، حدثنا شريح بن يونس، حدثنا أبو حفص الأبار عمر بن عبد الرحمن، حدثنا محمد بن جحادة، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: أن رجلاً خرج من المسجد حين أخذ المؤذن في الإقامة فقال: أما هذا فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم .
.لم يروه عن محمد بن جحادة إلا أبو حفص وعنه شريح
حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبدوس بن كامل، حدثنا شريح بن يونس، حدثنا أبو حفص الأبار، عن محمد بن جحادة، عن عطية، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشد الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر .
.لم يروه عن محمد إلا أبو حفص وعنه شريح
حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن هشام بن أبي الدميك، حدثنا شريح بن يونس، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن مجالد، عن الشعبي، عن الحارث، عن علي: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استووا تستو قلوبكم، وتماسوا وتراحموا .
.لم يروه عن مجالد إلا أبو خالد وعنه شريح
حدثنا إبراهيم بن أحمد بن أبي حصين، حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا شريح بن يونس أبو الحارث، حدثنا إبراهيم بن خيثم بن عراك بن مالك، عن أبيه، عن جده، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حبس في تهمة حبساً يسيراً حتى استبرأ .
حدثنا إبراهيم بن محمد بن حمزة، حدثنا حامد بن شعيب، حدثنا شريح بن يونس، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان حدثني عبد الرحمن بن عمر السلمي، وحجر بن حجر، قالا: أتينا العرباض بن سارية فسلمنا وقلنا: أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين. فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى لنا صلاة الغداة وأقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، إن هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم بعدي فيسري اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضو عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة .

حدثنا القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا حامد بن شعيب، حدثنا شريح بن يونس، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا عبد الأعلى بن أبي المساور، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أتى عبد المطلب في المنام فقيل له احفر برة، قال: وما برة؟ قال: مضنون ضن بها عن الناس وأعطيتموها. قال: فلما أصبح جمع قومه فأخبرهم فقالوا: ألا سألته ما هي؟ فلما كان من الليل أتى في منامه فقيل له: احفر قال: وما أحفر؟ قال: احفر زمزم بركة من الله عز وجل ومغنماً، تسقي الحجيج ومعشراً جماً. فلما أصبح جمع قومه فقالوا له: ألا سألت أين موضعها؟ فلما بات من الليل أتى فقيل له: احفر قال: أين؟ قيل موضع زمزم. قال: وأين موضعها؟ قال: مسلك الذر وموقع الغراب بين الفرث والدم. فلما أصبح دعا قومه فأخبرهم فقالوا: هذا موضع نصب خزاعة، ولا يدعونك. وكان ولده جميعاً غيباً إلا الحارث. فقام هو والحارث فحفرا حتى استخرجا غزالاًمن ذهب في أذنيه قرطان، ثم حفرا حتى استخرجا حلية من ذهب وفضة، ثم حفرا حتى استخرجا سيوفاً ملفوفة في عباءة، ثم حفرا حتى استنبطا الماء، فأتاه قومه، فقالوا: يا عبد المطلب خذ واغنم، فقال: ائتوني بقداح ثلاثة أسود وأبيض وأحمر، فجعل الأسود لقومه والأحمر للبيت والأبيض له، فضرب بها فخرج الأسود على الغزال فصار لقومه، ثم ضرب فخرج الأحمر على الحلية للبيت وصار السيوف له.

السري السقطي

ومنهم العلم المنشور، والحكم المذكور، شديد الهدى، حميد السعي، ذو القلب التقي، والورع الخفي، عن نفسه راحل، ولحكم ربه نازل، أبو الحسن السري بن المغلس السقطي، خال أبي القاسم الجنيد وأستاذه.

اخبرني جعفر بن محمد بن نصير –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: سمعت السري بن المغلس يقول: لو أحسست بإنسان يريد أن يدخل علي، فقلت بلحيتي كذا –وأمر يده على لحيته. كأنه يريد تسويتها من أجل دخول الداخل– لخفت أن يعذبني الله على ذلك بالنار.

قال: وسمعت السري يقول: إني لأنظر إلى أنفي كل ويم مراراً مخافة أن يكون وجهي قد اسود.

قال: وسمعت السري يقول: ما أحب أن أموت حيث أعرف، فقيل له: ولم ذلك يا أبا الحسن؟ قال: أخاف أن لا يقبلني قبري فأفتضح.

قال: وسمعت السري يقول: إن نفسي تنازعني أن أغمس جزرة في دبس منذ ثلاثين سنة فما يمكنني.

قال: وسمعت السري يقول: إني أحب أن آكل أكلة ليس لله على فيها تبعة، ولا لمخلوق

.فيها منة. فما أجد إلى ذلك سبيلا

قال: وسمعت السري يقول: خرجنا يوماً من مكة نريد بعض المواضع، فلما أصحرنا رأيت في مجرى السيل طاقة بقل فمددت يدي فأخذتها، وقلت: الحمد لله، ورجوت أن تكون حلالاً ليس لمخلوق فيها منة، فقال لي بعض من رآني وقد أخذتها: يا أبا الحسن التفت، فإذا مثل تلك الطاقة، فقال لي: خذ هذا من نائبك. فقلت له: الطاقة الأولى ليس لأحد فيها منة وهذا بدلالتك تريد لك علي فيه منة. إنما أريد ما ليس لمخلوق فيه منة ولا لله فيه تبعة.

قال: وسمعت السري يقول: كان أهل الورع في وقت من الأوقات أربعة: حذيفة المرعشي، وإبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط، وسليمان الخواص، فنظروا في الورع فلما ضاقت عليهم الأمور فزعوا إلى التقلل.

قال: وسمعت السري يقول: كنت بطرسوس وكان معي في الدار فتيان متعبدون، وكان في الدار تنور يخبزون فيه، فانكسر التنور فعملت لهم بدله من مالي، فتورعوا أن يختبزوا فيه.

قال: وسمعت السري وذكر أن أبا يوسف الغسولي كان يلزم الثغر ويغزو، وكان إذا غزا ودخلوا بلاد الروم أكل أصحابه من طعام الروم وفواكههم، فيقول أبو يوسف لا آكل، فيقال له: تشك أنه حلال، فيقول لا أشك، هو حلال. فيقال له: فكل من الحلال. فيقول: إنما الزهد في الحلال.

قال: وسمعت السري يذم من يأكل بدينه ويقول: من النذالة أن يأكل العبد بدينه.

حدثنا عمر بن أحمد بن شاهين، حدثنا علي بن الحسين بن حرب قال: بعث بي أبي إلى السري بشيء من حب السعال –لسعال كان به– فقال لي: كم ثمنه؟ قلت له: لم يخبرني بشيء. فقال اقرأ عليه السلام وقل له: نحن نعلم الناس منذ خمسين سنة أن لا يأكلوا بأديانهم، ترانا اليوم نأكل بأديانا.

صفحة : 1806

سمعت محمد بن إبراهيم بن محمد يقول: سمعت علي بن عبد الحميد الغضائري الحلبي يقول: سمعت سريا السقطي ودققت عليه الباب فقام إلى عضادتي الباب فسمعته يقول: اللهم اشغل من شغلني عنك بك، فكان من بركة دعائه أني حججت أربعين حجة من حلب على رجلي ماشياً ذاهباً وجائياً.

سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني يقول: حدثنا أبو حامد بن محمد بن حمدان، حدثنا إسماعيل بن عبد الله الشامي، قال: قال سري السقطي: خمس من كن فيه فهو شجاع بطل: استقامة على أمر الله ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو،

وتيقظ ليس معه غفلة، ومراقبة الله في السر والجهر ليس معه رياء، ومراقبة الموت بالتأهب.

سمعت أبا عبد الله يقول، حدثنا أبو حامد، حدثنا إسماعيل، قال: قال السري السقطي: للمريد عشر مقامات، التحبب إلى الله بالنافلة، والتزين عنده بنصيحة الأمة، والأنس بكلام الله، والصبر على أحكامه، والأثرة لأمره، والحياء من نظره، وبذل المجهود في محبوبه، والرضاء بالقلة، والقناعة بالخمول.

حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا إسماعيل بن عبد الله الشامي، قال: قال سري السقطي: للخائف عشر مقامات: الحزن اللازم، والهم الغالب، والخشية المقلقة، وكثرة البكاء، والتضرع في الليل والنهار، والهرب من مواطن الراحة، وكثرة الوله، ووجل القلب، وتنغص العيش، ومراقبة الكمد.

سمعت أبا الحسين محمد بن علي بن حبيش يقول: سمعت القاسم بن عبد الله البزاز يقول: سمعت سريا السقطي يقول: لو أن رجلاً دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله من الأشجار عليها جميع ما خلق الله من الأطيار، فخاطبه كل طير منها بلغته، وقال: السلام عليك يا ولي الله، فسكنت نفسه إلى ذلك كان في يديها أسيراً.

حدثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى، حدثنا أبو العباس السراج، قال: سمعت إبراهيم بن السري السقطي يقول: سمعت أبي يقول: عجبت لمن غدا وراح في طلب الأرباح وهو مثل نفسه لا يربح أبداً.

حدثنا إبراهيم بن محمد، حدثنا أبو العباس السراج، قال: سمعت ابن السري يقول: سمعت أبي يقول: لو أشفقت هذه النفوس على أبدانها شفقتها على أولادها للاقت السرور في معادها.

حدثنا أحمد بن محمد بن مقسم يقول: سمعت أبا القاسم المطرز يقول: سمعت الجنيد بن محمد يقول: سمعت السري بن المغلس يقول: وددت أن حزن الخلق كلهم ألقى علي.

سمعت أبي يقول: سمعت أحمد يقول: سمعت أبا القاسم يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: إن في النفس لشغلاً عن الناس.

حدثنا أحمد بن محمد بن الحسن، حدثنا عباس بن يوسف الشكلي، حدثنا محمد بن إسحاق الأسلمي، قال: سمعت السري يقول: المغبون من فنيت أيامه بالتسويف، والمغبون من تمنى الصالحون مقامه.

حدثنا عمر بن أحمد بن عثمان، حدثنا علي بن الحسين بن حرب القاضي –إملاء– قال: سمعت السري يقول: سئل حكيم من الحكماء: متى يكون العالم مسيئاً؟ قال: إذا كثر بقباقة وانتشرت كتبه وغضب أن يرد عليه شيء من قوله. هذا أو معناه.

اخبرنا جعفر –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: بعثني السري يوماً في حاجة فأبطأت عليه، فلما جئت قال لي: إذا بعث بك رجل يتكلم في موارد القلوب في حاجة فلا تبطئ عليه فإنك تشغل قلبه.

قال: وسمعت السري يقول: احذر أن تكون ثناء منشوراً وعيباً مستوراً.

وسمعته يقول: سمعت أبا جعفر السماك، وكان شيخاً شديد العزلة فرأى عندي جماعة قد اجتمعوا حولي فوقف ولم يقعد ثم نظر إلي فقال لي: أبا الحسن صرت مناخاً للبطالين، فرجع ولم يقعد وكره إلى اجتماعهم حولي.

قال: وسمعت السري يقول: إني أعرف طريقاً يؤدي إلى الجنة قصداً. فقيل له: ما هو يا أبا الحسن؟ فقال: أن تشتغل بالعبادة وتقبل عليها وحدها حتى لا يكون فيك فضل.

قال: وسمعت السري يقول: اعرف طريقاً مختصراً يؤديكم إلى الجنة، فقلت: ما هو؟ قال: لا تأخذ من أحد شيئاً ولا تسل أحداً شيئاً، ولا يكن معك ما تعطي منه أحداً شيئاً.

قال: وسمعت السري يقول: رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل، قال: وكان إذا أراد أن يفيدني سألني، فقال لي يوماً: ما الشكر؟ فقلت: أن لا يعصى في نعمة. فقال: ما أحسن ما أجبت ما أحسن ما تقول. قال الجنيد: وهذا هو فرض الشكر أن لا يعصى في نعمة.

صفحة : 1807

اخبرنا جعفر بن محمد –في كتابه– وحدثني عنه نصر بن أبي نصر، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: قال رجل لسري السقطي: كيف أنت؟ فأنشأ يقول:

من لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكـبـاد حدثنا محمد بن الحسين بن موسى، قال: سمعت محمد بن الحسن البغدادي يقول، حدثنا أحمد بن محمد بن صالح، حدثنا محمد بن عبدوس، حدثنا عبدوس بن القاسم، قال: سمعت السري يقول: كل الدنيا فضول إلا خمس خصال: خبز يشبعه. وماء يرويه. وثوب يستره. وبيت يكنه. وعلم يستعمله. وقال: التوكل الانخلاع عن الحول والقوة.

اخبرنا جعفر بن محمد –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: أربع خصال ترفع العبد: العلم، والأدب، والعفة، والأمانة.

اخبرنا جعفر بن محمد في –كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: اللهم ما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب.

حدثنا عثمان بن محمد العثماني، قال: سمعت أبا العباس القرشي يقول: حدثني بكير بن مقاتل البغدادي، قال: حدثني العباس بن يوسف الشكلي، حدثني أحمد بن محمد الصوفي، قال: سمعت السري بن المغلس يقول: انقطع من انقطع عن الله بخصلتين، واتصل من

اتصل بالله بأربع خصال: فأما من انقطع عن الله بخصلتين فيتخطى إلى نافلة بتضييع فرض، والثاني عمل بظاهر الجوارح لم يواطئ عليه صدق القلوب. وأما الذي اتصل به المتصلون فلزوم الباب، والتشمير في الخدمة والصبر على المكاره، وصيانات الكرامات.

حدثنا محمد بن أحمد بن يعقوب البغدادي –في كتابه ولقيته– وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني، حدثني عبد الله بن ميمون، قال: سمعت أبا الحسن السري بن المغلس يقول: معنى الصبر أن تكون مثل الأرض تحمل الجبال وبنى آدم، وكل ما عليها، لا تأبى ذلك ولا تسميه بلاء، بل تسميه نعمة وموهبة من سيده، لا يراد فيها أداء حكم بها عليه.

سمعت محمد بن علي بن حبيش يقول: سمعت عبد الله بن شاكر يقول: قال سري السقطي: صليت ليلة وردي ومددت رجلي في المحراب، فنوديت: يا سري كذا تجالس الملوك؟ قال: فضممت رجلي ثم قلت: وعزتك لا مددت رجلي أبدا.

حدثنا عمر بن أحمد بن عثمان، حدثنا جعفر، حدثنا أحمد بن خلف قال: دخلت يوماً على السري فرأيت في غرفته كوزاً جديداً مكسوراً. فقال: أردت ماء مبرداً في كوز جديد فوضعته على هذا الرواق ليبرد فرأيت في منامي جارية مزينة فقالت: يا سري من يخطب مثلي يبرد ماء؟ ثم رفسته برجلها، فاستيقظت من نومي فإذا هو مطروح مكسور.

حدثنا أبو نصر ظفر بن أحمد الصوفي، حدثنا علي بن أحمد الثعلبي، حدثنا أحمد بن فارس الفرغاني، قال: سمعت علي بن عبد الحميد الحلبي يقول: سمعت سريا السقطي يقول: من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط.

سمعت أبا نصر النيسابوري الصوفي يقول: سمعت علي بن أحمد الثعلبي يقول: سمعت أحمد بن فارس يقول: سمعت علي بن عبد الحميد يقول: سمعت السري يقول: ينبغي للعبد أن يكون أخوف ما يكون من الله، آمن ما يكون من ربه.

حدثنا أحمد بن محمد بن الحسن العطار، حدثني أبو الحسين بن أبي العباس الزيات، حدثني جدي محمد بن المفضل، قال: سمعت سريا السقطي يقول لا تركن إلى الدنيا فينقطع من الله حبلك، ولا تمش في الأرض مرحاً فإنها عن قليل قبرك.

حدثنا أبو الحسن بن مقسم، قال: سمعت أبا القاسم المطرز، يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: قال بعض الأنبياء لقومه: ألا تستحيون من كثرة ما تستحيون. وبه سمعت السري يقول: أصفى ما يكون ذكري إذا كنت محجوباً.

اخبرنا جعفر بن محمد –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن الحسن، قال: سمعت الجنيد، يقول: سمعت السري، يقول: قلوب المقربين معلقة بالسوابق، وقلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، هؤلاء يقولون بماذا يختم لنا، وأولئك يقولون ماذا سبق من الله لنا.

وبإسناده قال: سمعت السري يقول: رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل.

حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا سعيد بن عثمان، قال: سمعت السري يقول: قال عبد الله بن مطرف: تخليص العمل حتى يخلص أشد من العمل، والاتقاء على العمل بعد ما يخلص أشد من العمل.
حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا سعيد بن عثمان، قال: سمعت السري يقول: لتصفية العمل من الآفات أشد من العمل.

صفحة : 1808

حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا سعيد بن عثمان الخياط، قال: سمعت السري يقول: من اشتغل بمناجاة الله أورثته حلاوة ذكر الله تعالى مرارة ما يلقى إليه الشيطان.
حدثنا أبو الحسن بن مقسم حدثني أبو الحسن بن العباس، حدثنا جدي محمد بن الفضل، قال: قال السري السقطي: تبقى الإخوان ولا تأمنهم على سرك، احذر أخدان السوء واتهم صديقك كما تتهم عدوك.
سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت أبا بكر النساج يقول: سمعت السري يقول: لو علمت أن جلوسي في البيت أفضل من خروجي إلى المجلس ما خرجت، ولو علمت أن جلوسي معكم أفضل من جلوسي في البيت ما جلست، ولكني إن دخلت اقتضائي العلم لكم، وإن خرجت ناقدتني الحقيقة، فأنا عند مناقدتي مستحيي، وأنا اقتضاء العلم محجوج.
سمعت ابن مقسم يقول: سمعت أبا بكر النساج يقول: سمعت السري يقول: من استعمل التسويف حسرته يوم القيامة.
وسمعت ابن مقسم يقول: سمعت أبا القاسم المطرز يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: قال ابن المبارك للفضيل بن عياض: يا أبا علي خزن الناس علينا العلم وخزنت علينا الحكمة.
حدثنا جعفر بن محمد –في كتابه– وحدثني عنه ابن مقسم، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: سمعت السري يقول: اعتللت بطرسوس علة الزرب، فدخل علي ثقلاء القراء يعودونني، فجلسوا فأطالوا جلوسهم، فأذاني. ثم قالوا: إن رأيت أن تدعو الله، فمددت يدي وقلت: اللهم علمنا أدب العبادة.
حدثنا أبو بكر أحمد بن عقيل الوراق النيسابوري، قال: سمعت أحمد بن إبراهيم البلاذري يقول: سمعت العمري يقول: سمعت أبا بكر العطشي يقول قلت لسري السقطي: ماذا أراد أهل الجوع بالجوع؟ فقال: ماذا أراد أهل الشبع بالشبع؟ إن الجوع أورثهم الحكم، وإن الشبع أورثهم التخم.
حدثنا جعفر بن محمد –في كتابه– وحدثني عنه عمر بن أحمد بن عثمان، قال أحمد بن

خلف: دخلت يوماً على السري، فقال لي: ألا أعجبك من عصفور يجيء على هذا الرواق فأكون قد أعددت له لقيمة فأفتها في كفي فيسقط على أطراف أناملي فيأكل، فلما كان في وقت من الأوقات سقط على الرواق ففتت الخبز في يدي فلم يسقط على يدي كما كان، ففكرت في سر العلة في وحشته مني، فوجدتني قد أكلت ملحاً طيباً، فقلت في سري: أنا تائب من الملح، فسقط على يدي فأكل وانصرف.

سمعت أبا حفص عمر بن أحمد بن شاهين الواعظ يقول: قال عبد الله بن عبيد الله، سمعت السري يقول: هذا الذي أنا فيه من بركات معروف الكرخي، انصرفت من صلاة العيد فرأيت مع معروف صبياً شعثاً، فقلت: من هذا؟ قال: رأيت الصبيان يلعبون وهذا واقف منكسر فسألته، لم لا تلعب؟ فقال: أنا يتيم. فقلت: ما ترى أنك تعمل به؟ فقال: لعلي أخلو فأجمع له نوى يشتري به جوزاً فيفرح به. فقلت له: أعطينيه أغير من حاله. فقال لي: أو تفعل؟ فقلت: نعم. فقال لي: خذه أغنى الله قلبك، فساوت الدنيا عندي أقل من كذا.

حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني، حدثنا أحمد بن محمد بن حمدان النيسابوري، حدثنا إسماعيل بن عبد الله الشامي، قال: قال سري السقطي: ثلاث من أخلاق الأبرار: القيام بالفرائض، واجتناب المحارم، وترك الغفلة. وثلاث من أخلاق الأبرار يبلغن بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار، وخفض الجناح، وكثرة الصدقات. وثلاث من أبواب سخط الله: اللعب، والمزاح، والغيبة، والعاشر من هذه الثلاث عمود الدين وذروته وسنامه حسن الظن بالله.

اخبرني محمد بن عبد الله الرازي –في كتابه– وحدثني عنه عبد الواحد بن بكر، قال: سمعت أبا عمر الأنماطي يقول: سمعت أحمد بن عمر الخلقاني يقول: خرج معي سري السقطي يوم العيد من المسجد فلقي رجلاً جليلاً فسلم عليه سلاماً ناقصاً، فقلت له: إن هذا فلان. قال: قد عرفته. قلت: فلم نقصته في السلام؟ قال: لأنه يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا التقى المسلمان قسمت بينهما مائة رحمة تسعون لأبشهما فأردت أن يكون معه الأكثر.

اخبرنا جعفر بن محمد –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت الجنيد يقول: ما أرى لي على أحد فضلاً قيل: ولا على المخنثين؟ قال: ولا على المخنثين. قال: وسمعت السري يقول: إذا فاتني جزء من وردي لا يمكنني أن أقضيه أبداً.

صفحة : 1809

حدثني محمد بن الحسين بن موسى، قال: سمعت الفضل بن حمدان يقول: سمعت علي

بن عبد الحميد الغضائري يقول: سمعت السري يقول: من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم، ومن هانت عليه المصائب أحرز ثوابها.

قال: وسمعته يقول: اجعل فقرك إلى الله تستغن به عمن سواه.

قال: وسمعته يقول: الأدب ترجمان العقل، ولسانك ترجمان قلبك، ووجهك مرآة قلبك، يتبين على الوجه ما تضمر القلوب.

وقال: القلوب ثلاثة: قلب مثل الجبل لا يزيله شيء، وقلب مثل النخلة أصلها ثابت والريح تميلها، وقلب كالريشة يميل مع الريح يميناً وشمالاً وقال: أقوى القوة غلبتك نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه كان من أدب غيره أعجز، ومن أطاع من فوقه أطاعه من دونه. وقال: لا تصرم أخاك على ارتياب، ولا تدعه دون استيعاب، ومن علامة المعرفة بالله القيام بحقوق الله وإيثاره على النفس فيما أمكنت كثرة الخطأ. وخير الرزق ما سلم من خمسة: من الآثام في الاكتساب، والمذلة في الخضوع في السؤال، والغش في الصناعة، وإثبات آلة المعاصي، ومعاملة الظلمة. وأحسن الأشياء خمسة: البكاء على الذنوب، واصلاح العيوب، وطاعة علام الغيوب وجلاء الرين عن القلوب، وألا تكون لها لما تهوى ركوب، وقال: خمسة أشياء لا يسكن في القلب معها غيرها: الخوف من الله وحده، والرجاء من الله وحده، والحب لله وحده، والحياء من الله وحده، والأنس بالله وحده.

اخبرنا جعفر بن محمد –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: إذا ابتدأ الإنسان ثم كتب الحديث فتر، وإذا ابتدأ بكتبه الحديث ثم تنسك نفذ. وقال السري: لن يحمد رجل حتى يؤثر دينه على شهوته. ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه. قال: وسمعت الجنيد بن محمد يقول: كنت أعود السري في كل ثلاثة أيام عيادة السنة، فدخلت عليه وهو يجود بنفسه، فجلست عند رأسه فبكيت وسقط من دموعي على خده، ففتح عينيه ونظر إلى فقلت له: أوصني. فقال لا تصحب الأشرار، ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار.

اخبرنا جعفر –في كتابه– وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: سمعت السري يقول: من عرف السبب انقطع عن الطلب.

اخبرنا جعفر –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم قال: حدثني الجنيد، قال: سمعت السري يقول –وقد ذكر له أهل الحقائق من العباد– فقال: أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى.

اخبرنا جعفر –في كتابه– وحدثني عنه محمد حدثني الجنيد، قال: سمعت السري، يقول: خفيت على علة ثلاثين سنة، وذلك أنا كنا جماعة نبكر إلى الجمعة ولنا أماكن قد عرفت بنا لا نكاد أن نخلو عنها، فمات رجل من جيراننا يوم جمعة فأحببت أن أشيع جنازته، فشيعتها

وأضحيت عن وقتي، ثم جئت أريد الجمعة، فلما أن قربت من المسجد قالت لي نفسي: الآن يرونك وقد أضحيت وتخلفت عن وقتك. فشق ذلك علي، فقلت لنفسي: أراك مرائية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري. فتركت ذلك المكان الذي كنت آتيه، فجعلت أصلي في أماكن مختلفة لئلا يعرف مكاني هذا أو نحوه.

قال: وسمعت السري وكان يعجب بهذا ويقول:

ما في النهار ولا في الليل لي فرح فما أبالي أطال الليل أم قـصـرا

سمعت أبي يقول: سمعت أبا عبد الله المقري –بالكوفة– يقول: قال السري بن المغلس: قال رجل لديراني: ما بالكم تعجبكم الخضرة؟ فقال: إن القلوب إذا غاصت في بحار الفكرة غشيت الأبصار، فإذا نظرت إلى الخضرة عاد إليها نسيم الحياة.

حدثنا أحمد بن محمد بن مقسم، قال: سمعت أبا بكر بن الباقلاني يقول: سمعت أبي يقول: سمعت السري يقول لا يقوى على ترك الشهوات من ترك الشبهات.

اخبرنا جعفر بن محمد –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: سمعت السري يقول: إني إذا نزلت أريد صلاة الجماعة أذكر مجيء الناس إلي فأقول: اللهب لهب عبادة يجدون لذتها تشغلهم بها عني.

قال: وسمعت السري وقد ذكر الناس قال لا تعمل لهم شيئاً ولا تترك لهم شيئاً، ولا تكشف لهم عن شيء. يريد بهذا القول أن تكون أعمالك كلها لله عز وجل.

صفحة : 1810

قال: وسمعته يقول: كل من ذكرني بسوء فهو في حل إلا رجل تعمدني بشيء هو يعلم مني خلافه. قال: وحدثني الجنيد، قال: سمعت الحسن البزاز يقول: كان أحمد بن حنبل هاهنا، وكان بشر بن الحارث هاهنا، وكنا نرجو أن يحفظنا الله بهما، ثم إنهما ماتا وبقي السري، وإني أرجو أن يحفظنا الله بالسري.

قال: وسمعت أبا علي الحسن البزاز يقول: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن السري بعد قدومه من الثغر، فقال أبو عبد الله: أليس الشيخ الذي يعرف بطيب الغذاء؟ قلت: بلى. قال: هو على سيره عندنا قبل أن يخرج. وقد كان السري يعرف بطيب الغذاء وتصفية القوت، وشدة الورع، حتى انتشر ذلك عنه وبلغ ذلك أبا عبد الله أحمد بن حنبل فقال الشيخ الذي يعرف بطيب الغذاء؟ قال: وحدثني الجنيد قال: كان السري يقول لنا ونحن حوله: أنا لكم عبرة، يا معشر الشباب اعملوا فإنما العمل في الشبوبية. وكان إذا جن الليل دافع أوله ثم دافع ثم دافع، فإذا غلبه الأمر أخذ في النحيب والبكاء.

وقال: وسمعت السري يقول: من الناس ناس لو مات نصف أحدهم ما انزجر النصف

.الآخر، ولا أحسبني إلا منهم

.وسمعت السري وذكر له شيء من الحديث فقال: ليس من زاد القبر

أسند وسمع من الأعلام والمشاهير، وامتنع من التحديث، ولم يخرج له كثير حديث. روى .عن هشيم، وسفيان بن عيينة، ومروان بن معاوية، ومحمد بن فضيل بن غزوان في آخرين

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المفيد، حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبيد –تلميذ بشر بن الحارث حدثنا السري بن مغلس السقطي، حدثنا هشيم، حدثنا عبد الله بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يمينك على ما يصدقك به صاحبك .

حدثنا محمد بن علي بن سهل، حدثنا محمد بن الفضل بن جابر، حدثنا السري بن مغلس وداود بن عمرو قالا: حدثنا مروان بن معاوية، عن عبد الواحد بن أيمن المكي، عن عبيد بن دفيعة، عن أبيه، قال: لما كان يوم أحد وانكفأ الكفار والمشركون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استووا حتى أثني على ربي فقال: اللهم لك الحمد كله، لا قابض لما .بسطت، ولا باسط لما قبضت . وذكر الدعاء

وحدثت عن الحسن بن علي بن شهريار: قال: حدثني السري بن المغلس، حدثنا سفيان بن عيينة، عن مجالد، عن الشعبي: أن فاطمة بنت قيس قدمت على أخيها الضحاك بن .قيس ، فذكر حديث الجساسة

وحدثت عن الحسن بن علي، حدثنا السري بن مغلس، حدثنا ابن فضيل، عن مختار بن فلفل، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال :لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولون: هذا الله خلق الخلق فمن خلقه . .

وحدثت عن الحسن بن علي، حدثنا السري بن مغلس، حدثنا عبد الله بن ميمون، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قابض .على شيئين فقال: هذا كتاب من الله . وذكر الحديث

قال الشيخ: إيراد ذكر من أخلصهم الله تعالى بخالص ذكره، وأمدهم بمواد بره، فأطلعهم على مكنون سره، يكثر ويطول، لأن للحق تبارك وتعالى في كل قرن وعصر سباقاً مشمرين للسباق لما أسمعهم من لذيذ خطابه إذ يقول تعالى: فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا . المائدة 48 . وقد تقدم في استيعاب أسامي بعضهم: أبو سعد أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابي في كتابه المترجم بطبقات النساك فكفى من بعده ممن .يعتني بذكرهم وتسميتهم

وسئلت إيراد تسمية بعضهم بأساميهم مجرداً من ذكر أحوالهم وأقوالهم، مقتصراً عليه فاستعنت بالله سبحانه وتعالى. ذاكراً أسامي بعضهم ليجمع كتابي ذكرهم وهو خير المعين

وبه الحول والقوة:

إبراهيم بن شماس

فممن لم يذكر إبراهيم بن شماس السمرقندي سكن بغداد، بالتعبد الدائم مشهور، وفي المحبة هائم مذكور، أسند الحديث.

حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن علي البربهاري، حدثنا إبراهيم بن شماس، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن سليمان بن عمار، عن مسلم بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: أرأيتم ما أعطى سليمان من ملكه فإن ذلك لم يزده إلا تخشعاً، وما كان يرفع طرفه إلى السماء تخشعاً من ربه .

محمد بن عمرو المغربي

ومنهم محمد بن عمرو المغربي، كان في التعبد بمشاهدة معبوده طاعماً وعن مشاركة المتنعمين غائباً.

صفحة : 1811

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا إسحاق بن أحمد الفارسي، قال: سمعت أبا زرعة يقول: كان يأتي على محمد بن عمرو المغربي ثمانية عشر يوماً لا يذوق فيها ذوقاً، ولا طعاماً ولا شراباً، وما رأيت بمصر أصلح منه.

حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا إبراهيم بن أبي أيوب، حدثنا محمد بن عمرو المغربي، وكان يأكل في شهر رمضان أكلتين من غير تكلف، يأكل في كل خمسة عشر يوماً.

أسند الحديث الكثير: حدثنا محمد بن علي، حدثنا محمدبن حسن بن قتيبة، حدثنا محمد بن عمرو المغربي، حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: حدثتني مولاة أبي أمامة، قالت: كان أبو أمامة يحب الصدقة ويجمع لها، وما يرد سائلاً ولو ببصلة أو بتمرة أو شيء مما يؤكل. فأتاه سائل ذات يوم –وقد افتقر من ذلك كله، وما عنده إلا ثلاثة دنانير– فسأله فأعطاه ديناراً ثم أتاه سائل فأعطاه ديناراً، ثم أتاه سائل فأعطاه ديناراً، قالت: فغضبت، وقلت: لم تترك لنا شيئاً. قالت: فوضع رأسه للقائلة، قالت: فلما نودي للظهر أيقظته، فتوضأ ثم راح إلى مسجده، قالت: فرفقت عليه –وكان صائماً– فتقرضت وجعلت له عشاء وأسرجت له سراجاً، وجئت إلى فراشه لأمهد له، فإذا ثلثمائة دينار، قالت: قلت: ما صنع الذي صنع إلا وقد وثق بما خلف. فأقبل بعد العشاء، قالت: فلما رأى المائدة ورأى السراج تبسم، وقال: هذا خير من عنده، قالت: فقمت على رأسه حتى

تعشى، فقلت: يرحمك الله خلفت هذه النفقة سبيل مضيعة ولم تخبرني فأرفعها، قال: وأي نفقة? ما خلفت شيئاً، قالت: فرفعت الفراش فلما أن رآه فرح واشتد تعجبه، قالت: فقمت فقطعت زناري وأسلمت، قال ابن جابر: فأدركتها في مسجد حمص وهي تعلم النساء القرآن والسنن والفرائض وتفقههن في الدين.

حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن الحسن، حدثنا ابن عمرو المغربي، حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا محمد بن مهاجر، عن ابن حلبس، حدثنا أبو إدريس عائذ الله، قال: قال موسى عليه السلام: رب من في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك? قال: الذين أذكرهم ويذكرونني، ويتحابون في جلالي، فأولئك في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي، قال: يا رب من أصفياؤك من عبادك? قال: كل تقي القلب نقي الكفين، لا يأتي ذا قرابة، يمشي هوناً، ويقول صواباً، تزول الجبال ولا يزول. قال: يا رب من يسكن حظيرة القدس عندك? قال: الذين لا تنظر أعينهم إلى الزنا ولا يضعون في أموالهم الربا، ولا يأخذون في حكمهم الرشا. في قلوبهم الحق، وعلى ألسنتهم الصدق، أولئك يسكنون قدسي.

حدثنا محمد بن علي، حدثنا أبو العباس، حدثنا قتيبة، حدثنا محمد ابن عمرو المغربي، حدثنا عطاف بن خالد، عن محمد بن أبي بكر بن مطرف بن عبد الرحمن بن عوف، قال: قالت عائشة: بات رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جانبي ثم استيقظ فاستوحشت له، فسمعت حسه يصلي، فتوضأت ثم جئت فصليت وراءه، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء من الليل، فجاء نور حتى أضاء البيت كله فمكث ما شاء الله، ثم ذهب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فمكث ما شاء الله، ثم جاء نور هو أشد من ذلك كله ضوءاً حتى لو كان الخردل في بيتي فشئت أن ألتقطه للقطته، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: فقلت: يا رسول الله ما هذا النور الذي رأيت? قال: وقد رأيتيه يا عائشة? قالت: قلت: نعم يا رسول الله. قال: إني سألت ربي في أمتي فأعطاني الثلث منهم، فحمدته وشكرته ثم سألته البقية فأعطاني الثلث الثاني، فحمدته وشكرته ثم سألته الثلث الثالث فأعطانيه فحمدته وشكرته.

بشير الطبري

ومنهم بشير الطبري، سكن الشام، كان محفوظاً فيما امتحن به، مستسلماً فيما ابتلي به.

حدثنا محمد بن أحمد بن عمر، قال: حدثني أبي، حدثنا أبو بكر ابن سفيان، حدثنا زياد بن أيوب، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، قال: حدثني أبو عمرو الكندي، قال: أغارت الروم على جواميس لبشير الطبري نحواً من أربعمائة جاموس، فركبت معه أنا وابن له، فلقينا عبيده الذين كانت معهم الجواميس، معهم عصيهم، فقالوا: يا مولانا ذهبت الجواميس. فقال: وأنتم أيضاً فاذهبوا معهم فأنتم أحرار لوجه الله. فقال له ابنه: يا أبت أفقرتنا. قال: اسكت

.يا بني، إن ربي اختبرني فأحببت أن أزيده

خزيمة العابد

صفحة : 1812

ومنهم خزيمة أبو محمد العابد، بصري. كان الغالب عليه من الأحوال ترك اختياره، ولزوم عجزه وافتقاره.

حدثنا أبي، حدثنا أبو الحسن بن أبان، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد، قال: حدثني الحسين بن يحيى بن كثير العنبري، عن خزيمة بن محمد العابد قال: مر نبي من الأنبياء برجل قد نبذه أهله من البلاء، فقال: يا رب هذا عبدك لو نقلته من حاله. فأوحى الله تعالى إليه: أن سله أيحب أن أنقله؟ قال: يا هذا ما تحب أن ينقلك من حالك هذه إلى غيرها؟ فقال الرجل: أتخير على الله؟ ذلك إليه.

قادم الديلمي

ومنهم قادم الديلمي، صحب الفضيل بن عياض وأقرانه، سلك مسلكه في الخضوع والخشوع.

حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا أبو بكر بن سفيان حدثني محمد بن الحسين حدثني قادم الديلمي العابد، قال: قلت للفضيل بن عياض: من الراضي عن الله؟ قال: الذي لا يحب أن يكون على غير منزلته التي جعل فيها.

حدثنا أبو بكر الآجري، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا إبراهيم ابن الجنيد، حدثني أحمد بن همام، حدثنا محمد بن الحسين، حدثني قادم الديلمي قال: حدثني عابد قدم علينا بخارى يكنى أبا الحسن، قال: قال لي راهب يوماً: بحق ما انقطعت أوصال العاملين المريدين لله على قدر معرفتهم بنكاله، وبحق ما خف عليهم الدؤوب والكلال على ما أملوا من الدخول في مهيمنته، والرجاء لبلوغ رضوانه. قال قلت: عظني. قال: المواعظ فينا وفيكم مجتمعة وإن اتعظنا. قال: قلت: وكيف ذاك؟ قال: ضعف الأبدان بعد القوة، ووهن الأركان بعد الشدة. قال: قلت: وما هذا مما سألتك؟ قال: فبكى ثم قال: انتقال الحالات لممر الساعات، فعند ذلك فناء الآجال ومنقطع الأعمال.

أحمد بن الغمر

.ومنهم أحمد بن الغمر، المحفوظ من اللهو والزمر، والمؤيد بالثبات والصبر

حدثنا أبو بكر الآجري، حدثنا عبد الله بن محمد العطشي، حدثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثنا

عون بن إبراهيم بن الصلت قال: حدثني أحمد بن الغمر الحمصي قال: سمعت محمد بن المبارك الصوري قال: قلت لراهب: متى يبلغ الرجل حقيقة الأنس بالله؟ قال: إذا صفا الود فيه، وخلصت المعاملة فيما بين العبد وبين الله. قال: قلت: فمتى يصفو الود وتخلص المعاملة؟ قال: إذ اجتمع الهم فصار في الطاعة. قلت: ومتى يجتمع الهم فيصير في الطاعة؟ قال: إذا اجتمعت الهموم فصارت هماً واحداً. قلت: يا راهب بم يستعان على قلة المطعم؟ قال: بالتحري في المكسب، والنظر في الكسوة. قلت: عظني وأوجز. قال: كل من حلال وارقد حيث شئت. قال: قلت له: فأين طريق الراحة؟ قال: في خلاف الهوى، قلت: فمتى يجد الرجل الراحة؟ قال: عند أول قدم يضعها في الجنة. قال: قلت: بماذا أقطع الطريق إلى الله؟ قال: بالسهر الدائم والظمأ في الهواجر. قلت: ما علامة العلم؟ قال: الخوف والشفقة. قلت: ما علامة الجهل، قال: الحرص والرغبة. قلت: ما علامة الورع، قال: الهرب من مواطن الشبهة. قلت: فما الذي عقلك في هذه البيعة؟ قال: بلغني أنه من مشى على الأرض عثر، ففزعت فزعة الأكياس فتحصنت بمن في السماء من فتنة من في الأرض وذلك أنهم سراق العقول فخشيت أن يسرقوا عقلي. قلت: فمن أين تأكل في هذه الصومعة؟ قال: بذر أبذره من بذر اللطيف الخبير، ثم قال: إن الذي خلق الرحا يجيء بالطحين. قال: وأومأ بيده إلى ضرسه ثم قال: من رزق حسن الظن بالله أفيد الراحة. قال إبراهيم بن الجنيد: وأنشدني شيخ من طلبة العلم لبعضهم:

وما عاشق الدنيا بناج من الردى ولا خارج منها بغير غـلـيل
وكم ملك قد صغر الموت قدره فأخرج من ظل عليه ظلـيل

بشر بن بشار

ومنهم بشر بن بشار المجاشعي كان من السائحين، مذكور في طبقة القائمين.

صفحة : 1813

حدثنا محمد بن أحمد بن عمر قال حدثني أبي، حدثنا أبو بكر بن سفيان حدثني محمد بن الحسين حدثني عمار بن عثمان حدثني بشر بن بشار المجاشعي –وكان من العابدين– قال: لقيت عباداً ثلاثة ببيت المقدس فقلت لأحدهم: أوصني. قال: ألق نفسك مع القدر حيث ألقاك فهو أحرى أن يفرغ قلبك، وأن يقل همك، وإياك أن تسخط فيحل به السخط وأنت عنه في غفلة لا تشعر به. فقلت للآخر: أوصني قال: ما أنا مستوص فأوصيك. قلت: ذلك عسى الله أن ينفع بوصيتك. قال: أما إذ أبيت إلا الوصية فاحفظ عني: التمس رضوانه في ترك مناهيه فهو أصل لك إلى الزلفى لديه. وقلت للآخر: أوصني، فبكى فاستحد سفوحاً –يعني بالدموع– ثم قال: يابن أخي لا تبتغ في أمرك تدبيراً غير تدبيره فتهلك فيمن

هلك، وتضل فيمن ضل.

مجاهد الصوفي

ومنهم مجاهد الصوفي، كان من المستأنسين بذكره، المستوحشين من غيره.
حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس، حدثنا أبو تراب الزاهد، قال: قال مجاهد الصوفي: اتخذ الله صاحباً، ودع الناس جانباً، وعانق الفقر. فمن كان القرآن محدثه، والدعاء رسوله، والملائكة جلساءه، والله أنيسه فلا تخف عليه الضيعة.

أبو الأبيض

ومنهم المكنى بأبي الأبيض، الوحيد عن الخلق أعرض، وماله قدم وأقرض، وألزم ما الحق عليه أوجب وفرض.
حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سهل بن عاصم، حدثنا علي بن غنام، حدثنا أبو حفص الجزري قال: كتب أبو الأبيض –وكان عابداً ورعاً– كتاباً إلى بعض إخوانه فقرأه فإذا فيه: سلام عليك ورحمة الله فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإنك لم تكلف من الدنيا إلا نفساً واحدة، فإن أنت أصلحتها لم يضرك فساد غيرها، واعلم أنك لن تسلم من الدنيا حتى تبالي من أكلها من أحمر وأسود.

أحمد الميموني وأحمد الموصلي

ومنهم أحمد الميموني، وأحمد الموصلي. كانا من عباد الشاميين، كانا متواخيين، شربا شراب المشتاقين.
حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا إسحاق بن أبي حسان، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا جعفر بن محمد، عن أحمد الميموني، قال: أتيت أحمد الموصلي فقلت: إني قد أهديت لك حديثاً. قال: هات فإما أن يأتيني المزيد من الله سبحانه فأعمل عليه، وإما أن أشهق شهقة فأموت. فقلت له: بلغني عن أبي العالية أنه قال: قرأت في بعض الكتب حديثاً طرد عني نومي وأذهب عني شهواتي، قرأت في بعض الكتب: يا معشر الربانيين من أمة محمد انتدبوا لدار. قال: فلما قلت: يا معشر الربانيين ، اصفر ثم احمر، ثم اسود ثم غشي عليه، فقلت: انتدبوا لدار زبرجد أصفر متدلية عليها أشجار الجنة بثمارها. فلما غشي عليه قمت وتركته.

عريف اليماني

ومنهم عريف اليماني، فارق الأشقاص والأشخاص، احترزا من الإعراض والانتقاص.

حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن محمود، عن يوسف بن سعيد بن مسلم، قال: سمعت علي بن بكار يقول: سمعت عريفاً اليماني يقول: إن من إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا ينفعه.

عرفجة الكوفي

ومنهم عرفجة الكوفي، مشهور في القانتين، معروف في العابدين.
حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا إبراهيم بن الجنيد، عن خلف بن تميم قال: كان فتى من أهل الكوفة متعبد يقال له عرفجة، وكان يحيى الليل صلاة، فاستزاره بعض إخوانه ذات ليلة فاستأذن أمه في زيارته فأذنت له، قالت العجوز: فلما كان من الليل وأنا في منامي، فإذا أنا برجال قد وقفوا علي فقالوا: يا أم عرفجة لم أذنت لإمامنا الليلة؟

عمرو البجلي

ومنهم عمرو بن جرير البجلي، كان مجذوباً، ثم صار محبوباً.
حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أبو الحسن بن أبان، حدثنا أبو بكر ابن عبيد قال: حدثني أبو ثابت الخطاب، قال: حدثني رجاء بن عيسى، قال: قال لي عمرو بن جرير: تدري أي شيء كان سبب توبتي؟ خرجت مع أحداث بالكوفة، فلما أردت أن آتي المعصية هتف بي هاتف: كل نفس بما كسبته رهينة.

محمد بن أبي القاسم

ومنهم محمد بن أبي القاسم الهاشمي مولاهم، كان من المؤانسين بذكره، والمشهورين بالإجابة في دعوته.

صفحة : 1814

حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن محمد بن سفيان، قال: حدثني محمد بن أبي القاسم مولى بني هاشم –وكان قد قارب المائة– قال: وعظ عابد جباراً فأمر به فقطعت يداه ورجلاه وحمل إلى متعبده فجاء إخوانه يعزونه، فقال لا تعزوني ولكن هنئوني بما ساق الله إلي، ثم قال: إلهي أصبحت في منزلة الرغائب، أنظر إلى العجائب. إلهي أنت تتودد بنعمك إلى من يؤذيك، فكيف تودك إلى من يؤذي فيك.

سباع الموصلي

ومنهم سباع الموصلي، له الحظ النفيس في التمتع برياض التأنيس.

حدثنا محمد بن أحمد بن محمد العبدي حدثني أبي حدثني أبو بكر القرشي حدثني عون بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت المضاء يقول لسباع الموصلي: يا أبا محمد، إلى أي شيء أفضى بهم الزهد؟ قال: إلى الأنس بالله.

محمد النميري

ومنهم محمد بن سباع النميري كان من المشتهرين بذكره، والمستأنسين بروحه.
حدثنا أبو الحسن بن أبان، حدثنا أبو بكر بن عبيد، قال: حدثني المثنى بن معاذ العنبري، قال: حدثني محمد بن سباع النميري، قال: بينما عيسى بن مريم عليهما السلام يسيح في بعض بلاد الشام إذ اشتد به المطر والرعد والبرق، فجعل يطلب شيئاً يلجأ إليه، فرفعت له خيمة من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحاد عنها، فإذا هو بكهف في جبل، فأتاه فإذا في الكهف أسد، فوضع يده عليه ثم قال: إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى. فأجابه الجليل جل جلاله: مأواك عندي في مستقر من رحمتي، لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتهن بيدي، ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام كل يوم منها كعمر الدنيا، ولآمرن منادياً ينادي: أين الزهاد في دار الدنيا، زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم.

مسكين الصوفي

ومنهم مسكين بن عبيد الصوفي، صحب أصحاب إبراهيم بن أدهم، فسلك مسلكه في التوحيد والزهد.
حدثنا أبي، حدثنا أبو الحسن العبدي، حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسين البرجلاني، حدثني مسكين بن عبيد الصوفي، قال: حدثني المتوكل بن الحسين العابد، قال: قال إبراهيم بن أدهم: الزهد ثلاثة أصناف: فزهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة. فالزهد الفرض الزهد في الحرام والزهد الفضل الزهد في الحلال، والزهد السلامة الزهد في الشبهات.

أبو أيوب

ومنهم أبو أيوب مولى بني هاشم، صحب الحكماء من العباد، وأخذ عنهم عدة المنقلب والمعاد.
حدثنا أبي، حدثنا الحسن بن أبان، حدثنا أبو بكر بن عبيد، حدثنا أبو أيوب مولى بني هاشم، قال: قال بعضهم: من نظر إلى الدنيا بعين العبرة انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة، ومن أنار الله قلبه بوضوء مصابيح العبر لم يمل الفكر، ومن لم يملها لم تطفأ مصابيح عبره. وكان يقول: احذر إيثار العدة والميل إلى الهوينا، واعلم أن النصب نصبان: أحدهما التفكر المؤلم، وإن أنزلت نفسك منازل الخفض والدعة، وقد أجمع علماء الدنيا وعمال

المعاد على بذل النصب في الدعة فلا تشذن عن الفريقين، واعلم أن أولى الفريقين بك أن تكون به مقتدياً بأعمال المعاد. وقد كان من بذلهم في طلب ما عند ربهم أنهم بذلوا أنفسهم بالدءوب في التفكير المؤلم وباشروا بأبدانهم الأعمال الشاقة على الجوارح، فإن ابتغيت سبيلهم فاجمع إليك همك ليحضر عقلك فيجول في ملكوت السموات والأرض.
واعلم أن بنية القلب بنية لا امتناع بها عن محاربة عدوها، ولا عجز بعدوها عن محاربتها، وقد أعطيت عدولاً علماء بدائك ودوائك، وهو مسبب إليك الداء، وقاطع عنك معاني الشفاء.

أبو عبد الله البراني

ومنهم أبو عبد الله البراني من مشاهير المتعبدين، معدود في الجماهير المعتبرين. حدثنا محمد بن أحمد بن عمر قال حدثني أبي، حدثنا عبد الله بن محمد حدثني محمد بن الحسين البرجلاني قال حدثني حكيم بن جعفر، قال: سمعت أبا عبد الله البراني يقول: لن يرد يوم القيامة أرفع درجة من الراضين عن الله على كل حال ومن وهب له الرضا فقد بلغ أفضل الدرجات، ومن زهد عن حقيقة كانت مئونته خفيفة، ومن لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه جميع الأحوال.

أحمد بن موسى الثقفي

ومنهم أحمد بن موسى الثقفي، كان شاعراً أديباً، فصار صابراً أريباً، رغب عن الدنيا بعد أن كان لها وامقاً، وأقبل على المعاد وصار للتزود عاشقاً. له الأبيات في ذم الدنيا والمغرورين بها.

صفحة : 1815

أنشدنيها أبي، قال: أنشدني أبو الحسن الفهري، قال: أنشدنا أبو بكر القرشي، قال: أنشدني أحمد بن موسى الثقفي:

جهول ليس تنهاه النـواهـي ولا تلقاه إلا وهو سـاهـي
يسر بيومه لعـبـاً ولـهـوا ولا يدري وفي غده الدواهي
مررت بقصره فرأيت أمراً عجيباً فيه مزدجر وناهـي
بدا فوق السرير فقلت من ذا فقالوا ذلك الملك المباهـي
رأيت ببابه سود الـجـواري ينحن وهن يكسرن الملاهي
تبـين أي دار أنـت فـيهـا ولا تسكن إليها وادر ما هي

أبو محرز الطفاوي

ومنهم أبو محرز الطفاوي، تشمر في العبادة، ولحق المتقدمين في الوفادة.

حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر، حدثنا أحمد بن أبان، حدثنا أبو بكر بن عبيد، قال: حدثني محمد بن الحسين البرجلاني، حدثنا عون بن عمارة، قال: قال أبو محرز الطفاوي: لما بان للأكياس أعلى الدارين منزلة طلبوا العلو بالعلو من الأعمال، وعلموا أن الشيء لا يدرك إلا بأكثر منه فبذلوا أكثر ما عندهم، بذلوا والله لله المهج رجاء الراحة لديه، والفرج في يوم لا يخيب فيه الطالب. وقال أبو محرز: كلف الناس بالدنيا ولم ينالوا منها فوق قسمتهم، وأعرضوا عن الآخرة وببغيتها يرجو العباد نجاة أنفسهم.

خثيم العجلي

ومنهم خثيم بن جحشة العجلي العابد، نبه على خدع العاجلة فرغب عنها، وجلى له حقيقة الآجلة فبادر إليها، فوعظ خطاب الدنيا وذمها.

حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن محمد بن سفيان قال: حدثني أبو عبد الله التميمي قال: حدثني شريح العابد، قال: سمعت خيثم بن جحشة العابد أبا بكر العجلي يقول:

يا خاطب الدنيا على نفسها ... إن لها في كل يوم حليل

ما أقتل الدنيا لخطابها ... تقتلهم قدماً قتيلاً قتيل

تستنكح البعل وقد وطئت ... في موضع آخر منه بديل

إني لمغتر وإن البلا ... يعمل في جسمي قليلاً قليل

تزودوا للموت زاداً فقد ... نادى مناديه الرحيل الرحيل

الحسن الحفري

ومنهم المتعبد المقري الحسن بن أبي جعفر الحفري –أيد في الدءوب والاجتهاد، وأمد بوؤانسة مؤمني الجن من العباد.

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس، حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا القواريري، حدثنا أبو عمران التمار، قال: غدوت يوماً قبل الفجر إلى مسجد الحفري، فإذا باب المسجد مغلق، وإذا حسن جالس يدعو، وإذا ضجة في المسجد وجماعة يؤمنون على دعائه، والحسن يدعو، قال: فجلست على باب المسجد حتى فرغ من دعائه فقام فأذن وفتح باب المسجد فدخلت فلم أر في المسجد أحداً، فلما أصبح وتفرق عنه الناس قلت له: يا أبا سعيد إني والله رأيت عجباً، قال: وما رأيت؟ فأخبرته بالذي رأيت وسمعت. فقال: أولئك جن من أهل نصيبين يجيئون فيشهدون معي ختم القرآن كل ليلة جمعة ثم ينصرفون.

حازم الحنفي

.ومنهم حازم الحنفي، كان عند الذكر مغلوباً، وكان رأسه من الشجاج معصوباً

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا هيثم بن خلف الدوري، قال: حدثني محمد بن إسحاق البكائي، حدثنا خالد بن السفر، قال: كان حازم الحنفي إذا ذكر الله وهو إلى جنب الحائط نطح برأسه الحائط حتى يدميه، ولقد رأيت رأسه معصباً بالخرق، ورأيته عند سليم المقري، فأتى سليماً رجل يقرأ عليه فقال له سليم: انهض بنا فإن حازماً إلى جنب الحائط .لا يسمع القرآن برأسه الحائط

قيس بن السكن

.ومنهم قيس بن السكن، حبس نفسه ولسانه سجن

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الله بن سوار، حدثنا أبو بلال الأشعري، حدثنا منصور بن حوشب، قال: قيل لقيس بن السكن: ألا تتكلم؟ قال: لساني من السباع أخاف أن أدعه .فيعقرني

الحكم بن أبان

.ومنهم الحكم بن أبان، كان في سؤدده مجتهداً، ومع السابحين مسبحاً

صفحة : 1816

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا ابن ماهان الرازي، حدثنا إسحاق بن الضيف، قال: سمعت مشيخة من أهل عوف يقولون: كان الحكم بن أبان سيد أهل اليمن، وكان يصلي الليل فإذا .غلبه النوم ألقى نفسه في البحر، وقال: أسبح الله مع الحيتان

أبو إسحاق التيمي

ومنهم أبو إسحاق التيمي القرشي، كان بغرور الدنيا عارفاً، وعنها راحلاً وعازفاً، ولها ذاماً .وواصفاً

حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن عبيد، قال: أنشدني أبو إسحاق القرشي :التيمي

ننافس في الدنيا ونحن نعيبـها	وقد حذرتناها لعمري خطوبها
وما نحسب الأيام تنقـص مـدة	على أنها فينا سريع دبـيبـها
كأني برهط يحملون جنـازتـي	إلى حفرة يحثي علي كثيبـها
وكم ثم من مسترجع متـوجـع	ونائحة يعلو علي نـحـيبـها

وباكية تبكي عـلـي وإنـنـي لفي غفلة من صوتها ما أجيبها
أيا هاذم الذات ما منك مهـرب تحاذر نفسي منك ما سيصيبهـا
وإني لممن يكره الموت والبـلا ويعجبه روح الحياة وطيبـهـا
فحتى متى حتى متى وإلى متى يدوم طلوع الشمس بي وغروبها
رأيت المنايا قسمت بين أنـفـس ونفسي سيأتي بعدهن نصيبهـا

أبو كريمة العبدي

.ومنهم أبو كريمة العبدي، كان بأوقاته ضنيناً، ويجد لفوتها عنه حنيناً

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المؤذن، حدثنا أبو الحسن بن أبان، حدثنا أبو بكر بن سفيان، قال: بلغني عن أحمد بن أبي الحواري، قال: حدثني عيسى بن الهذيل، قال: سمعت أبا .كريمة –وكان من عباد أهل الشام– يقول: ابن آدم، ليس لما بقي من عمرك ثمن

علي بن ثابت

ومنهم علي بن ثابت، كان من العمال، وكان يحث المريدين على رفض الأثقال، ونبذ .الأشغال

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد، حدثنا أبو الحسن بن أبان، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثني محمد بن معاوية الأزرق، قال: قال علي بن ثابت الزيات –وكان من العاملين لله– إن استطعت أن لا تكون في كلا العمرين بمنزلة .واحدة فافعل

سليمان بن حيان الأحمر

.ومنهم الراوي الأنور، الموصي أصفياءه بالحظ الأوفر، أبو خالد سليمان بن حيان الأحمر

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد، حدثنا أبو الحسين أبان، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا سلمة بن غفار، عن حجاج بن محمد، قال: كتب إلي أبو خالد الأحمر فكان في كتابه إلي: واعلم أن الصديقين كانوا يستحيون من الله أن يكونوا اليوم . على منزلة أمس

محمد بن معاوية

.ومنهم محمد بن معاوية الصوفي، التزم نصيحة الحكيم فصفي وعوفي

حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن محمد بن سفيان قال: حدثني محمد بن العباس بن محمد، حدثنا محمد بن معاوية الصوفي، قال: مر حكيم من الحكماء بفتية من الحلماء وهم قعود على روضة معشبة، فقال: يا معشر الأحياء ما يوقفكم بمدرجة الموتى؟ قالوا: قعدنا نعتبر، قال: فإني أعيذكم بالذي أنالكم الحياة في زمن الموتى ألا

تركنوا إلى ما رفضه من أنالكم الحياة.

مغيث الأسود

ومنهم مغيث الأسود، الواعظ بالأجود، والمذكر بالأوكد.
حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا عبد الله بن محمد القرشي قال: حدثني شيخ من قريش، قال: كان مغيث الأسود، يقول: زوروا القبور كل يوم بفكركم، وتوهموا جوامع الخير كل يوم في الجنة بعقولكم، وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار بهممكم، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم، ذكر النار ومقامعها وأطباقها.

محمد بن صالح التيمي

ومنهم محمد بن صالح التيمي، ذو القلب الحاضر، واللب الوافر.

صفحة : 1817

حدثنا أبي، حدثنا أبو الحسن بن أبان، حدثنا أبو بكر بن عبيد الله قال: حدثني محمد بن صالح التيمي، قال: كان بعض العلماء إذا تلا: وفي الأرض آيات للموقنين . الذاريات 20 . قال: أشهد أن السموات والأرض وما فيهما آيات تدل عليك وتشهد لك بما وصفت به نفسك، وكل يؤدي عنك الحجة، ويقر لك بالربوبية، موسوماً بآثار قدرتك، ومعالم تدبيرك، كالذي تجليت به لخلقك، فوسمت القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر، وكفاها رجم الاحتجاب، فهي على اعترافها بك شاهدة أنك لا تحيط بك الصفات، ولا تدركك الأوهام، وأن حظ المتفكر فيك الاعتراف بك والتوحيد لك.

علي بن الحسن

ومنهم علي بن الحسن بن موسى، كان للحكم واعياً، ومن العمال راوياً.
حدثنا أبي، حدثنا أبو الحسن بن أبان، حدثنا أبو بكر بن عبيد، قال: حدثني علي بن الحسن قال: سئل بعض العلماء: ما الذي يفتح الفكر؟ قال: اجتماع الهم؛ لأن العبد إذا اجتمع همه فكر، فإذا فكر نظر، فإذا نظر أبصر، فإذا أبصر عمل، فهو متنقل في العمل. قيل له: كيف التنقل؟ قال: تنقله الرغبة في الفضائل حتى يبلغ غاية يذيقه الله لطفه به، ويريده باللطف. فقيل: وما رداء اللطف؟ قال: الخشوع والوقار والسكينة والبر والتواضع، فإذا كان العبد كذلك أوصله ذلك إلى التعظيم له به، فإذا كان لله معظماً سقاه الله من حبه شربة فنقله في الأسباب، ثم أتبعه بالعمل له، فهو الذي يعطي ثواب سنة بفكر ليلة، وثواب ليلة بفكر سنة.

خطاب العابد

.ومنهم خطاب العابد، عن الخطايا شارد. وللراحات طارد

حدثنا محمد بن أحمد بن عمر العبدي، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا إبراهيم بن سعيد، حدثنا موسى بن أيوب، حدثنا مخلد، عن خطاب العابد، قال: إن العبد ليذهب الذنب فيما بينه وبين الله فيجيء إخوانه فيرون أثر ذلك عليه.

أبو جعفر المحولي

ومنهم أبو جعفر المحولي، الباكي الشاكي المعولي، كان من قدماء العارفين من أهل بغداد، سكن باب المحول فنسب إليه، كان له الحال الرفيع والقول الصحيح.

حدثنا محمد بن أحمد بن عمر، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثني علي بن أبي مريم، عن عبد الله بن أبي حبيب، قال: سمعت أبا جعفر المحولي يقول: إليك أشكو بدناً غذي بنعمتك ثم توثب على معاصيك.

عمر الصوفي

.ومنهم عمر الصوفي، قطع البوادي خاليا، واعتذر إلى مولاه باكيا

حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا محمد بن إدريس، قال: سمعت إسحاق بن عباد يقول: لقيت عمر الصوفي بمكة فقلت له: راكباً جئت أم راجلاً؟ فبكى ثم قال: أما يرضى العاصي أن يجيء إلى مولاه راكباً.

العباس المجنون

ومنهم العباس المعروف بالمجنون، في الشوق مضنون، وعن الخلق مخزون، كان لمحبوبه ساهراً، وعن بني جنسه سائراً.

حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن جعفر بن هانئ، قال: حدثني محمد بن يوسف البناء، عن إبراهيم الهروي، عن ابن المبارك قال: صدعت جبل لبنان فإذا برجل عليه جبة صوف مفتقة الأكمام، عليها مكتوب لا تباع ولا تشتري. قد اتزر بمئزر الخشوع، واتشح برداء القنوع، وتعمم بعمامة التوكل. فلما رآني اختفى وراء شجرة فناشدته بالله فظهر، فقلت: إنكم معاشر العباد تصبرون على الوحدة، وتقاسون في هذه القفار الوحشة. فضحك ووضع كمه على رأسه وأنشأ يقول:

يا حبيب القلوب من لي سواكا ... ارحم اليوم مذنباً قد أتـاكـا

أنت سؤلي وبغيتي وسروري ... قد أبى القلب أن يحب سواكا

يا مناي وسيدي واعتـمـادي ... طال شوقي متى يكون لقاكا

ليس سؤلي من الجنان نعـيم ... غير أنـي أريدهـا لأراكـا قال: ثم غاب عني

فتعاهدت ذلك الموضع سنة لأقع عليه فلم أره. فلقيني غلام أبي سليمان الداراني فسألته عنه وأعطيته صفته، فبكى وقال: واشوقاه إلى نظرة أخرى منه. فقلت له: من هو؟ فقال: ذلك عباس المجنون، يأكل في شهر أكلتين من ثمار الشجر أو نبات الأرض، يتعبد منذ ستين سنة.

شداد المجذوم

ومنهم العابد المجذوم شداد. مشهور ومذكور في الراضين من العباد.

صفحة : 1818

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سهل بن عاصم، حدثنا محمد بن عيينة، عن مخلد بن الحسين، قال: كان بالبصرة رجل يقال له شداد أصابه الجذام فانقطع فدخل عليه عواده من أصحاب الحسن، فقالوا: كيف تجدك؟ قال: بخير، ما فاتني حزبي من الليل منذ سقطت، وما بي إلا أني لا أقدر على أن أحضر صلاة الجماعة.

أبو سعيد البراقعي

ومنهم أبو سعيد البراقعي، من كبار العارفين بالشام.
حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا إسحاق بن أبي حسان، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا أبو سعيد البراقعي، حدثنا عبيد الله بن زحر الحداد، عن صالح المري، عن حوشب، عن الحسن، قال: تفقدوا الحلاوة في الصلاة وفي القرآن وفي الذكر، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، وإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق.

الكريم أبو هاشم

ومنهم الكريم أبو هاشم، للمال قاسم، وللبخل قاصم، وللغيظ كاظم.
حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا علي بن محمد العسكري قال: حدثنا إبراهيم بن جعفر الحلوذاني، قال: حدثني محمد بن معاوية الأزرق، قال: قال أبو هاشم: لله عباد ينفقون على قدر بضائعهم، وله عباد ينفقون على حسن الظن به، فأولئك أولئك.
حدثنا محمد بن الحسين بن موسى، حدثنا محمد بن أحمد بن سعيد، حدثنا عباس بن حمزة، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت أبا هاشم، يقول: نظرنا في هذا الأمر فإذا الذين بلغوا منه الغايات المنفردون.

مسعود الجهمي

ومنهم مسعود بن الحارث الجهمي، العابد المجتهد المرضي.
حدثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا عبيد الله بن جرير، حدثنا سليمان بن موسى، عن رجل رأى مسعود بن الحارث أخا خالد في النوم فقال له: ما فعل بك ربك؟ قال: قربني وأدناني، وقال لي: يا مسعود طال ما ترددت في طرقات الدنيا وأنا عنك راض.

زهير البابي

ومنهم الداعي المحابي، أبو عبد الرحمن زهير بن نعيم البابي، كان أغلب أحواله عليه الصبر واليقين. فأيد بالنصر والتمكين.
اخبرنا عبد الله بن جعفر –فيما قرئ عليه وأذن لي فيه– حدثنا أحمد بن عاصم، قال: قال زهير بن نعيم: إن هذا الأمر لا يتم إلا بشيئين: الصبر واليقين، فإن كان يقين ولم يكن معه صبر لم يتم، وإن كان صبر ولم يكن معه يقين لك يتم. وقد ضرب لهما أبو الدرداء مثلاً فقال: مثل اليقين والصبر مثل فدادين يحفران الأرض، فإذا جلس واحد جلس الآخر.
اخبرنا عبد الله، حدثنا أحمد بن عاصم، قال: سمعت خالي عبد العزيز بن يوسف يقول: أردت الخروج من البصرة فبدأت بيحيى بن سعيد فودعته، ثم ودعت عبد الرحمن بن مهدي، ثم ودعت زهيراً، فقلت: هل من حاجة؟ قال: نعم إلا أنها مهمة مهمة. اتق الله فوالله لأن يتقيه رجل –أو قال عبد– أحب إلي من أن تتحول لي هذه السواري كلها ذهباً. فلما وليت ردني فقال: وحاجة أخرى لا تدخل على قاض ولا على من يدخل على القاضي، فإني في هذا المصر منذ خمسين سنة ما نظرت إلى وجه قاض ولا وال.

صفحة : 1819

اخبرنا عبد الله، حدثنا أحد بن عاصم قال: كان يدي في يد زهير أمشي معه، فانتهينا إلى رجل مكفوف يقرأ، فلما سمع قراءته وقف ونظر وقال لا تغرنك قراءته، والله والله إنه شر من الغناء وضرب العود –وكان مهيباً ولم أسأله يومئذ– فلما كان بعد أيام ارتفع إلى بني قشير فقمت وسلمت عليه فقلت: يا أبا عبد الرحمن إنك قلت لي يومئذ كذا وكذا. فكأنه نصب عينيه فقال لي: يا أخي نعم، لأن يطلب الرجل هذه الدنيا بالزمر والغناء والعود خير من أن يطلبها بالدين. ثم قال زهير لا أعلم أني توكلت على الله ساعة قط. قال أحمد: وسمعت الحصين بن جميل، يقول: سمعت زهيراً يقول: إن قدرت أن تكون عند الله أخس من كلب فافعل. قال أحمد: وكتب إلينا –وكان بأصبهان الوباء والمجاعة– إن الموت كثير. وقال لي حصين: يا أبا يحيى تعال حتى نرتفع إلى زهير فنخبره بما كتب إلينا فلعله

يدعو لهم بدعوة. فأتيته فأخبرته بما كتب إلينا من كثرة الموت، فقال لي لا تأمنن من الموت قلته، ولا تخافن كثرته، ثم قال: حدثني معدي، عن رجل يكنى بأبي البغيل –وكان قد أدرك زمن الطاعون– قال: كنا نطوف في القبائل وندفن الموتى، فلما كثروا لم نقو على الدفن، فكنا ندخل الدار قد مات أهلها فنسد بابها، قال: فلما مضت الطواعين كنا نطوف في القبائل وننزع تلك السدة التي سددناها فنزعنا سدة ذلك الباب التي دخلناه ففتشناها فلم نجد أحداً حياً. قال: فإذا نحن بغلام في وسط الدار طري دهين كأنه أخذ ساعتئذ من حجر أمه، قال: ونحن وقوف على الغلام نتعجب منه. قال: فدخلت كلبة من شق أو خرق في حائط. قال: فجعلت تلوذ بالغلام والغلام يحبو إليها حتى مص لبنها. قال زهير: قال معدي: رأيت هذا الغلام في مسجد البصرة قد قبض على لحيته. قال: وكان زهير كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

حتى متى أنت في دنياك مشتغل وعامل الله عن دنياك مشغول قال

أحمد: وبلغني عن الباهلي قال: كنت أقود زهيراً فلما أردت أن أفارقه قلت له: أوصني. قال: إذا رأيت الرجل لا ينصف من نفسه فإن قدرت أن لا تراه فلا تراه. قال أحمد وكان زهير أصيب ببصره في آخر عمره فبلغني أن بعض إخوانه استقبله بعد ما أصيب ببصره فسلم عليه فقال: من الرجل؟ فاسترجع الرجل فجزع جزعاً شديداً. فلما رأى زهير جزع الرجل فقال له: أخي، كانت معي كسرة فيها دانق فسقطت فكان فقدها أشد علي من ذهاب بصري. قال أحمد: وبلغني أنه كان شاكياً فذهب يحيى بن أكثم يعوده، فقيل له: يحيى بن أكثم. فقال: وما أصنع به؟ لو كان على حش من حشوش الأرض بالبصرة يكون خيراً له. قال أحمد: ودخلت عليه يوماً فقال لي: ألك أب؟ قلت لا. قال: ألك أم؟ قلت لا. قال: الله أكبر، كم ترى يبقى فرع بعد أصل؟ يا أخي عليك بالدعاء والابتهال لهما، فإنه بلغني أن الله يرفع الوالدين بدعاء الولد لهما هكذا –ورفع يديه– قال أحمد: وأخبرني عبد الرحمن بن عمر. قال: انتهى إلينا يوماً رجل من هؤلاء الخبثاء القدرية فقال له: يا أبا عبد الرحمن، بلغني أنك زنديق. فقال زهير: زنديق زنديق، أما زنديق فلا ولكني رجل سوء.

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سهل بن عاصم، قال: سمعت إبراهيم يقول: سمعت رجلاً يقول لزهير بن نعيم: ممن أنت يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ممن أنعم الله عليه بالإسلام. قال: إنما أريد النسب. قال: فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . المؤمنون 101 .

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سهل بن عاصم. قال: قلت لزهير بن نعيم: يا أبا عبد الرحمن ألك حاجة؟

قال: نعم. قلت: ما هي؟ قال: تتقي الله، فوالله لأن تتقي الله أحب إلي من أن يصير هذا الحائط ذهباً.

صفحة : 1820

وبه حدثنا سهل، حدثنا إبراهيم بن سعيد بن أنس، قال: سمعت زهير بن نعيم يقول: لأن يتوب رجل أحب إلي من أن يرد الله إلي بصري. ولأن يتوب رجل أحب إلي من أن يتحول سواري المسجد لي ذهباً. قال وحدثنا سهل، قال: سمعت عمشط بن زياد يقول: سمعت زهير بن نعيم يقول: جالست الناس منذ خمسين سنة فما رأيت أحداً إلا وهو يتبع هواه، حتى أنه ليخطئ فيحب أن الناس قد أخطئوا. ولأن أسمع في جاري صوت ضرب أحب إلي من أن يقال لي: أخطأ فلان. قال سهل: وسمعت من سمع زهيراً يحلف بالله الذي لا إله هو لأنا بمن لا يؤمن بالله أشبه مني بمن يؤمن بالله. فذكرت هذا القول لعشرة من أهل الصف فمنهم من بكى ومنهم من صاح، ومنهم من انتفض، ومنهم من بهت. قال سهل: وسمعت زهيراً يقول: وددت أن جسدي قرض بالمقارض وأن هذا الخلق أطاعوا الله. قال سهل: وحدثنا عبد الله بن عبد الغفار الكرماني قال: صعدت إلى زهير بن نعيم وقد سقط من سطحه –وذلك بعد ما ذهب بصره– وهو متهشم الوجه بحال شديدة فقلت له: يا أبا عبد الرحمن كيف حالك؟ قال: على ما ترى وما يسرني بأني أشد من هذا الخلق، هي الدنيا فلتصنع ما شاءت.

محمد بن إسحاق

ومنهم المتشمر للحاق، المتحرز من الفراق، المتجرد للسباق، الكوفي أبو عبد الله محمد بن إسحاق.

كان على فوت الساعات ضنيناً، ويجد من فوت وقته أنيناً وحسرة وحنيناً.

حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن محمد الأموي قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: قال بعض الحكماء: الأيام سهام والناس أغراض، والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويستخدمك بلياليه وأيامه، حتى يستغرق جميع أجزائك، فكم بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في بدنك؟ لو كشفت لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص، وما هي عليه من هدم ما بقي منك لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك، واستثقلت ممر الساعات، ولكن تدبير الله فوق الاعتبار. وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها، وإنها لأمر من العلقم إذا عجمها الحكيم. وأقل من كل شيء يسمى القليل، وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها، وما تأتي به من العجائب مما يحيط به

.الواعظ. نستوهب الله رشداً إلى الصواب

قال: وحدثني محمد بن إسحاق قال: قيل لبعض الحكماء: صف لنا الدنيا ومدة البقاء. فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع فيه طرفك، لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه، وما لم يأت فلا علم لك به، يوم مقبل تنعاه ليلته، وتطويه ساعته، وأحداثه تتناضل في الإنسان بالتغيير والنقصان، والدهر موكل بتشتيت الجماعات، وانخرام الشمل وتنقل الدول والأمل طويل والعمر قصير، وإلى الله الأمور تصير. قال محمد بن إسحاق: قال رجل من عبد القيس: أين تذهبون؟ بل أين يراد بكم وحادي الموت في أثر الأنفاس حثيث موضع، وعلى اجتياح .الأرواح من منزل الفناء إلى دار البقاء مجمع، وفي خراب الأجساد المتفكهة بالنعيم مسرع

حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، حدثنا عبد الله بن محمد العطشي المقري، حدثنا :إبراهيم بن الجنيد. قال: وجدت هذه الأبيات على ظهر كتاب لمحمد بن الحسين البرجلاني

مواعظ رهبان وذكر فعالـهـم وأخبار صدق عن نفوس كوافر

مواعظ تشفينا فنحن نحـوزهـا وإن كانت الأنباء عن كل كافر

مواعظ بر تورث النفس عبـرة وتتركها ولهاء حول المقـابـر

مواعظ إن تسأم النفس ذكرهـا تهيج أحزاناً من القلـب ثـائر

فدونك يا ذا الفهم إن كنت ذا نهي فبادر فإن الـمـوت أول زائر قال

إبراهيم: وحدثني محمد بن الحسين قال: حدثت عن عبد الله بن الفرج العابد أنه قال له رجل: يا أبا محمد، هؤلاء الرهبان يتكلمون بالحكمة، وهم أهل كفر وضلالة فمم ذلك؟ قال: .ميراث الجوع متعت بك، ميراث الجوع متعت بك

القاسم بن محمد

.ومنهم القاسم بن محمد بن سلمة الصوفي، كان لنفسه حافظاً، وبحكم الرهبانية لافظاً

صفحة : 1821

حدثنا أبو بكر الآجري، حدثنا عبد الله بن محمد العطشي، حدثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثنا أحمد بن همام، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثني القاسم بن محمد بن سلمة الصوفي، قال: قال لي راهب في بيعة بالشام: همة المحبين الوصول بإرادتهم، وهمة الخائفين الوصول من الخوف إلى مأمنهم، وكل على خير، وأولئك أنصب أبداناً وأعلى في .الخير منصباً

حدثنا أبو بكر، حدثنا عبد الله، حدثنا إبراهيم قال: حدثني أبو أحمد بن همام قال: حدثني محمد بن الحسين قال: حدثني القاسم بن محمد بن سلمة الصوفي العابد قال: حدثني أبو

صفوان العابد الشامي –الذي كان بمكة– قال: مروا براهب قد حدب من الاجتهاد فنادوه فأشرف عليهم كأنه قد نزع منه الروح، فقالوا له: علام تعمل وتنصب نفسك؟ قال: على الطمع والرجاء. قالوا: فهل تعتريك فترة؟ قال: إن ذاك قد كان. قالوا: فمم ذلك؟ قال عند الإياس والقنوط، والمخافة تعين على العمل. قالوا: فأدوم ما يكون العبد على العبادة وأنشط إذا كان ماذا؟ قال: إذا استولت المحبة على القلب لم تكن له راحة ولا لذة إلا الاتصال بها.

يزيد بن يزيد

ومنهم الساجد الحميد. الحامد الشديد. يزيد بن يزيد.
حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا أبو يعلى، حدثنا عثمان بن عمرو بن أبي عاصم، قال: سمعت الخليل البصري يقول: سمعت يزيد بن يزيد يقول في سجوده: خبثنا أنفسنا بالذنوب فطيبنا بالمغفرة.

الخادم

ومنهم الخادم المخدوم. الحائد عن المعلوم، المكتفي بمن يوجد الموجود من المعدوم.
حدثنا عبد الله بن محمد قال قرأت على شيخ ابن حاتم العكلي حدثت، عن عبد الجبار بن عبد الله، عن آدم بن أبي إياس، قال: كان شاب يكتب عني قال: فأخذ مني دفتراً ينسخه فظننت عليه ظن سوء ثم جاء به وعليه ثياب رثة فرفقت به، ثم أمرت له بدراهم فلم يقبلها، فجهدت فلم يفعل، ثم أخذ بيدي فمر بي إلى البحر ثم أخرج من كمه قدحاً فغرف من ماء البحر ثم قال: اشرب. فشربت أحلى من العسل، ثم قال: من كان في خدمة من هذه قدرته أي شيء يصنع بدراهمك؟ ثم غاب عني فلم أره.

الفرار

ومنهم الفرار الجآر، الذي لا يقر له قرار، خوفاً من الغفلة والاغترار.
حدثنا عبد الله بن محمد، قال: سمعت عمرو بن عثمان المكي يقول: لقيت رجلاً فيما بين قرى مصر يدور فقلت له: ما لي أراك لا تقر في مكان واحد؟ فقال لي: وكيف يقر في مكان واحد من هو مطلوب؟ فقلت له: أو لست في قبضته في كل مكان؟ قال: بلى ولكني أخاف أن أستوطن فيأخذني على غرة الاستيطان مع المغرورين.

الديلمي

ومنهم الديلمي المأسور المصلوب، المحبوس المحبوب، الوصيف المكروب.
حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عمر بن الحسن الحلبي، حدثنا محمد بن المبارك الصوري،

قال: سمعت الوليد بن مسلم يقول: غزا المسلمون غزوة فيهم الديلمي فأسرته الروم فصلبوه على الدقل، فلما رآه المسلمون مصلوباً حملوا على الروم حملة فأخذوا المركب الذي فيه الشيخ فأنزلوه عن الدقل، فقال لهم: اعطوني ماء أصب علي، فقالوا: لم تصب عليك، قال: إني جنب لأنهم لما صلبوني تجلت لي نعسة فرأيت نفسي كأني على نهر فيه وصائف فمددت يدي إلى واحدة منهن فافترعتها فأصابتني جنابة.

أمية بن الصامت

ومنهم أمية بن الصامت. العابد القانت. في العوارض ثابت. ولنفسه عاتب ولشيطانه شامت.

حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن عبيد الله الصوفي، قال: سمعت أخي أبا عبد الله محمد بن محمد يقول: سمعت خيراً النساج الصوفي يقول: كنت مع أمية بن الصامت الصوفي فنظرا إلى غلام فقرأ: وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير . الحديد 4 . ثم قال: وأين الفرار من سجن الله وقد حصنه بملائكة: غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . التحريم 6 . تبارك الله فما أعظم ما امتحنتني به، من نظري إلى هذا الغلام، ما شبهت نظري إليه إلا بنار وقعت على قصب في يوم ريح، فما أبقت ولا تركت. ثم قال: أستغفر الله من بلاء جنته عيناي على قلبي وأحشائي، لقد خفت أن لا أنجو من معرته ولا أتخلص من إثمه، ولو وافيت القيامة بعمل سبعين صديقاً. ثم بكى حتى كاد أن يقضي، فسمعته يقول في بكائه: يا طرفي لأشغلنك بالبكاء عن النظر إلى البلاء.

هلال بن الوزير

صفحة : 1822

ومنهم هلال بن الوزير. المعتدل المستجير، إلى مولاه العليم الخبير.

حدثنا محمد بن محمد، قال: سمعت أخي أبا عبد الله محمد بن محمد، قال: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت خيراً النساج يقول: كنت مع هلال بن الوزير الصوفي فنظر إلى غلام فقرأ: وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون . يونس 46 . ثم قال: اللهم أنت الشهيد على أفعالنا، والحفيظ لأعمالنا، والبصير بأمورنا، والسميع لنجوانا، وأنت على كل شيء حفيظ. قد علمت ما أخفاه الناظرون في جوانح صدورهم من أسرار كامنة، وشهوات باطنة، وأنت المميز بين الحق والباطل، وقد علمت أنه لا يجوز عليك ما خطر على القلوب، وما اشتملت عليه الضلوع من إعلان

وكتمان، وأنت العليم بذات الصدور، فاغفر لهلال ما كدح على نفسه من سوء نظره.

محارب بن حسان

ومنهم محارب بن حسان. فتى الفتيان. المحفوظ، عن النقص والخسران. المتحصن بحصن اليقين والإيمان.

حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن عبيد الله، قال: سمعت أخي أبا عبد الله محمد بن محمد يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت خيراً النساج يقول: كنت مع محارب بن حسان الصوفي في مسجد الخيف ونحن محرمون فجلس إلينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محارباً ينظر إليه نظراً أنكرته، فقلت له –بعد أن قام– إنك حرام في شهر حرام، ويوم حرام، في بلد حرام، في مشعر حرام، في مسجد حرام، وقد رأيتك تنظر إلى هذا الغلام نظراً لا ينظره إلا المفتونون. فقال: إلي تقول هذا يا شهواني القلب والطرف؟ ألم تعلم أن قد منعني عن الوقوع في شرك إبليس ثلاث؟ قلت: وما هن رحمك الله؟ قال ستر الإيمان، وعفة الإسلام، وأعظمها عندي وأجلها في صدري وأكبرها في نفسي حسن الحياء من الله أن يطلع وأنا جاثم عن منكر نهاني ربي عنه، ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا.

أبو عمرو المروزي

ومنهم أبو عمرو المروزي الحكيم. المفوض أمره إلى السميع العليم.

حدثنا محمد بن أحمد، قال: سمعت أبا العباس الثقفي يقول: سمعت أبا عمر المروزي يقول: من صفات الأولياء ثلاث: الرجوع إلى الله في كل شيء، والفقر إلى الله في كل شيء، والثقة بالله في كل شيء.

إبراهيم بن سعد

ومنهم المعروف بالآيات. الموصوف بالكرامات. إبراهيم بن سعد العلوي له الوصاية النبوية.

حدثنا عبد المنعم بن عمرو بن عبد الله، حدثنا الحسن بن يحيى بن حمويه الكرماني بمكة، قال: قال أبو الحسن النماري، قال أبو الحارث الأولاسي: خرجت من حصن أولاس أريد البحر فقال بعض إخواني لا تخرج فإني قد هيأت لك عجة حتى تأكل. قال: فجلست وأكلت معه ونزلت إلى الساحل فإذا أنا بإبراهيم بن سعد قائماً يصلي. فقلت في نفسي: ما أشك إلا أنه يريد أن يقول لي: امش معي على الماء، ولئن قال لي لأمشين معه. فما استحكمت الخاطر حتى سلم ثم قال: هيه يا أبا الحارث امش على الخاطر. فقلت: بسم الله، فمشى هو على الماء وذهبت أمشي، فغاصت رجلي فالتفت إلي وقال: يا أبا الحارث العجة أخذت

برجلك.

صفحة : 1823

حدثنا عبد المنعم بن عمرو، حدثنا الحسن بن يحيى قال محمد بن محبوب العماني: سمعت أبا الحارث الأولاسي يقول: خرجت من مكة في غير أيام الموسم أريد الشام فإذا أنا بثلاثة نفر على جبل، وإذا هم يتذاكرون الدنيا، فلما فرغوا أخذوا يعاهدون الله لأن لا يمسوا ذهباً ولا فضة. فقلت: وأنا أيضاً معكم، فقالوا: إن شئت. ثم قاموا فقال أحدهم: أما أنا فسائر إلى بلد كذا وكذا. وقال الآخر: وأما أنا فسائر إلى بلد كذا وكذا. وبقيت أنا والآخر فقال لي: أين تريد؟ فقلت: أريد الشام. قال: وأنا أريد اللكام. فكان إبراهيم بن سعد العلوي، فودع بعضهم بعضاً وافترقنا. فمكثت حيناً أنتظر أن يأتيني كتابه فما شعرت يوماً وأنا بأولاس فخرجت أريد البحر وصرت بين الأشجار إذا برجل صاف قدميه يصلي، فاضطرب قلبي لما رأيته وعلاني له الهيبة، فلما أحس بي سلم ثم التفت إلي فإذا هو إبراهيم بن سعد، فعرفته بعد ساعة. فقال لي: هاه فوبخني وقال: اذهب فغيب عني شخصك ثلاثة أيام ولا تطعم شيئاً ثم ائتني. ففعلت ذلك فجئته بعد ثلاث وهو قائم يصلي، فلما أحس بي أوجز في صلاته ثم أخذ بيدي فأوقفني على البحر وحرك شفتيه، فقلت في نفسي: يريد أن يمشي على الماء، ولئن فعل لأمشين. فلما لبثت إلا يسيراً فإذا أنا برف من الحيتان ملء البحر قد أقبلت إلينا رافعة رءوسها، فاتحة أفواهها. فلما رأيتها قلت في نفسي: أين أبو بشر الصياد –إنسان كان بأولاس– هذه الساعة؟ فإذا الحيتان قد تفرقت كأنما طرح في وسطها حجر. فالتفت إلي فقال: فعلتها؟ قلت إنما قلت كذا وكذا. فقال لي: مر لست مطلوباً بهذا الأمر، ولكن عليك بهذه الرمال والجبال فوار شخصك ما أمكنك، وتقلل من الدنيا حتى يأتيك أمر الله، فإني أراك بهذا مطالباً. ثم غاب عني فلم أره حتى مات. وكانت كتبه تصل إلي فلما مات كنت قاعداً يوماً فتحرك قلبي للخروج من باب البحر ولم تكن لي حاجة، فقلت لا أكره القلب فيغمني. فخرجت فلما صرت في المسجد الذي على الباب إذا أنا بأسود قام إلي فقال لي: أنت أبو الحارث؟ فقلت: نعم. فقال لي: آجرك الله في أخيك إبراهيم بن سعد – وكان اسمه واضحاً مولى لإبراهيم بن سعد– فذكر أن إبراهيم أوصاه أن يوصل إلي هذه الرسالة، فإذا فيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، يا أخي إذا نزل بك أمر من فقر أو سقم أو أذى فاستعن بالله، واستعمل عن الله الرضا، فإن الله مطلع عليك يعلم ضميرك وما أنت عليه، ولابد لك من أن ينفذ فيك حكمه، فإن رضيت فلك الثواب الجزيل، والأمن من الهول الشديد، وأنت في رضاك وسخطك لست تقدر أن تتعدى المقدور، ولا تزداد في الرزق المقسوم، والأثر المكتوب، والأجل المعلوم، ففي أي

هذه الأفعال تريد أن تحتال في نقضها بهمك، أو بأي قوة تريد أن تدفعها عنك عند حلولها أو تجتلبها من قبل أوانها؟ كلا والله لابد لأمر الله أن ينفذ فيك، طوعاً منك أو كرها، فإن لم تجد إلى الرضا سبيلاً فعليك بالتحمل، ولا تشك من ليس بأهل أن يشكي، ومن هو أهل الشكر والثناء القديم، ما أولى من نعمته علينا فما أعطى وعافى أكثر مما رزق وأبلى، وهو مع ذلك أعرف بموضع الخيرة لنا منا، وإذا اضطرتك الأمور وكل صبرك فالجأ إليه بهمك، واشك إليه بثك، وليكن طعمك فيه، واحذر أن تستبطئه أو تسيء به ظناً فإن لكل شيء سبباً، ولكل سبب أجل، ولكل هم في الله والله فرج عاجل أو آجل، ومن علم أنه بعين الله استحى أن يراه الله يأمل سواه. ومن أيقن بنظر الله له أسقط الاختيار لنفسه في الأمور. ومن علم أن الله هو الضار النافع أسقط مخاوف المخلوقين عن قلبه، وراقب الله في قربه، وطلب الأشياء من معادنها، فاحذر أن تعلق قلبك بمخلوق تعليق خوف أو رجاء، أو تفشي إلى أحد اليوم سرك، أو تشكو إليه بثك، أو تعتمد على إخائه، أو تستريح إليه استراحة تكون فيها موضع شكوى بث، فإن غنيهم فقير في غناه، وفقيرهم ذليل في فقره، وعالمهم جاهل في علمه، فاجر في فعله، إلا القليل ممن عصم الله تعالى.

أبو محرز

ومنهم من سلك مسالك الأكياس، أبو محرز الحارس للخواطر والأنفاس.

صفحة : 1824

حدثنا محمد بن أحمد بن عمر، حدثنا أبي، حدثنا أبو بكر بن عبيد قال: حدثني محمد بن الحسين، حدثنا عون بن عمارة، قال: قال أبو محرز الطفاوي: لما بان للأكياس أعلى الدارين منزلة طلبوا العلو بالعلو من الأعمال، وعلموا أن الشيء لا يدرك إلا بأكثر منه، وبذلوا ما عندهم، بذلوا والله لله المهج رجاء الراحة لديه، والفرج في يوم لا يخيب فيه الطالب. وقال أبو محرز: كلفوا بالدنيا ولن ينالوا منها فوق قسمتهم، وأعرضوا عن الآخرة، وببغيتها يرجو العباد نجاة أنفسهم.

داود بن هلال

ومنهم النصيبي داود بن هلال، المنقطع إلى الجبال والتلال، كان من المقبلين رافعاً، ومن فضول الدنيا واضعاً.

حدثنا أبي، حدثنا أبو الحسن بن أبان، حدثنا أبو عبد الله محمد بن سفيان، حدثنا علي ابن مريم، عن زهير بن عباد، حدثنا داود بن هلال النصيبي، قال: مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصبحت لهم وتزينت لهم، إني قد قذفت

في قلوبهم بغضك والصدود عنك، ما خلقت خلقاً أهون علي منك. كل شأنك صغير وإلى الفناء تصيرين، قضت عليك، من يوم خلقتك أن لا تدومي لأحد ولا يدوم لك أحد وإن بخل صاحبك وشح عليك. طوبى للأبرار الذين أطاعوني من خلقي، أطلعوني من قلوبهم على الرضا، وأطلعوني من ضميرهم على الصدق والاستقامة. طوبى لهم. ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلي من قبورهم، النور يسعى أمامهم، والملائكة حافون بهم، حتى أبلغ بهم ما يرجون من رحمتي.

مسكين الصوفي

ومنهم مسكين بن عبيد الصوفي، حليف الأحزان، الناقل لكلام الأئمة والإخوان.
حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المؤذن، حدثنا أحمد بن أبان، حدثنا أبو بكر بن سفيان، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا مسكين بن عبيد الصوفي. قال: حدثني المتوكل بن الحسين العابد، قال: قال إبراهيم بن أدهم: الحزن حزنان: فحزن لك وحزن عليك. فالحزن الذي هو لك حزنك على الآخرة. والحزن الذي هو عليك فحزنك على الدنيا وزينتها.

العباس بن المؤمل

ومنهم أبو الوليد العباس بن المؤمل الصوفي. امتحن فصبر في محنته فعوفي، راحته في البكاء والأحزان. ومفزعه إلى المقابر والجبان.
حدثنا أبو بكر المؤذن، حدثنا أحمد بن أبان، حدثنا أبو بكر بن سفيان، حدثني محمد بن الحسين قال: حدثنا زيد الخبري قال: حدثني أبو الوليد العباس بن المؤمل الصوفي –وكان أمر هارون بالمعروف فحبسه دهراً– قال: أتاني آت في منامي فقال: كم للحزين غدا في القيامة من فرحة تستوعب طول حزنه في دار الدنيا. قال: فاستيقظت فزعاً فلم ألبث أن فرج الله وأخرجني مما كنت فيه من ذلك الحبس، ففرح بذلك أصحابنا وأهلونا. قال: ورأيت في المنام كأن ذلك الآتي أتاني فقال: بشر المحزونين بطول الفرح غداً عند مليكهم. فعلمت والله أن الحزن إنما هو على خير الآخرة لا على الدنيا. قال زيد: فكان أبو الوليد بما هو دهره باكي العين، إنما يتبع جنازة أو يعود مريضاً، أو يلزم الجبان، وكان محزوناً جداً.

مغيث الأسود

ومنهم مغيث الأسود، آثر الأدوم والأجود، وحبب إليه الأحمد والاعود.
حدثنا أبو بكر المؤذن، حدثنا أحمد بن أبان، حدثنا أبو بكر بن عبيد قال: حدثني محمد بن الحسين قال حدثني يوسف بن الحكم الرقي، حدثنا فياض بن محمد بن سنان، قال: قال لي مغيث الأسود –وكان من خيار موالي بني أمية– قال: قال لي راهب بدير الخلق: ما لي

أراك طويل الحزن؟ قال: قلت له: طالت غيبتي، وبعدت شقتي، وشق علي السفر جداً. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد ظننت أنك من عمال الله في أرضه. قلت: وما أنكرت؟ قال: ظننت أن حزنك لنفسك، فإذا أنت إنما تحزن لغيرك، أما علمت أن المريد حزنه عليه جديد آناء الليل وآناء النهار، ساعات فرحه عند ساعات خلله، هو الدهر باك محزون، ليس له على الأرض قرار، إنما تراه والهاً يفر بدينه، مشغولاً طويل الهم قد علا بثه، همته الآخرة والوصلة إليها بسبيل النجاة من شرها. ثم قال: هاه، وأسبل دموعه فلم يزل يبكي حتى غشي عليه.

القلانسي

ومنهم المؤانسي، أبو عبد الله القلانسي، كان بالعهد وافيا، فكان الحق له في المعاطب ناجيا.

صفحة : 1825

حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا عبد الواحد بن بكر أن أبا عبد الله القلانسي ركب البحر في بعض سياحته فعصفت به الريح في مركبهم، فدعا أهل المركب وتضرعوا ونذروا النذور. وقالوا: أي عبد الله كلنا قد عاهدنا الله ونذرنا نذراً إن نجانا الله، فانذر أنت نذراً وعاهد الله عهداً. فقلت: أنا متجرد من الدنيا، مالي والنذر. فألحوا علي فقلت: لله علي نذر إن يخلصني الله مما أنا فيه لا آكل لحم الفيل. فقالوا: إيش هذا النذر؟ وهل يأكل لحم الفيل أحد؟ فقلت: كذا وقع في سري وأجري الله على لساني. فانكسرت السفينة ووقعت في جماعة من أهلها إلى الساحل فبقينا أياماً لم نذق ذواقاً. فبينما نحن قعود إذا بولد فيل فأخذوه وذبحوه فأكلوا لحمه وعرضوا علي أكله فقلت: أنا نذرت وعاهدت الله أن لا آكل لحم الفيل. فاعتلوا علي بأني مضطر ولي فسخ العهد لاضطراري. فأبيت عليهم وثبت على العهد. فأكلوا وامتلئوا وناموا. فبينما هم نيام إذ جاءت الفيلة تطلب ولدها وتتبع أثره، فلم تزل تشم الرائحة حتى انتهت إلى عظام ولدها فشمته ثم جاءت وأنا أنظر إليها، فلم تزل تشم واحداً واحداً، فلما شمت من واحد رائحة اللحم داسته برجلها أو بيدها فقتلته، حتى قتلتهم كلهم، ثم أقبلت إلي فلم تزل تشمني فلم تجد مني رائحة اللحم، فأدارت مؤخرها وأومأت بخرطومها، أي اركب، فلم أقف على ما أومأت فرفعت ذنبها ورجلها، فعلمت أنها تريد مني ركوبها، فركبتها فاستويت على شيء وطيء فسارت بي سيراً عنيفاً إلى أن جاءت بي في ليلتي إلى موضع زرع وسواد، وأومأت إلي أن أنزل، فتدلت برجلها حتى نزلت عنها. فسارت سيراً أشد من سيرها بي، فلما أصبحت رأيت زرعاً وسواداً وناساً.

فحملوني إلى ملكهم وسألني ترجمانه فأخبرته بالقصة وما جرى على القوم فقال لي: تدري كم السير الذي سارت بك الليلة فقلت لا. فقال: مسيرة ثمانية أيام. سارت بك في ليلة؟ فلبثت عندهم إلى أن حملت ورجعت.

شبل المدري

ومنهم شبل المدري، لوحظ باللطف فبرى.

حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الواحد بن أحمد، حدثنا أبو الفرج بن بكر، عن عبد العزيز بن أحمد، عن أبي موسى الطويل البصري. قال: اشتهى شبل المدري لحماً فأخذه ليحمله فانحطت عليه الحدأة فاختلسته منه، فنوى الصوم ورجع إلى المسجد. قال: فأقبلت الحدأة ونازعتها حدأة أخرى لتغلبها عليه بحزاء منزل شبل. فسقط منها ووقع في حجر امرأة شبل، فقامت وطبخته. فلما رجع شبل إلى منزله ليفطر قدمت امرأته إليه اللحم فقال: من أين لك هذا اللحم: فأخبرته بالحدأتين وتنازعهما. فبكى شبل وقال: الحمد لله الذي لم ينس شبلاً وإن كان شبل ينساه.

عبد الله بن دينار

ومنهم أبو محمد بن عبد الله بن دينار. صان الأسرار. وحفظ بالأنوارا.

حدثنا محمد بن أحمد بن محمد البغدادي، قال: أخبرني جعفر بن عبد الله الدينوري، قال: سمعت أبا حمزة يقول: قلت لابن دينار الجعفي: أوصني، قال: اتق الله في خلواتك، وحافظ على أوقات صلواتك، وغض طرفك عن لحظاتك، تكن عند الله مقرباً في حالاتك.

مساور المغربي

ومنهم مساور المغربي، مستوطن الفيافي الأبي.

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سهل بن عاصم، عن كرد بن عنبسة، قال: قال مساور بن لبيب المغربي: وقفت على راهب ذكروا لي أنه لم يكلم أحداً منذ أربعين سنة، ولم ينزل فيها من صومعته. فلم أزل به حتى أشرف علي فراودته على الكلام فأبى أن يتكلم. فقلت له: بجلال من تركت له الكلام لما كلمتني. قال: فمال قليلاً كهيئة المغمي عليه ثم انتبه كهيئة الفزع ثم قال: سل وأوجز. قلت: منذ متى أنت في هذا الأمر؟ قال: يوم واحد. قلت: وكيف ذاك؟ قال: سمعت الناس يقولون: غداً واليوم، وبعد غد، فنظرت في أمري فإذا أنا لم أعط ما أعطوا، فنظرت فإذا أمس قد فاتني، واليوم هو لي، وغداً لا أدري أدركه أم لا. ثم أدخل رأسه.

الفرج بن سعيد

ومنهم أبو روح الفرج بن سعيد الصوفي. لزم طريق الأئمة والأوتاد. ونقل عنهم ما يتعالج به العباد.

صفحة : 1826

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سهل بن عاصم، حدثنا أبو روح الفرج بن سعيد الصوفي قال: حدثني عثمان بن عمار، قال: سمعت حماد بن زيد يقول: اجتمع أيوب السختياني ويونس بن عبيد وابن عون وثابت البناني في بيت، فقال ثابت: يا هؤلاء كيف يكون العبد إذا دعا الله فاستجاب له دعاءه؟ قال ابن عون: يكون البلاء في نفسه. قال ثابت: فإنه يعترضها العجب بما صنع الله به. فقال يونس بن عبيد لا يكون العبد يعجب بصنع الله له إلا وهو مستدرج. فقال أيوب: وما علامة المستدرج؟ فقال: إن العبد إذا كان له عند الله منزلة فحفظها وأبقى عليها ثم شكر الله أعطاه الله أشرف من المنزلة الاولى. وإذا هو ضيع الشكر استدرجه الله، فكان تضييعه للشكر استدراجاً من الله له، فغلبه عن شكر العجب معرفة الاستدراج. وإن العبد المستدرج إذا ألقى في قلبه شيء من الشكر حمله على التفقد من أين أتى، فإذا عرف ذلك بصدق خضع، فإذا خضع أقال الله عثرته. قال حماد: إن ابن عمر سئل عن الاستدراج فقال: ذلك مكره بالعباد المضيعين. قال: فبكوا جميعاً، ثم رفع أيوب من بينهم يده وقال:يا عالم الغيب والشهادة لا توفيق لنا إن لم توفقنا، ولا قوة لنا إن لم تقونا. فقال يونس: به وجدنا طعم القوة من دعائك يا أبا بكر. قال: وكان أيوب يعرف أصحابه أن له دعوة مستجابة.

أبو اليمان

ومنهم أبو اليمان، قرين الخير الحبر بن سليمان.

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا إسحاق بن أبي حسان، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت أبا سليمان يقول: كان عندنا شيخ يزعمون أنه يعرف اسم الله الأعظم. فأتيته فقلت: يا عم بلغنا أنك تعرف اسم الله الأعظم، فقال: يا ابن أخي تعرف قلبك؟ قلت: نعم. قال: فإذا رأيته رق وأقبل فسل الله حاجتك، فذلك اسم الله الأعظم.

حيان الأسود

ومنهم حيان الأسود.

حدثنا عبد الله، حدثنا إسحاق، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا جعفر بن محمد، عن حيان الأسود. قال: كان عندنا رجل مكث ثلاث عشرة سنة، يصلي في كل يوم وليلة ألف

ركعة، حتى أقعد من رجليه، فإذا صلى العصر احتبى واستقبل القبلة، ثم قال: عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلاً بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك. بل عجبت للخليقة كيف أنست بسواك. ثم يسكت إلى المغرب.

أبو الفضل الهاشمي

ومنهم أبو الفضل الهاشمي: حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا أبو جعفر الرازي، قال: سمعت زكريا بن دلويه يقول: دخل أبو العباس بن مسروق الطوسي على أبي الفضل الهاشمي وهو عليل –وكان ذا عيال ولم يعرف له سببا– قال: فلما قمت قلت في نفسي: من أين يأكل هذا الرجل؟ قال: فصاح: يا أبا العباس رد هذه الهمة الردية فإن الله ألطافا خفية.

إبراهيم المغربي

ومنهم إبراهيم المغربي.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت إبراهيم بن الوليد يقول: دخلت على إبراهيم المغربي وقد رفسته بغلة فكسرت رجله فقال: لولا مصائب الدنيا لقدمنا على الله مفاليس.

أبو تراب الرملي

ومنهم أبو تراب الرملي.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول: خرج أبو تراب الرملي سنة من السنين من مكة فقال لأصحابه: خذوا أنتم طريق الجادة حتى آخذ طريق تبوك. فقالوا له: الحر شديد. قال: لابد، ولكن إذا دخلتم رملة فانزلوا عند فلان صديق لي. قال: فدخلوا الرملة فنزلوا عليه فشوى لهم أربع قطع لحم، فلما وضع بين أيديهم جاءت الحدأة فأخذت قطعة منها، فقلنا: لم تكن رزقنا. فأكلنا الباقي، فلما كان بعد يومين خرج أبو تراب من المفازة فقلنا: هل وجدت في الطريق شيئاً? فقال: لا، إلا يوم كذا رمى إلي حدأة بقطعة شواء حار. فقلنا له: قد تغذينا منه فإنه من عندنا أخذته الحدأة. فقال أبو تراب: كذا كان الصدق.

سعيد الشهيد

ومنهم سعيد الشهيد، المقنع في الحديد، المشتاق إلى رؤية المنعم المجيد.

حدثنا محمد بن أحمد بن محمد، وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني، حدثنا عباس بن يوسف، قال: قال ميسرة الخادم: غزونا في بعض الغزوات فصادفنا العدو، فإذا بفتى إلى

جانبي، وإذا هو مقنع في الحديد، فحمل على الميمنة حتى ثناها، وحمل على الميسرة حتى ثناها، وحمل على القلب حتى ثناها. ثم أنشأ يقول:

صفحة : 1827

أحسن بمولاك سعيد ظنا هذا الذي كنت له تمنى
تنح يا حور الجنان عنا مالك قاتلنا ولا قتلـنـا
لكن إلى سيدكن اشتقنـا قد علم السر وما أعلنا قال: فحمل فقاتل منهم عدداً ثم رجع إلى مصافه، فتكالب عليه العدو، فإذا به قد حمل على الناس وأنشأ يقول:
قد كنت أرجو ورجائي لم يخـب أن لا يضيع اليوم كدي والطلـب
يا من ملا تلك القصور باللـعـب لولاك ما طابت ولا طاب الطرب فحمل الثالثة وأنشأ يقول:
يا لعبة الخلد قفي ثم اسمـعـي مالك قاتلنا فكفـي وارجـعـي
ثم ارجعي إلى الجنان فاسرعـي لا تطمعي لا تطمعي قال: فحمل فقاتل حتى قتل رحمه الله.

سيار النباجي

ومنهم سيار النباجي، الباكي النائح المناجي.

حدثنا عثمان بن محمد العثماني، حدثنا أبو الحسن المذكر، حدثنا عمر بن يوسف، حدثنا أحمد بن مسروق، قال: قال سيار النباجي –وكان قد بكى على الله ستين سنة– قال: نمت عن وردي ذات ليلة، فبينا أنا كذلك رأيت كأني دخلت الجنة وإذا نهر يجري على الدر الجوهر، حافتاه من المسك الأذفر، وعلى شاطئ النهر قباب اللؤلؤ وقباب الذهب والجوهر، وإذا بجوار على الساحل وهن يقلن: سبحان المسبح في كل مكان. سبحانه سبحانه سبحانه. فقلت: من أنتن؟ فقلن: نحن من خلق الرحمن. فقلت: لمن أنتن؟ فقلن:

برانا إله الناس رب مـحـمـد لقوم على الأقدام بالليل قـوم
يناجون رب العالمين إلهـهـم وتسري هموم القوم والناس نوم

أحمد بن روح

ومنهم أحمد بن روح، المستغيث بالمولى من حلول البلوى.

أنشدني عثمان بن محمد العثماني قال: أنشدني الحسين بن عبد الرحمن القاضي قال: حدثني أبي، قال: سمعت أحمد بن روح ينشد:

إذا حلت البلوى صرخت لسـيد به تدفع البلوى وينكشف الضر

أؤمل مولى لا يخيب عبده له العز والآلاء والخلق والأمر قال: وأنشدني
:أيضاً لبعض إخوانه
ألوذ بباب من أدعوه فردا وآمل أن أقرب من حبيبي
إذا نامت عيون الناس طرا قرعت الباب بالقلب الكئيب

جابر الرحبي

.ومنهم جابر الرحبي، له الأحوال الرفيعة، والألطاف البديعة

حدثنا محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: حدثني أبو جعفر الخصاف، قال: قال لي جابر الرحبي يوماً وأنا أماشيه: مر بنا نتسابق، مر أنت هكذا حتى أمر أنا هكذا. قال: فمررت أنا على الجسر فلما أبعدت على الجسر التفت فإذا هو يمشي على الماء ينتضح من تحت قدميه مثل ما يخرج الغبار من تحت قدم الماشي. فلما التقينا قلت: من يحسن مثل هذا؟ أمشي على الجسر وتمشي أنت على الماء. قال فقال لي: أو .قد رأيتني؟ قال قلق: نعم. قال: أنت رجل صالح

ومنهم المستأنس بالحق، المستوحش من الخلق، اسمه خفي، وحاله علوي

حدثنا عثمان بن محمد العثماني، قال: سمعت أبا الحسن محمد بن أحمد يقول، حدثنا عبيد البسري. قال: سألت رجلاً باللكام: ما الذي أجلسك في هذا الموضع؟ قال: وما سؤالك عن شيء إن طلبته لم تدركه، وإن لحقته لم تقع عليه؟ قلت: تخبرني ما هو؟ قال: علمي بأن مجالسة الله تستغرق نعيم الجنان كلها. قلت: بم؟ قال: أواه، قد كنت أظن أن نفسي ظفرت، ومن الخلق هربت، فإذا أنا كذاب في مقامي، لو كنت محباً لله صادقاً ما اطلع على أحد. فقلت: أما علمت أن المحبين خلفاء الله في أرضه، مستأنسون بخلقه، يبعثهم على طاعته. قال: فصاح بي صيحة وقال: يا مخدوع لو شممت رائحة الحب، وعاين قلبك ما وراء ذلك من القرب، وما احتجت أن ترى فوق ما رأيت. ثم قال: يا سماء ويا أرض اشهدا على أنه ما خطر على قلبي ذكر الجنة والنار قط، وإن كنت صادقاً فأمتني. فوالله ما سمعت له كلاماً بعدها، وخفت أن يسبق إلى الظن من الناس في قتله فتركته ومضيت، فبينا أنا على ذلك إذا أنا بجماعة فقالوا: ما فعل الفتى، فكنيت عن ذلك. فقالوا: ارجع فإن الله قد قبضه فصليت معهم عليه، فقلت لهم: من هذا الرجل ومن أنتم؟ قالوا: ويحك، هذا رجل به كان يمطر المطر، قلبه على قلب إبراهيم الخليل عليه السلام، أما رأيته يخبر عن نفسه أن ذكر الجنة والنار ما خطر على قلبه قط؟ فهل كان أحد هكذا إلا إبراهيم الخليل عليه السلام؟ قلت: فمن أنتم؟ قالوا: نحن السبعة المخصوصون من

الأبدال، قلت: علموني شيئاً، قالوا لا تحب أن تعرف، ولا تحب أن يعرف أنك ممن لا يحب أن يعرف.

عبد الله بن خبيق

ومنهم الصادق الواثق، المشمر اللاحق، عبد الله بن خبيق، تذوق بالصفاء، وتحقق بالوفاء، تخرج على يوسف بن أسباط، فأعرض عن الشبهات وأماط. سكن من الثغور أنطاكية.

حدثنا أبو يعلى الحسين بن محمد بن الحسين الزبيدي، حدثنا محمد بن المسيب الأرغياني، حدثنا عبد الله بن خبيق بن سابق، قال: قال لي يوسف بن أسباط: إياك أن تكون من قراء السوق.

حدثنا الحسين بن محمد بن المسيب، حدثنا عبد الله بن خبيق، قال: قال لي حذيفة المرعشي: كيف تفلح والدنيا أحب إليك من أحب الناس إليك؟ وقال لي حذيفة: إن لم تخش أن يعذبك الله على أفضل عملك فأنت هالك. قال وقال الفضل: رأس الأدب عندنا أن يعرف الرجل قدره.

حدثنا الحسين، حدثنا عبد الله. قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام لا تغضب على الحمقى فيكثر غمك. قال: وكان حبر من أحبار بني إسرائيل يقول: يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني فأوحى الله تعالى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل قل له: كم أعاقبك وأنت لا تدري، ألم أسلبك حلاوة مناجاتي.

وبه قال: قيل لابن السماك: ما أطيب الطيبات؟ قال: ترك الشهوات، وقال لي حذيفة المرعشي: ما ابتلي أحد بمصيبة أعظم عليه من قسوة قلبه. وقال لي حذيفة: إنما هي أربعة أشياء: عيناك، ولسانك، وهواك، وقلبك. فانظر عينيك لا تنظر بهما إلى ما لا يحل لك. وانظر لسانك لا تقل به شيئاً يعلم الله خلافه من قلبك. وانظر قلبك لا يكن فيه غل ولا دغل على أحد من المسلمين. وانظر هواك لا تهوى شيئاً من الشر. فما دام لم تكن فيك هذه الأربع خصال فألق الرماد على رأسك.

حدثنا الحسين، حدثنا محمد، حدثنا عبد الله قال: من عاتب نفسه في مرضاة الله آمنه الله من مقته. وأنشدني عبد الله بن خبيق:

أف لدنيا أبت تـواتـينـي إلا بنقضي لها عرى ديني

عيني لحيتي مقـلـتـهـا تطلب ما سرها لتردينـي حدثنا الحسين، حدثنا محمد، حدثنا عبد الله، قال: مكتوب في الحكمة: من رضي بدون قدره رفعه الناس فوق غايته، وقال عبد الله: أنت لا تطيع من يحسن إليك فكيف تحسن إلى من يسيء إليك.

حدثنا محمد بن الحسين بن موسى، قال: سمعت محمد بن علي بن الخليل يقول: سمعت محمد بن جعفر بن سوار يقول: سمعت عبد الله بن خبيق يقول لا يستغني حال من الأحوال عن الصدق، والصدق مستغن عن الأحوال كلها. ولو صدق عبد فيما بينه وبين الله حقيقة الصدق لاطلع على خزائن من خزائن الغيب، ولكان أميناً في السموات والأرض.

قال عبد الله: وحشة العباد عن الحق أوحش منهم القلوب، ولو أنسوا بربهم ولزموا الحق لاستأنس بهم كل أحد. وسئل عبد الله: بماذا ألزم الحق في أحوالي؟ قال: بإنصاف الناس من نفسك، وقبول الحق ممن هو دونك. وقال عبد الله: طول الاستماع إلى الباطل يطفئ حلاوة الطاعة من القلب، ومن أراد أن يعيش حياً في حياته فليزل الطمع عن قلبه.

حدثنا عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي، حدثنا عمر بن عبد الله الهجري، قال: سمعت عبد الله بن خبيق يقول لا تغتم إلا من شيء يضرك غدا، ولا تفرح بشيء لا يسرك غدا، وأنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي، وأطال منك الحزن على ما فاتك، وألزمك الفكرة في بقية عمرك.

حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا عبد الله بن خبيق، قال: حدثني موسى بن طريف قال لي: سمعت يوسف بن أسباط يقول: أربعون سنة ما حاك في صدري شيء إلا تركته.

حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم، حدثنا عبد الله، قال: قال لي يوسف بن أسباط: تعلموا صحة العمل من سقمه، فإني أتعلمه في اثنتين وعشرين سنة.

حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم، حدثنا عبد الله، قال: قال لي يوسف بن أسباط: إذا رأيت الرجل قد أشر وبطر فلا تعظه فليس للموعظة فيه موضع. قال: ونظر يوسف إلى رجل في يده دفتر فقال تزينوا بما شئتم فلن يزيدكم الله إلا اتضاعا.

حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن جابر الطرسوسي، حدثنا عبد الله بن خبيق، قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: يرزق الصادق ثلاث خصال: الحلاوة، والملاحة، والمهابة.

حدثنا محمد، حدثنا عبد الله، حدثنا عبد الله بن خبيق. قال: دخل الطبيب على يوسف وأنا عنده، فنظر إليه، فقال: ليس عليك بأس. فقال: وددت أن الذي تخاف علي كان الساعة.

أسند عبد الله الكثير: فمما تفرد به: حدثنا أبي، حدثنا عمر بن عبد الله بن عمر الهجري –بالأبلة– حدثنا عبد الله بن خبيق، حدثنا يوسف بن أسباط، عن سفيان الثوري، عن محمد بن جحادة، عن قتادة، عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه: هذه ثم هذه، ثم يغتسل منهن غسلاً واحداً.

حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا يوسف بن موسى بن عبد الله المروزي، حدثنا عبد

الله بن خبيق، حدثنا يوسف بن أسباط، عن حبيب بن حسان، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود، قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً فذكر الحديث.

لم يروه عن حبيب إلا يوسف، ولا عنه إلا عبد الله.

حدثنا إبراهيم بن محمد النيسابوري، حدثنا محمد بن المسيب، حدثنا عبد الله بن خبيق، حدثنا يوسف بن أسباط، عن حبيب بن حسان بن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر، قال: وكان قوتي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعاً فلا أزيد عليه حتى ألقى الله تعالى .

لم يروه عن حبيب إلا يوسف، ولا عنه إلا عبد الله.

حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا عبد الله بن خبيق، حدثنا الهيثم بن جميل، عن مبارك بن فضالة، عن الحسن، عن النعمان بن بشير، قال: صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعناه يقول: إن بين يدي الساعة فتناً يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع قوم أخلاقهم بعرض من الدنيا يسير . قال الحسن: والله لقد رأيتهم صوراً ولا عقول، أجساماً ولا أحلام، فراش نار، وذبان طمع، يغدون بدرهمين ويروحون بدرهمين، يبيع أحدهم دينه بثمن العنز.

حدثنا أبو يعلى الحسين بن محمد الزبيري، حدثنا محمد بن المسيب، حدثنا عبد الله بن خبيق، حدثنا الهيثم بن جميل، حدثنا مبارك بن فضالة، عن الحسن، عن أنس. قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: إنها قائمة، فما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها كبير عمل إلا أني أحب الله ورسوله. قال: فلك ما احتسبت وأنت مع من أحببت .

صفحة : 1830

حدثنا أبو يعلى، حدثنا محمد، حدثنا عبد الله بن خبيق، حدثنا يوسف بن أسباط، عن ابن أبي ذيب، عن القاسم، عن بكير بن عبد الله بن الأشج، عن مكرز –رجل من أهل الشام من بني عامر بن لؤي– عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله الرجل يغزو في سبيل الله يريد أن يصيب من عرض الدنيا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم :لا أجر له . فخرج أبو هريرة فأخبر الناس فأعظمهم ذلك فقالوا: لعلك لم تفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فرجع فسأله، فقال :لا أجر له، لا أجر له، لا أجر له .

حدثنا أبو يعلى، حدثنا محمد، حدثنا عبد الله، حدثنا يوسف بن أسباط، عن سفيان الثوري،

عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه .

ذكر جماعة من الأولياء أخفاهم الحق عن الخلق قال الشيخ رحمه الله: وفي الخدم أولياء غيبهم الحق فيه عن الإيمان، ومحا أسماءهم وأنسابهم عن الاشتهار والإذكار، جعلهم أماناً لسكان الممالك، وبإقسامهم عليه يدفع عنهم المهالك.

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا أبو العباس الهروي، حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن زيد بن أسلم، قال: قال محمد بن المنكدر: إني لليلة مواجه هذا المنبر أدعو في جوف الليل إذا إنسان عند أسطوانة مقنع رأسه فأسمعه يقول: أي رب إن القحط قد اشتد على عبادك وإني أقسم عليك يا رب إلا سقيتهم. قال: فما كان إلا ساعة إذا سحابة قد أقبلت ثم أرسلها الله. وكان عزيزاً علي بن المنكدر أن يخفي عليه أحد من أهل هذا الخير، فقال: هذا بالمدينة وأنا لا أعرفه؟ فلما سلم الإمام تقنع وانصرف واتبعه ولم يجلس للقاص حتى أتى دار أنس فأخرج مفتاحاً ففتح ثم دخل. قال: ورجعت فلما سبحت أتيته فإذا أنا أسمع نجراً في بيته. فسلمت ثم قلت: أدخل؟ قال: ادخل، فإذا هو ينجر أقداحاً يعملها. قال فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: فاستشهرها واستعظمها مني. فلما رأيت ذلك قلت: إني سمعت إقسامك البارحة على الله يا أخي، هل لك في نفقة تغنيك عن هذا وتفرغك لما تريد من أمر الآخرة؟ قال: لا، ولكن غير ذلك، لا تذكرني لأحد ولا تذكر هذا لأحد حتى أموت، ولا تأتني يا ابن المنكدر، فإنك إن تأتني شهرتني للناس. قلت: إني أحب أن ألقاك. قال: القنى في المسجد –وكان فارسياً– قال: فما ذكر ذلك ابن المنكدر حتى مات الرجل. قال ابن وهب: بلغني أنه انتقل من تلك الدار فلم ير، ولم يدر أين ذهب. فقال أهل تلك الدار: الله بيننا وبين ابن المنكدر، أخرج عنا الرجل الصالح.

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أبو أسيد، حدثنا عبيد بن جرير بن جبلة، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا السري بن يحيى، حدثنا عبد الله ابن عبيد بن عمير قال: خرجت مع أبي من قرية نريد قرية فضللنا الطريق، فبينا نحن كذلك إذا نحن برجل قائم يصلي، فدنونا منه فإذا حوض يابسة وقربة يابسة، وقد انتظرناه لينفتل من صلاته فلم ينفتل، فأقبل عليه أبي فقال: يا هذا إنا قد ضللنا الطريق، فأومأ بيده نحو الطريق. فقال له أبي: ألا تجعل في قربتك ماء؟ فأومأ بيده أن لا. فما برحنا أن جاءت سحابة فأمطرت فإذا ذلك الحوض ملآن، فمضينا حتى أتينا القرية فذكرنا لهم شأن الرجل فقالوا: ذلك فلان، لا يكون بأرض إلا سقوا. فقال لي أبي: الحمد لله، كم من عبد صالح لا نعرفه.

اخبرنا أبو الأزهر ضمرة بن حمزة بن هلال المقدسي –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا عبيد الله بن سعيد الهاشمي البصري –قدم علينا– حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن مالك بن دينار قال: احتبس عنا المطر بالبصرة فخرجنا يوماً بعد يوم نستسقي فلم نر أثر الإجابة، فخرجت أنا وعطاء السليمي وثابت البناني ويحيى البناني ويحيى البكاء ومحمد بن واسع وأبو محمد السختياني وحبيب أبو محمد الفارسي وحسان بن أبي سنان وعتبة الغلام وصالح المري، حتى صرنا إلى مصلى بالبصرة، وخرج الصبيان من المكاتب واستسقينا فلم نر أثر الإجابة، وانتصف النهار وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت البناني في المصلى، فلما أظلم الليل إذا بأسود صبيح الوجه دقيق الساقين عظيم البطن عليه مئزران من صوف، فقومت جميع ما كان عليه بدرهمين فجاء إلى ماء فتمسح ثم دنا من المحراب فصلى ركعتين كان قيامه وركوعه وسجوده سواء خفيفتين، ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: سيدي إلى كم تردد عبادك فيما لا ينقصك؟ أنفذ ما عندك؟ أم نفدت خزائن قدرتك؟ سيدي أقسمت عليك بحبك لي إلا سقيتنا غيثك الساعة الساعة. قال: قال مالك: فما أتم الكلام حتى تغيمت السماء وأخذتنا كأفواه القرب، وما خرجنا من المصلى حتى خضنا الماء إلى ركبنا. قال: فبقيت أنا وثابت متعجبين من الأسود. ثم انصرف فتبعناه. قال: فتعرضت له فقلت له: يا أسود أما تستحي مما قلت؟ قال: فقال: وماذا قلت؟ قال فقلت له: قولك بحبك لي. وما يدريك أنه يحبك؟ قال: تنح عن همم لا تعرفها يا من اشتغل عنه بنفسه، أين كنت أنا حين خصني بالتوحيد وبمعرفته أفتراه بدأني بذلك إلا بمحبته لي على قدره، ومحبتي له على قدري. قال: ثم بادر يسعى. فقلت له: رحمك الله ارفق بنا. قال: أنا مملوك على فرض من طاعة مالكي الصغير. قال فجعلنا نتبعه من البعد حتى دخل دار نخاس، وقد مضى من الليل نصفه، فطال علينا النصف الباقي. فلما أصبحنا أتيت النخاس فقلت له: عندك غلام تبيعنيه للخدمة قال: نعم عندي مائة غلام كلهم لذلك. قال: فجعل يخرج إلي واحداً بعد آخر وأنا أقول: غير هذا، حتى عرض علي تسعين غلاماً، ثم قال: ما بقي عندي غيرها ولا واحد، قال: فلما أردنا الخروج دخلت أنا حجرة خربة في خلف داره فإذا أنا بالأسود نائم، فكان وقت القيلولة. فقلت: هو هو ورب الكعبة، فخرجت إلى عند النخاس فقلت له: بعني ذلك الأسود. فقال لي: يا أبا يحيى ذلك غلام مشئوم نكد، ليست له بالليل همة إلا البكاء، وبالنهار إلا الصلاة والنوم. فقلت له: ولذلك أريده. قال: فدعا به وإذا هو قد خرج ناعساً، فقال لي: خذه بعد أن تبريني من عيوبه كلها، فاشتريته بعشرين ديناراً بالبراءة من كل عيب. فقلت: ما اسمه، قال: ميمون. قال: فأخذت بيده فأتيت به إلى المنزل، فبينا هو يمشي معي إذ قال لي: يا مولاي الصغير لماذا اشتريتني وأنا لا أصلح لخدمة المخلوقين، قال مالك: فقلت له: حبيبي،

إنما اشتريناك لنخدمك نحن بأنفسنا وعلى رءوسنا. فقال: ولم ذاك، فقلت: أليس أنت صاحبنا البارحة في المصلى؟ فقال: وقد اطلعتما على ذلك فقلت: أنا الذي اعترضت عليك في الكلام. قال: فجعل يمشي حتى صار إلى مسجد فدخله وصف قدميه فصلى ركعتين ثم رفع طرفه إلى السماء، فقال: إلهي وسيدي، سر كان بيني وبينك أظهرته للمخلوقين وفضحتني فيه، فكيف يطيب لي الآن عيش وقد وقف علي ما كان بيني وبينك غيرك؟ أقسمت عليك إلا قبضت روحي الساعة الساعة. ثم سجد فدنوت منه فانتظرته ساعة فلم يرفع رأسه فحركته فإذا هو ميت، قال: فمددت يديه ورجليه، فإذا وجه ضاحك وقد ارتفع السواد وصار وجهه كالقمر، وإذا بشاب قد أقبل من الباب فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أعظم الله أجرنا في أخينا، هاكم الكفن فكفنوه فيه فناولني ثوبين ما رأيت مثلهما ثم خرج، فكفناه فيهما. قال مالك: فقبره يستقي به وتطلب الحوائج إلى يومنا هذا.

صفحة : 1832

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: سمعت عمر بن بحر الأسدي يقول: سمعت محمد بن المبارك الصوري يقول –سنة خمسين ومائتين– قال: خرجنا حجاجاً فإذا نحن بشاب ليس معه زاد ولا راحلة، فقلت: حبيبي في مثل هذا الطريق بلا زاد ولا راحلة؟ فقال لي: تحسن تقرأ فقرأت: بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص، فشهق شهقة خر مغشياً عليه، ثم أفاق فقال: ويحك تدري ما قرأت؟ كاف من كافي، وها من هادي، وعين من عليم، وصاد من صادق، فإذا كان معي كاف وهاد وعليم وصادق ما أصنع بزاد وراحلة، ثم ولي وهو يقول:

يا طالب العلم ها هنا وهـنـا ومعدن العلم بين جنـبـيكـا
إن كنت ترجو الجنان تسكنها فمثل العرض نصب عينيكـا
إن كنت ترجو الحسان تخطبها فأسبل الدمع فوق خـديكـا
وقم إذا قام كل مـجـتـهـد وادعوه كيما يقول لـبـيكـا

حدثنا أحمد، قال: سمعت عمر بن بحر يقول: سمعت أبا الفيض –بإحميم– يقول –وهو في بلده سنة خمسين ومائتين– قال: كنت في تيه بني إسرائيل أريد الحج، فرأيت غلاماً أمرد ماشياً أمامي على المحجة يؤم البيت العتيق بلا زاد ولا راحلة، فقلت لرفيقي: إنا لله، إن كان مع هذا الغلام يقين وإلا هلك. فلحقته، فقلت: يا فتى، فقال: لبيك. فقلت: في هذا الموضع في هذا الوقت بلا زاد ولا راحلة، قال: فنظر إلي ثم قال: يا شيخ ارفع رأسك انظر هل ترى غيره. فقلت: يا حبيبي اذهب حيث شئت.

حدثنا أبو العباس أحمد بن العلاء، حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، قال: قال ذو النون: حججت سنة إلى بيت الله الحرام فضللت عن الطريق، ولم يكن معي ماء ولا زاد، وإني

لمشرف على الهلكة وآيس من الحياة، فلاحت لي أشجار كثيرة، وإذا أنا بمحراب قد كان عهده من متعاهده قريباً، فطرحت نفسي تحت فيء شجرة متوقعاً لنسيم برد الليل، فلما غربت الشمس إذا أنا بشاب متغير اللون نحيل الجسم، يؤم نحو المحراب، فركل برجله ربوة من الأرض فظهر عين أبيض بماء عذب، فشرب وتوضأ به وقام في محرابه، فقمت إلى العين فشربت ماء عذباً وسويق السلت وسكر الطبرزد، فشبعت ورويت وتوضأت فقمت إليه أصلي بصلاته حتى برق عمود الصبح فلما رأى الصبح أقبل وثب قائماً على قدميه ونادى بأعلى صوته: ذهب الليل بما فيه ولم أقض من خدمتك وطرا ولا من عذب ماء مناجاتك شطرا، إلهي خسر من أتعب لغيرك بدنه، وألجأ إلى سواك همته. فلما أراد أن يمضي ناديته: بالذي منحك لذيذ الرغب، وأذهب عنك ملال التعب، إلا حففتني بجناح الرحمة، وأمنتني من جناح الذلة، فإني رجل غريب أريد بيت الله الحرام، فضللت عن الطريق وليس معي ماء ولا زاد ولا راحلة، وإني مشرف على الهلكة آيس من الحياة. فقال: اسكت يا بطال، وهل من موفود وفد إليه فقطع به دون البلاغ إليه لو صححت له في المعاملة لصحح لك في الدلالة. ثم قال: اتبعني. فرأيت الأرض تطوى من تحت أرجلنا حتى رأيت الحجة وسمعت ضجة، فقال: هذه بكة، ثم أنشأ يقول:

من عامل الله بتـقـواه وكان في الخلوة يرعاه
سقاه كأساً من صفا حبه تسلـبـه لـذة دنـياه
فأبعد الخلق وأقصاهـم وانفرد العبد بـمـولاه حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، حدثنا عبد الله بن محمد العطشي، حدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن الحكم النسائي قال: حدثني محمد بن الحسين البرجلاني قال: حدثني حسين بن محمد الشامي، قال: سمعت ذا النون يقول: ركبنا في البحر نريد مكة، ومعنا في المركب رجل عليه أطمار رثة، فوقع في المركب تهمة فدارت حتى صارت إليه، فقلت: إن القوم اتهموك. فقال: أنا تعني؟ فقلت: نعم. فنظر إلى السماء. ثم قال: أقسمت عليك إلا أخرجت ما فيه من حوت بجوهرة. قال: فلقد خيل إلي أن ما في البحر سمكة إلا وقد خرجت في فيها لؤلؤة أو جوهرة، ثم رمى بنفسه في البحر فذهب.

صفحة : 1833

حدثنا أبو بحر محمد بن الحسن بن كوثر، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا يوسف بن يعقوب المقري، حدثنا مبارك بن فضالة بن ثابت البناني قال: كنت واقفاً بعرفة فإذا أنا بشابين عليهما العباءة القطوانية، فقال أحدهما لصاحبه: كيف أنت يا حبيب؟ فأجابه الآخر: لبيك يا محب. قال فقال: أترى أن الرب الذي تواددنا فيه وتحاببنا فيه يعذبنا غداً في القيامة؟

فسمعت قائلاً يقول –سمعته الآذان ولم تره الأعين–: ليس بفاعل، ليس بفاعل.

سمعت أبا بكر محمد بن أحمد الدينوري الطوسي –بمكة– يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: سمعت أبا عبد الله المغربي يقول: خرجت حاجاً فبينا أنا في برية تبوك إذا أنا بامرأة بلا دين ولا رجلين ولا عينين، فتعجبت منها فقلت: يا أمة الله من أين أقبلت؟ قالت: من عنده، قلت: وما تريدين؟ قالت: إليه. قلت: يا سبحان الله غمض عينيك، فغمضتهما، ثم قالت: افتح عينيك ففتحتهما فإذا أنا بها متعلقة بأستار الكعبة ثن قالت: يا أبا عبد الله تتعجب من ضعيف حمله قوي؟ ثم سارت بين السماء والأرض.

حضرت عمر بن رفيل الشيخ الأمين بجرجان وسمعت منه وحدثني بهذا عنه أبو الحسن علي بن عبد الله الهمداني بمكة قال: حكى الشيخ الشبلي أن أبا حمزة كان من شأنه الجلوس في منزله لا يخرج إلا لعظيم لا يسعه القعود عنه، فدخل عليه بعض الفقراء يوماً وليس عنده شيء فخلع قميصه ودفعه إليه فخرج الفقير فغلب على حمزة الوجد، فخرج مجرداً، فبينا هو يمشي في صحراء إذ وقع في بئر، فأراد أن يصيح فذكر العقد بينه وبين الله –وكان قد عاهد الله أن لا يستغيث بمخلوق– فبينا هو في البئر مر رجلان على جادة الطريق فقال أحدهما للآخر: يا أخي هذا البئر في وسط الطريق لو مر به من لا يعلم به لهوى فيه، فامض أنت وجئني بقصب وأنا أنقل الحجارة والتراب، ففعلا وسدا رأس البئر ومضيا، فأردت أن أكلمهما لضعف البشرية أن أخرجاني ثم طموه، فمنعني العقد الذي بيني وبين سيدي، فقلت: سيدي وعزتك لا أستغيث بغيرك. فبينا أنا كذلك وقد مضى بعض الليل إذا التراب يتناثر علي من رأس البئر، كأن إنساناً ينبشه، فسمعت قائلاً يقول لا ترفع رأسك لا يسقط عليك التراب. ثم ناداني: يا أبا حمزة، تعلق برجلي، فتعلقت برجله فإذا هو خشن اللمس، فلما صعدت وصرت فوق البئر على الأرض إذا أنا بسبع عظيم الهيئة فالتفت إلي فسمعت قائلاً يقول: يا أبا حمزة نجيناك من التلف بالتلف، وولى عني في الصحراء فأنشأت أقول:

أهابك أن أبدي إليك الذي أخفى ... وطرفك يدري ما يقول له طرفي

نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى ... وأغنيتني بالفهم منك عن الكشف

تراءيت لي بالغيب حتى كأنما ... تبشرني بالغيب أنك في كفي

أراك وبي من هيبتي لك حشمة ... فتؤنسني بالعطف منك وباللطف

وتحيى محباً أنت في الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة من الحتف حدثنا

علي بن عبد الله قال حدثني محمد بن الحسن، قال: سمعت علي بن محمد الناقد يقول: قال لي بعض شيوخنا: كنت ببعض سواحل الشام فرأيت شاباً عليه طمران فأدمت النظر إليه فقال لي: شدة الشوق والهوى صيرتني كما ترى، فقلت له: زدني فقال:

ما قر لي على مضـجـع كم يلبث الجنب على الجمر

.والله لا زلت له عـاشـقـاً وإن أمت أذكره في القبر فمضى وتركني

سمعت أبا القاسم عبد السلام بن محمد المخرمي الصوفي –بمكة– يقول: قال أبو بكر الجوهري: كنت بعسقلان على برج الخضر أحرس، فمر بي رجل عليه جبة صوف متخرقة، فقمت إليه مسلماً وعانقته وأجلسته وجاريت معه في فنون من العلم، وكان قدماه حافيتين، فقلت له: لم لا تسأل أصحابنا في نعل يقيك الحفاء؟ فقال لي:

يا أخي لرد أمس بالحبـال وحبس عين الشمس بالعقال

ونقل ماء البحر بالغربـال أهون علي من ذل السؤال

واقفـاً بـبـاب مـثـلـي أرتجي مـنـه الـنـوال ثم أخرجني من باب المدينة

فانتهى بي إلى صخرة منقورة فإذا عليها مكتوب: كل بيمينك، من عرق جبينك، فإن ضعف يقينك، فسل المولى يعينك.

صفحة : 1834

حدثنا محمد بن محمد بن عمر، قال: سمعت أحمد بن عيسى الوشاء يقول: سمعت أبا عثمان سعيد بن الحكم يقول: سمعت ذا النون يقول: خرجت في طلب المباحات فإذا أنا بصوت فعدلت إليه فإذا أنا برجل قد غاص في بحر الوله، وخرج على ساحل الكمد وهو يقول في دعائه: أنت تعلم أني أعلم أن الاستغفار مع الإصرار. الحكاية بطولها في ترجمة ذي النون. وكذلك التي تليها.

حدثنا عثمان بن محمد العثماني، حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، حدثنا حيدرة بن عبيدة بن عبيد قال: دخلنا على رجل من العباد نعوده فقلنا له: كيف تجدك؟ فقال: ذنوب كثيرة، ونفس ضعيفة، وحسنات قليلة، وسفرة طويلة، وغاية مهولة. قال: قلنا: ما معك من الزاد لما ذكرته قال: معي الأمل في السيد الكريم. ثم قال: اللهم لا تقطع في تلك الغمرات، وارحمه في تلك الحيرة والحسرات، إذا انخلعت القلوب يوم الندامات. وجعل يتشهد حتى مات.

حدثنا، عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا علي بن حمزة، حدثنا أبو العيناء، قال: حدثنا الأصمعي، عن أبي عمرو بن العلاء، قال: من عرف فضل من فوقه عرف فضله من دونه فإن جحد جحده، وذكر أن السري بن جابر دخل بلاد الزنج قال: فرأيت زنجية تدق الأرز وتبكي وأنشأت تقول بكلامها مالا أقف عليه. فقلت: ليتني أقف على ترجمتها. فلقيت شيخاً فسألته عنها فقال هي تقول:

رمقت بـعـيـنـي يمـنة ثـم يسـرة فلم أر غير اللـه يأمـلـه قـلـبـي

فجئت بإدلال إلـى مـن عـرفـتـه فبالفضل والإحسان يغفر لي ذنـبـي
أياديك لا تحصى وإن طال عهـدهـا وإحسانك المبذول في الشرق
والغرب حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثني عبد الرحمن بن محمد، حدثنا أحمد بن روح، قال: حدثني إبراهيم بن عبد الله، قال: حدثني عبد الرحيم ابن يحيى الرازي، عن أبي خالد بن سليم العامري، قال: بلغني أن راهباً من رهبان القدماء سأل الله حاجة فبعد قضاؤها عليه، فرفع رأسه، وقال: سيدي ومولاي حبستني في أضيق المحابس وجعلتني وحيداً لا أستطيع مذاكرة غيرك، فليس لي راحة إلا عندك، وقد صحت لي الظنون فيك، إلهي فما بال حاجتي محتبسة وأنت لا تخلف الظنون قال: فنودي: هاك حاجتك. فلهذا الكلام حبست حاجتك. قال: فخر مغشياً فلم يفق أياماً ثم رفع رأسه فقال: إلهي أكل هذا تفعل بالمذنبين. فصعق وخر ميتاً.

صفحة : 1835

حدثنا عبد الله بن محمد حدثني أحمد بن سعيد، عن عبيد الله بن عبد الملك، قال: قال: ذو النون المصري: وصف لي باليمن رجل قد برز على المجتهدين، وذكر لي باللب والحكمة، فخرجت حاجاً إلى بيت الله، فلما قضيت به، وكان أصفر اللون من غير مرض، أعمش العينين من غير عمش، ناحل الجسم من غير سقم، يحب الخلوة ويأنس إلى الوحدة، تراه كأنه قريب عهد بمصيبة، قال: فخرج الشيخ ذات يوم إلى صلاة الجمعة فاتبعناه بأجمعنا لنكلمه، فبادر إليه شاب فسلم عليه وصافحه وأبدى له الترحيب والبشر، فقال له الشاب: إن الله بمنه وفضله جعلك ومثلك أطباء لسقام القلوب، ومعالجين لأوجاع الذنوب، وبي جرح قد نغل، وداء قد استطال، فإن رأيت أن تتلطف ببعض مراهمك وتعالجني برفقك. فقال له الشيخ: سل عما بدا لك، قال: ما علامة الخوف من الله؟ قال: أن تؤمن نفسك من كل خوف إلا الخوف من الله. فاضطرب الشاب كما تضطرب السمكة في شبكة الصياد والشيخ قائم بإزائه. ثم إن الشاب رجع وأمر يده على وجهه وقال: رحمك الله متى يتبين للعبد خوفه من الله؟ قال: يا بني إذا أنزل نفسه في الدنيا بمنزلة السقيم وهو يحتمي من كل الطعام مخافة طول الأسقام. قال: فصاح الشاب صيحة ثم قال: أوه، عاقبت فأوجعت. فقال الشيخ: بل داويت فأحسنت، وعالجت فرفقت. فمكث الشاب ساعة لا يحير جوابا. ثم إن الشاب أفاق فأمر يده على وجهه وقال له: رحمك الله فما علامة المحب لله؟ قال: فانتفض الشيخ فزعاً وجرت الدموع على وجهه كنظام اللؤلؤ ثم قال: يا شاب إن درجة الحب درجة سنية بهية رفيعة. قال: فأنا أحب أن تصفها لي. قال: إن المحبين لله شق لهم عن قلوبهم فأبصروا بنور القلوب عظمة الله جل جلاله، فصارت

أبدانهم دنيوية وقلوبهم سماوية، وأرواحهم حجبية، وعقولهم نورانية، تسرح بين صفوف الملائكة بالعيان، وتشاهد تلك الأمور بالتحقيق والبيان، فعبدوا الله بمبلغ استطاعتهم، لا لجنة ولا لنار. قال: فصاح الشاب صيحة خر مغشياً عليه، فحركناه فإذا هو قد فارق الدنيا، فانكب الشيخ يقبل بين عينيه ويبكي ويقول: هذا مصرع الخائفين، وهذه درجة المجتهدين. وهذه منازل المتقين.

حدثنا عبد الله بن محمد، قال: سمعت عمر بن بحر الأسدي، يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري، يقول: بينا أنا ذات يوم في بلاد الشام في قبة من قباب المقابر ليس عليها باب إلا كساء قد أسبلته، فإذا أنا بامرأة تدق على باب الحائط فقلت: من هذا؟ قالت: ضالة دلني على الطريق رحمك الله قلت رحمك الله من أي الطريق تسألين فبكت ثم قالت يا أحمد على طريق النجاة، قلت: هيهات إن بيننا وبين طريق النجاة عقاباً، وتلك العقاب لا تقطع إلا بالسير الحثيث، وتصحيح المعاملة، وحذف العلائق الشاغلة، من أمر الدنيا والآخرة، قال: فبكت بكاء شديداً ثم قالت: يا أحمد سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تتقطع، وحفظ عليك فؤادك فلم يتصدع. ثم خرت مغشياً عليها، فقلت: لبعض النساء: انظروا أي شيء حال هذه الجارية؟ قال أحمد: فقمن إليها ففتشنها فإذا وصيتها في جيبها: كفنوني في أثوابي هذه، فإن كان لي عند الله خير فهو أسعد لي، وإن كان غير ذلك فبعداً لنفسي، قلت: ما هيه؟ فحركوها فإذا هي ميتة، فقلت للخدام: لمن هذه الجارية؟ قالوا: جارية قرشية مصابة، وكان الذي معها يمنعها من الطعام، وكانت تشكو إلينا وجعاً بجوفها، فكان نصفها لمتطبي الشام والعراق، وكانت تقول: خلوا بيني وبين الطبيب الراهب –تعني أحمد– أشكو إليه بعض ما أجد من بلائي لعل أن يكون عنده شفائي.

حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن محمد بن سفيان، حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا محمد بن يزيد بن حبيش، قال: قال وهيب بن الورد، قال رجل: بينا أنا أسير في أرض الروم ذات يوم إذ سمعت هاتفاً فوق رأس الجبل وهو يقول: يا رب، عجبت لمن يعرفك كيف يرجو أحداً غيرك. ثم عاد الثانية، فقال: يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يستعين على أمره أحداً غيرك. ثم عاد الثالثة: فقال: يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يستعين على أمره أحداً غيرك. ثم عاد الثالثة: فقال: يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يتعرض لشيء من غضبك برضاء غيرك. قال: فناديته فقلت: أجني أم أنسي؟ قال: بل أنسي اشتغل بنفسك بما يعنيك عما لا يعنيك.

حدثنا محمد بن أحمد بن أبان، حدثنا أبي، حدثنا أبو بكر بن عبيد، قال: حدثني علي بن

الحسن قال: كان رجل بالمصيصة ذاهب نصفه الأسفل لم يبق منه إلا روحه في بعض جسده، طريحاً على سرير مثقوب، فدخل عليه داخل فقال: كيف أصبحت يا أبا محمد؟ قال: ملك الدنيا منقطع إليه مالي إليه من حاجة إلا أن يتوفاني على الإسلام.

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا عمر بن الحسن الحلبي، قال: حدثني أحمد بن سنان القطان، قال: سمعت عبد الله بن داود الواسطي، يقول: بينا أنا واقف بعرفات إذا أنا بامرأة وهي تقول: من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له. فقلت: من أنت؟ فقالت: امرأة ضالة. فنزلت عن بعيري وقلت لها: يا هذه ما قصتك؟ فقرأت: ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً . الإسراء 36 . فقلت في نفسي: حرورية لا ترى كلامنا. فقلت لها: فمن أين أتيت؟ فقالت: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . الإسراء 1 . فأركبتها بعيري وقدت بها أريد رحال المقدسين، فلما توسطت الرحل، قلت: يا هذه بمن أصوت؟ فقرأت: يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض . ص 26 . يا زكريا إنا نبشرك بغلام . مريم 7 . يا يحيى خذ الكتاب بقوة . مريم 19 . فناديت: يا داود، يا زكريا، يا يحيى. فخرج إلي ثلاثة فتيان من بين الرحالات. فقالوا: أمنا ورب الكعبة، ضلت منذ ثلاثة. فأنزلوها، فقرأت: فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة . الكهف 19 . فغدوا فاشتروا تمراً وفستقاً وجوزاً وسألوني قبوله فقبلته، فقلت لهم: ما لها لا تتكلم؟ قالوا: هذه أمنا لا تتكلم منذ ثلاثين سنة إلا بالقرآن مخافة أن تزل.

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عمر بن بحر الأسدي، قال: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: قال أبو سليمان الداراني: رأيت زخلة العابدة في الموقف وهي تدعو وهي تقول: أثقلني الآثام ونهضتني الأيام، يا سيد الأنام. كحلت عيني بكحول الحزن، فوعهدك لا نعمت بضحك أبداً. حتى أعلم أين محل قراري، وإلى أي الدارين داري. فلما رأت أيدي الناس مبسوطة بالدعاء قالت: يا رب أقامهم هذا المقام خوف النار، يا قرة عين الأبرار، يلتمسون نائلك ويرجون فضائلك، فاجعل زخرف الطاعة لي شعاراً، ومرضاتك لي دثاراً، وزد قلبي كمداً بخوفك، واعصمني من سخطك. فلما انصرف الإمام وضعت يدها على خدها فقالت: انصرف الناس ولم أشعر قلبي منك الإياس، ثم صرخت وغشي عليها.

حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد، حدثنا أبو بكر الدينوري المفسر، حدثنا محمد بن أحمد الشمشاطي، قال: سمعت ذا النون المصري يقول: بينا أنا أسير على شاطيء نيل مصر إذا أنا بجارية تدعو وهي تقول في دعائها: يا من هو عند ألسن الناطقين، ويا من هو عند قلوب الذاكرين، ويا من هو عند فكرة الحامدين، ويا من هو على نفوس الجبارين والمتكبرين، قد علمت ما كان مني يا أمل المؤملين. قال: ثم صرخت صرخة خرت مغشياً

.عليها

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عمر بن بحر الأسدي، قال: سمعت عبد الله بن محمد البلوي ثم الأنصاري، يقول: حدثنا أبو إسحاق جماع بن سماعة الكتاني، قال: أخبرني ابن فارس، قال: أخبرني أعرابي بنجد، قال: كان لي جار فمرض فعدته فقلت: يا أبا نجيد كيف تجدك؟ قال: أجدني أسمع حادي الموت قد غرد، وهاتف النقلة قد ردد، ولي نفس تواقة تشره إلى الدنيا فهي تشغلني عن سماع النداء، وتثبطني بتطويل الأمل عن إجابة الداعي، ونذيراي شيبي وسقمي يؤيساني، وخادعاي حرصي وأملي يطمعاني، وأنا كذي نفسين: نفس تكره الحمام وتحب المقام، ونفس متوطنة بالارتحال ولهة بالانتقال، على أن الحق يغلب الباطل، كما يغلب حلم الحليم سفه الجاهل. ثم أنشأ يقول:

صاح بي الشيب لا مقام ... وبين الرجعة السقـام
صوتان قد أزعجا وحثا ... عمري وراعني الحمام
لا آمن الدهر والمنـايا ... إذ كل عمر له انصرام

صفحة : 1837

حدثنا عبد الله بن محمد قال: قرأت في كتاب ابن حاتم العلكي: حدثكم عبد الجبار، عن المغيرة بن سهل، عن الربيع بن صبيح، عن الحسن، قال: كان في زمن عمر بن الخطاب فتى يتنسك ويلزم المسجد فعشقته جارية فجاءته فكلمته سراً فقال: يا نفس تكلمينها سراً فتلقين الله زانية؟ فصرخ صرخة غشي عليها، فجاء عم له فحمله إلى منزله، فلما أفاق قال له: يا عم الق عمر فاقرأ عليه مني السلام وقل له: ما جزاء من خاف مقام ربه؟ فقال: وعليك السلام، جزاؤه جنتان، جزاؤه جنتان.

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أبو بكر الدينوري المفسر، حدثنا محمد بن أحمد الشمشاطي، قال: سمعت ذا النون يقول: بينا أنا في سواد مصر إذا أنا بأسود تقاس دقة ساقيه والخلال في نحافته، فدنوت منه فسلمت عليه فقال: وعليك السلام يا ذا النون. قلت: عافاك الله كيف عرفتني ولم أتعاهدك قبل اليوم؟ قال: يا بطال، اتصلت المعرفة بحركات العارفين، فعرفتك بمعرفة المحبوب، ثم أنشأ يقول:

إن عرفان ذي الجلال لعز ... وبهاء وبهـجة وسـرور
وعلى العارفين أيضاً بهـاء ... وعليهم من الجلالة نـور
فهنيئاً لمن أطاعـك ربـي ... فهو في الخير كله مغمور
ليس للخائفين غيرك ربـي ... أنت سؤلي ومنيتي يا غفور

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المفسر، حدثنا محمد بن أحمد الشمشاطي، قال:

قال أبو عامر: كنت جالساً في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فإذا أنا بغلام أسود قد جاءني برقعة فنظرت فيها فإذا فيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم. متعك الله بمسامرة الفكرة، ونعمك بمؤانسة العبر، وأفردك بحب الخلوة، أنا رجل من إخوانك بلغني قدومك المدينة فسررت بذلك فأحببت زيارتك، فحجبت عن ذلك، فالتمست مخرج العذر من كتاب الله، فوجدت الله قد منحني ثلاث خصال: أذهب عني حرج أهلها وبي من الشوق إلى مجالستك، والاستماع لمحادثتك، ما لو كان فوقي لأظلني، ولو كان تحتي لأقلني، فأسألك إلا ألحفتني جناح المتفضل علي بزيارتك، والسلام. قال: أبو عامر: فقمت مع الغلام حتى أتى بي منزلاً رحباً خرباً، فقال لي: قف حتى أستأذن لك. فوقفت حتى خرج فقال لي: لج. فدخلت فإذا أنا ببيت له باب من جريد النخل، فإذا أنا بكهل مستقبل القبلة تخاله من الورع مكروباً، ومن الخشية محزوناً، قد ظهرت في وجهه أحزانه، وقد قرحت من البكاء عيناه، ومرضت أجفانه، فسلمت عليه فرد السلام ثم تخلخل فلم يطق القيام، فإذا هو أعرج أعمى مسقام ، فقال لي: متع الله بالأحزان لبك، وغسل من ران الذنوب قلبك، لم تزل نفسي إليك مشتاقة، وقلبي إليك تواقا، وبي جرح قد أعيا الناس دواؤه، والمتطببين شفاؤه، فلاق له أجود الترياق وإن كان الأمر مر المذاق، فإني ممن أصبر على مضض الدواء، مخافة ما يتوقع من عظيم البلاء. قال: فسمعت كلاماً حسناً ورأيت منظراً أفظعني، فأطرقت طويلاً ثم تأتي من كلامي ما تأتي، فقلت: يا شيخ ارم ببصر قلبك في ملكوت السماء فتمثل بحقيقة إيمانك جنة المأوى، فسترى ما أعد الله فيه للأولياء، ثم أشرف بقلبك ناراً تتلظى، فسترى ما أعد فيها للأشقياء، شتان ما بين المنزلتين والدارين شتان، أليس الفريقان في الموت سواء. قال: فأن أنة وزفر زفرة والتوى ثم قال: قد وقع دواؤك على دائي، وقد علمت أن عندك شفائي. زدني يرحمك الله. فقلت: إنه عالم بخفياتك، مطلع على سرائرك. قال: فصرخ صرخة خر ميتاً. فإذا أنا بجارية قد رفعت العباءة عليها جبة من صوف قد أقرع السجود حاجبيها وأنفها، فلما نظرت إلي قالت: أحسنت يا هادي قلوب العارفين، ومثير أحزان المحزونين، لا أنسى لك هذا الموقف رب العالمين. هذا أبي مبتلي منذ عشرين سنة: صلى حتى انحنى، وصام حتى أقعد، وبكى حتى عمي، وكان يتمناك على ربه عز وجل، ويقول: سمعت كلام أبي عامر مرة فأحيا الله موات قلبي، فإن سمعته ثانياً قتلني. قال أبو عامر: فرأيته في المنام بعد ليال كأنه في روضة من رياض الجنة فقلت له: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي. وأنشأ يقول:

أنت شريكي في الذي نلته ... مستأهلاً ذاك أبا عامـر

وكل من أيقظ ذا غفـلة ... فنصف ما يعطاه للآمر

من رد عبداً آبقـاً مـرة ... كان كالمجتهد الصابـر

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا أبو قرة قال: كان بعض التابعين يقول: اللهم أنت تعطيني من غير أن أسألك، فكيف تحرمني وأنا أسألك.. اللهم إني أسألك أن تسكن عظمتك قلبي، وأن تستقيني شربة من كأس حبك، قال: أحمد بن أبي الحواري: وحدثنا جعفر بن محمد قال: كان بعض التابعين يقول: اللهم أمت قلبي بخوفك وخشيتك، وأحيه بحبك وذكرك.

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا الفضيل بن أحمد، حدثنا أبو حاتم، حدثنا محمد بن هشام، قال: سمعت رجلاً قام في مسجد الخيف ليالي مني ليلاً فنادى: يا رب العالمين، أتاك الخاطئون طامعين في رحمتك راجين تائبين فأقبلنا وإياهم مغفورين، ولا تردنا وإياهم خائبين.

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن نصر، قال: قال إبراهيم ابن الجنيد: كان بعض العباد يقول: أحيوا قلوبكم بذكر الله، وأميتوها بالخشية، ونوروها بحب الله، وفرحوها بالشوق إليه، واعلموا أنكم بالمحبة ترتفعون، وبالمغفرة ترهبون، وبالشوق ترغبون، وبحسن النية تقهرون الهوى، وبترك الشهوات تصفو أعمالكم، حتى يورثكم ملكوت السموات في عليين، فمن أراد منكم الراحة فليعمل في منازل أهل المحبة، وإن من أخلاق أهل محبة الله كثرة الذكر في ساعات الليل والنهار بالقلب واللسان، فإن أمسك اللسان فالقلب، فإن ذكر القلب أبلغ وأنفع. قال إبراهيم بن الجنيد: قال بعض العباد: وجدت الله غيوراً يمنعني من كل من أرجوه، وإذا سبح قلبي في مودته أجري ذكره على لساني، فواشوقاه ثم واشوقاه. ثم خر مغشياً عليه.

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح، حدثنا عبد الله بن خبيق، حدثنا سعيد بن عبد الرحمن قال: كنت في مجلس يزيد بن هارون وقد نفد بعض نفقتي في بعض الأسفار فقال بعض أصحاب الحديث: من تؤمل لما نزل بك؟ قلت: يزيد بن هارون. قال: إذاً لا تقضي حاجتك، ولا تنجح طلبتك، قال: وما علمك؟ قال: لأني قرأت أن الله تعالى يقول: وعزتي وجلالي وجودي وكرمي وارتفاعي في مكاني، لأقطعن أمل كل مؤمل يؤمل غيري بالإياس، ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس، ولأنحينه من قربي، ولأبعدنه من وصلي، أيؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي، ويرجو غيري ويقرع بالفقر باب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب، وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني، من ذا الذي أملني لنوائبه فقطعت به دونها؟ ومن ذا الذي رجاني لعظيم جرمه فقطعت رجاءه؟ ومن ذا الذي دعاني فلم أفتح له؟ جعلت آمال عبادي متصلة بي فقطعت من غيري، وجعلت رجاءهم مدخراً عندي فلم يرضوا بحفظي، وملأت سماواتي ممن لا يملون من تسبيحي وأمرتهم ألا

يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي، فلم يثقوا بقولي. ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد إلا بإذني؟ فمالي أراه بآماله معرضاً عني؟ ومالي أراه لاهياً عني، أعطيته بجودي ما لم يسألني، ثم انتزعته منه ولم يسألني رده وسأل غيري، أنا أبدأ بالعطية قبل أن أسأل، ثم أسأل فلا أخيب سائلي، أبخيل أنا فيبخلني عبادي؟ أو ليس الدنيا والآخرة لي؟ أو ليس الفضل والرحمة بيدي؟ أو ليس الجود والكرم لي؟ أو ليس أنا محل الآمال، فمن يقطعها دوني. أو ما يحسن المؤملون أن يؤملوني. لو جمعت أهل سماواتي وأرضي فأعطيت كل واحد منهم من الفكر مثل ما أعطيت الجميع فقلت لهم أملوني فأملوني، فأعطيت كل واحد منهم مسألته لم ينقص مما عندي عضو ذرة، وكيف ينقص ملك أنا قيمه؟ فيا بؤساً للقانطين من رحمتي، ويا سوأة من عصاني فلم يراقبني.

صفحة : 1839

حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، قال: سمعت أحمد بن موسى الأنصاري، قال: قال منصور بن عمار: حججت حجة فنزلت سكة من سكك الكوفة فخرجت في ليلة مظلمة طخياء مطلخمة مستحلكة، فإذا أنا بصارخ يصرخ في جوف الليل وهو يقول: إلهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، ولقد عصيتك إذا عصيتك وما أنا بنكالك جاهل. ولكن خطيئتي عرضت وأعانني عليها شقائي، وغرني سترك المرخي علي، وقد عصيتك بجهدي وخالفتك بجهلي، فإلى من أحتمي ومن من عذابك يستنقذني، وبحبل من أتصل إذا أنت قطعت حبلك عني؟ واشباباه واشباباه. فلما فرغ من قوله تلوت عليه آية من كتاب الله: ناراً وقودها الناس والحجارة . التحريم 6 . الآية. فسمعت دكدكة لم أسمع بعدها حساً، فمضيت، فلما كان من الغد، رجعت في مدرجتي فإذا أنا بجنازة قد أخرجت وإذا أنا بعجوز قد ذهب متنها –يعني قوتها– فسألتها عن أمر الميت ولم تكن عرفتني– فقالت: هذا رجل لا جزاه الله إلا جزاءه مر بابني البارحة وهو قائم يصلي فتلا آية من كتاب الله فتفطرت مرارته فوقع ميتاً.

قال: إبراهيم بن أبي طالب النيسابوري حدث ابن أبي الدنيا، عن محمد بن إسحاق الثقفي بهذه الحكاية، وحدثنا أبي، حدثنا خالي أحمد بن محمد بن يوسف، عن أبيه، عن شيخ له قال منصور بن عمار: خرجت في ليلة من الليالي وظننت أن النهار قد أضاء فإذا الصبح على فقعدت إلى دهليز مشرف، فإذا أنا بصوت شاب يدعو ويبكي وهو يقول: اللهم وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، ولقد عصيتك وإذا عصيتك وما أنا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولا بنظرك مستخف، ولكن سولت لي نفسي فأعانتني عليها شقوتي، وغرني سترك المرخي علي، فقد عصيتك وخالفتك بجهلي، فمن من عذابك يستنقذني،

ومن أيدي زبانيتك من يخلصني? وبحبل من أتصل إذا أنت قطعت حبلك عني? واسوأتاه إذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا، فيا ليت شعري مع المثقلين نحط أم مع المخفين نجوز وننجو، كلما طال عمري وكبر سني وكثرت ذنوبي، وكثرت خطاياي. فيا ويلي كم أتوب وكم أعود ولا أستحي من ربي. قال منصور: فلما سمعت هذا الكلام وضعت فمي على باب داره وقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة . التحريم 6 الآية، قال منصور: ثم سمعت للصوت اضطراباً شديداً وسكن الصوت، فقلت: إن هناك بلية. فعلمت على الباب علامة ومضيت لحاجتي، فلما رجعت من الغد إذا أنا بجنازة منصوبة وأكفان تصلح وعجوز تدخل الدار وتخرج باكية، فقلت: يا أمة الله من هذا الميت منك? قالت: إليك عني لا تجدد على أحزاني. قلت: إني رجل غريب أخبريني. قالت: والله لولا أنك غريب ما أخبرتك، هذا ولدي، ومن زل عن كبدي. ومن كنت أظن به سيدعو لي من بعدي، كان ولدي من موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إذا جن عليه قام في محرابه يبكي على ذنوبه، وكان يعمل هذا الخوص فيقسم كسبه أثلاثاً، فثلث يطعمني، وثلث للمساكين، وثلث يفطر عليه. فمر علينا البارحة رجل لا جزاه الله خيراً، فقرأ عند ولدي آية فيها ذكر النار فلم يزل يضطرب ويبكي حتى مات رحمه الله. قال منصور: فهذه صفة الخائفين إذا خافوا السطوة.

ذكر جماعة من الأئمة الأصفياء قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: قد ذكرنا طرفاً من أحوال من أخفاهم الحق عن الخلق، وخصهم بالأنس به، ولم ينصبهم أعلاماً يقتدى بهم، ونعود إلى ذكر بعض من نصبهم الحق للقدوة والتعليم، والدعوة والتفهيم، وجعلهم خلفاء الأنبياء، وأئمة الأصفياء. مقتصرين على ذكر جماعة منهم. والله خير معين وموفق له إن شاء الله تعالى.

عدنا مستعينين بالله عز وجل مقتصرين على ذكر جماعة نصبوا وشهروا للقدوة، وطهروا من الأكدار، وجردوا من الأغيار، وهذبوا بصحبة السادة والأخيار، واقتبسوا عن الأئمة من اتباع الآثار وأيدوا بالأنوار، وحفظوا من تلوين الأسرار، وخصوا بصافي الأذكار، وعصموا من مسامرة الأشرار وملاحظة الأوزار.

سهل بن عبد الله

فمنهم الشيخ المسكين، الناصح الأمين، الناطق بالفضل الرصين، أبو محمد سهل ابن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري، تخرج عن خاله محمد ابن سوار، ولقى أبا الفيض ذا النون المصري بالحرم. عامة كلامه في تصفية الأعمال، وتنقية الأحوال عن المعايب والأعلال.

سمعت أبي يقول: سمعت أبا بكر الجوربي يقول: سمعت أبا محمد بن عبد الله يقول: أصولنا ستة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى، والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق.

وقال: من كان اقتداؤه بالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن في قلبه اختيار لشيء من الأشياء، ولا يجول قلبه سوى ما أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وسئل: هل للمقتدي اختيار بالاستحسان؟ قال: لا، إنما جعل السنة واعتقادها بالاسم ولا تخلو من أربعة: الاستخارة والاستشارة والاستعانة والتوكل، فتكون له الأرض قدوة والسماء له علماً وعبرة، وعيشته في حاله لأن حاله المزيد وهو الشكر.

وقال: أيما عبد قام بشيء مما أمره الله به من أمر دينه فعمل به وتمسك به فاجتنب ما نهى الله تعالى عنه عند فساد الأمور، وعند تشويش الزمان، واختلاف الناس في الرأي والتفريق، إلا جعله الله إماماً يقتدى به هادياً مهدياً قد أقام الدين في زمانه وأقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الغريب في زمانه، الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ وما من عبد دخل في شيء من السنة وكان نيته متقدمة في دخوله الله إلا خرج الجهل من سره شاء أو أبي بتقديمه النية، ولا يعرف الجهل إلا عالم فقيه زاهد عابد حكيم. وسئل: كيف يتخلص العبد من خدعة نفسه وعدوه؟ قال: يعرف حاله فيما بينه وبين الله وبعد عرفان حاله فيما بينه وبين الله يعرض نفسه على الكتاب والأثر ويقتدي في الأشياء. بالسنة وقال: على هذا الخلق من الله أن يلزموا أنفسهم سبعة أشياء فأولها الأمر والنهي وهو الفرض ثم السنة ثم الأدب ثم الترهيب ثم الترغيب ثم السعة. فمن لم يلزم نفسه هذه السبعة ولم يعمل بها لم يكمل إيمانه ولم يتم عقله ولم يتهنأ بحياته ولم يجد لذة طاعة ربه.

قال: وسمعت سهلاً يقول: اعلموا إخواني أن العباد عبدوا الله على ثلاثة وجوه: على الخوف والرجاء والقرب. وكل علامة يعرف بها، وشهادة تشهد له بها بماله وعليه. فعلامة الخائف الاشتغال بالتخلص مما يخاف، فلا يزال خائفاً حتى يتخلص، فإذا تخلص مما يخاف اطمأن وسكن، فهذه علامة الخائفين. وأما الراجي فإنه رجى الجنة وطلب نعيمها وملكها فأعطى القليل في طلب الكثير فبذل نفسه وخاف أن يسبقه أحد إليها فجد في البذل وتحرز من الدنيا ألا يقف غدا في الحساب فيسبق، فهذه علامة الراجي. وأما العارف الذي طلب معرفة الله وقربه فإنه بذل ماله فأخرجه ثم نفسه فباعه ثم روحه فأباحه، فلو لم تكن جنة ولا نار لما مال ولا زال، ولا فتر. فهذه علامة العارف. فانظروا الآن أيها العقلاء من أي القوم أنتم، أموتى لا حياة فيكم أم لا موتى ولا أحياء؟ أم أحياء حيوا بحياة الخلد.

ويحك إن الخائف حي بحياة واحدة، والراجي حياتان، والعارف ثلاث حياوات: وهي الحياة التي لا موت فيها. فحياة الخائف إذا أمن النار فقد حي بحياة ثم يتم بحياة ثانية ويدخل الجنة بغير حساب. والراجي أمن من العذاب ومن الحساب فمر إلى الجنة مع السابقين بغير حساب، فصار له أمانان. وأما العارف فصار له أمان من النار والأمان الثاني صار إلى الرحمن وصار الراجي إلى الجنة فسبق هو إلى الرحمن فصار له ثلاث حيوات. فانظروا من أي القوم أنتم، واسلكوا طريق العارفين ولا ترضوا لربكم بهدية الدون. فبقدر ما تهدون تكرمون وتقربون، وبقدر ما تقربون تنعمون. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال: أول ما ينبغي للعبد أن يتخلق به ثلاث أخلاق وفيها اكتساب للعقل: احتمال المؤونة والرفق في كل شيء، والحذر أن لا يميل في الهوى، ولا مع الهوى ولا إلى الهوى. ثم لابد له من ثلاث أحوال أخر وفيها اكتساب العلم العالي والحلم والتواضع. ثم لابد من ثلاثة أخر وفيها اكتساب المعرفة وأخلاق أهلها السكينة والوقار والصيانة والإنصاف. ومن أخلاق الإسلام والإيمان الحياء وكف الأذى وبذل المعروف والنصيحة، وفيها أحكام التعبد. وقال: أركان الدين أربعة: الصدق، واليقين، والرضا، والحب. فعلامة الصدق الصبر وعلامة اليقين النصيحة، وعلامة الرضا ترك الخلاف، وعلامة الإيثار والصبر يشهد للصدق. وقال: الجاهل ميت والناسي نائم، والعاصي سكران، والمصر ندمان.

صفحة : 1841

سمعت أبا عمر عثمان بن محمد العثماني يقول: سمعت أبا بكر محمد بن يحيى بن أبي بدر يقول: سمعت أبا محمد سهل بن عبد الله يقول: الانقطاع من الشهوات الخروج من الجهل إلى العلم، ومن النسيان إلى الذكر، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الإصرار إلى التوبة.

قال: وسمعت أبا محمد سهل بن عبد الله يقول في قوله تعالى: ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . الطلاق . قال: من يتق الله في دعواه فلا يدعي الحول والقوة ويتبرأ من حوله وقوته، ويرجع إلى حول الله وقوته، يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه. قال لا يصح التوكل إلا لمتق، ولا تتم التقوى إلا لمتوكل. لقوله تعالى: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين . المائدة 23 . قال: إن كنتم مصدقين أنه لا دافع ولا نافع غير الله لقوله تعالى: ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم . فاطر .

قال: وسمعت أبا محمد يقول: أركان الدين النصيحة والرحمة والصدق والإنصاف والتفضل والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم والاستعانة بالله على ذلك إلى الممات.

قال: وسمعت أبا محمد يقول: دخل قوم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من القوم؟ فقالوا: مؤمنون. فقال: إن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانكم؟ قالوا الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء. فقال النبي صلى الله عليه وسلم فقهاء علماء كادوا من الفقه أن يكونوا أنبياء. ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا كان الأمر كما تقولون فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون. واتقوا الله الذي إليه تصيرون . قال: أبو محمد ففسروا لا تبنوا ما لا تسكنون –يعني الأمل– ولا تجمعوا ما لا تأكلون –يعني الحرص– واتقوا الله الذي إليه تصيرون– يعني المراقبة.

حدثنا عثمان بن محمد، حدثنا العباس بن أحمد، قال سهل بن عبد الله لا يفتح الله قلب عبد فيه ثلاثة أشياء: حب البقاء وحب الغنى وهم غد.

قال: وسئل سهل بن عبد الله: متى يستريح الفقير من نفسه؟ قال: إذا لم ير وقتاً غير الوقت الذي هو فيه.

حدثنا عثمان بن محمد، قال سمعت محمد بن أحمد يقول: سمعت أصحابنا يقولون: إن أول ما حفظ من كلام سهل بن عبد الله أن قال: إن الله لم يبطل حسنات من أخذ الشهوات في هوى نفسه، ولا منعهم من الحسنات بجوده وكرمه، ولكن حرم عليهم أن يجدوا بقلوبهم شيئاً مما يجده الصديقون بقلوبهم إلا في الضرورة من الحلال. وذلك أن الله أعز وأغير من أن يعطي آخذ الشهوات شيئاً من مواجد القلوب إلا في حال الضرورة.

قال: فقال له إبراهيم –كالمنكر عليه– يا أخي إيش هذا؟ فقال: حق لزمني. قال: وما هو؟ قال: مات ذو النون. قال: متى؟ قال: أمس.

حدثنا أبو القاسم عبد الجبار بن شيرياز بن زيد النهرجوطي –في كتابه– وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني، قال: قال سهل بن عبد الله لا تفتش عن مساوئ الناس ورداءة أخلاقهم، ولكن فتش وابحث في أخلاق الإسلام ما حالك فيه حتى تسلم ويعظم قدره في نفسك وعندك.

صفحة : 1842

حدثنا عثمان بن محمد قال: قرئ على أبي الحسن أحمد بن محمد الأنصاري، قال: سمعت محمد بن احمد بن سلمة النيسابوري، قال: سمعت أبا محمد سهل بن عبد الله يقول: قال الله لآدم: يا آدم إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي وخاف غير عدلي لم يعرفني، يا آدم أن لي صفوة وضنائن وخيرة من عبادي أسكنتهم صلبك، بعيني من بين خلقي أعزهم بعزي وأقربهم من وصلي، وأمنحهم كرامتي، وأبيح لهم فضلي، وأجعل قلوبهم خزائن كتبي، وأسترهم برحمتي، وأجعلهم أماناً بين ظهراني عبادي فبهم أمطر

السماء، وبهم أنبت الأرض، وبهم أصرف البلاء. هم أوليائي وأحبائي، درجاتهم عالية، ومقاماتهم رفيعة، وهممهم بي متعلقة. صحت عزائمهم، ودامت في ملكوت غيبي فكرتهم، فارتهنت قلوبهم بذكري، فسقيتهم بكأس الأنس صرف محبتي، فطال شوقهم إلى لقائي، وإني إليهم لأشد شوقاً. يا آدم من طلبني من خلقي وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني. فطوبى يا آدم لهم ثم طوبى لهم ثم طوبى لهم وحسن مآب. يا آدم هم الذين إذا نظرت إليهم هان علي غفران ذنوب المذنبين لكرامتهم علي. قلت: يا أبا محمد زدنا من هذا الضرب رحمك الله، فإنها ترتاح القلوب وتتحرك. فقال: نعم إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً. فكان داود يقول في مزاميره: واها لهم يا ليتني عاينتهم، يا ليت خدي نعل موطئهم. ثم احمرت بعد أدمته أو اصفر لونه وجعل يقول: جعل الله نبيه وخليفته خادماً لمن طلبه، لو عقلت –وما أظنك تعقل– قدر أولياء الله وطلابه، ولو عرفت قدرهم لاستغنمت قربهم ومجالستهم وبرهم وخدمتهم وتعاهدهم.

قال: وسمعت سهل بن عبد الله يقول: إذا خلا العبد من الدنيا وهرب من نفسه إلى الله، وسقط من قلبه أثر الخلائق لم يعجبه شيء ولم يسكن إلى شيء غير الله قط. فالله مؤنسه ومؤدبه وكالئه وحافظه وجليسه وأنيسه: إياه يناجي، وله ينادي، وبه يستأنس، وإليه يرغب، وإليه يستريح. قال الله جل ذكره: طوبى لمن خلقته فعرفني، ودعوته فأجابني، وأمرته فأطاعني، ورزقته فحمدني، وأعطيته فشكرني، وابتليته فصبر لي، وعافيته فذكرني ومدحني.

سمعت عثمان بن محمد يقول: سمعت أبا محمد بن صهيب يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: الدنيا كلها جهل إلا العلم فيها، والعلم كله وبال إلا العمل به. والعمل كله هباء منثور إلا الإخلاص فيه، والإخلاص فيه أنت منه على وجل حتى تعلم هل قبل أم لا.

قال: وسمعت سهلاً يقول: شكر العلم العمل، وشكر العمل زيادة العلم.

حدثنا عثمان بن محمد العثماني، قال: سمعت أبا محمد بن صهيب، يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: ما من قلب ولا نفس إلا والله مطلع عليه في ساعات الليل والنهار. فأيما قلب أو نفس رأى فيه حاجة إلى سواه سلط عليه إبليس.

قال: وسمعت سهلاً يقول: الله قبلة النية، والنية قبلة القلب، والقلب قبلة البدن، والبدن قبلة الجوارح، والجوارح قبلة الدنيا.

سمعت أبا الحسن بن محمد بن مقسم يقول: سمعت أبا بكر بن المنذر الهيجمي يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: من ظن أنه يشبع من الخبز جاع.

قال: وسمعت سهلاً يقول: البطنة أصل الغفلة.

قال: وسمعت سهلاً يقول: لا يكون العبد مقيماً على معصية إلا وجميع حسناته ممزوجة

بالهوى لا تخلص له حسناته وهو مقيم على سيئة واحدة، ولا يتخلص من هواه حتى يخرج من جميع ما يعرف من نفسه مما يكرهه الله.

قال: وسمعت سهلاً يقول وسئل عن معنى قوله تعالى: واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً . الإسراء 80 . قال: لساناً ينطق عنك لا ينطق عن غيرك.

قال: وسمعت سهلاً يقول: ما أعطى أحد شيئاً أفضل من علم يستزيد به افتقاراً إلى الله.

قال: وسمعت سهلاً يقول: إذا جنك الليل فلا تأمل النهار حتى تسلم ليلتك لك، وتؤدي حق الله فيها، وتنصح فيها لنفسك، فإذا أصبحت فكذلك.

قال: وسمعت سهلاً يقول: الصبر في الدنيا صنفان: أهل الدنيا يصبرون للدنيا حتى ينالوا منها. وأهل الآخرة يصبرون على آخرتهم حتى ينالوا منها.

قال: وسمعت سهلاً يقول: لا يكمل للعبد شيء حتى يصل علمه بالخشية، وفعله بالورع وورعه بالإخلاص، وإخلاصه بالمشاهدة، والمشاهدة بالتبرئ مما سواه.

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت أبا الحسن النحاس جارنا يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: الفترة غفلة، والخشية يقظة، والقسوة موت.

صفحة : 1843

سمعت أبا الحسن يقول: سمعت محمد بن المنذر يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: من طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان، ومن طعن في التكسب فقد طعن في السنة.

سمعت أبي يقول: سمعت أبا بكر الجوربي يقول: سئل سهل بن عبد الله عن البلوى من الله للعبد قال: هو كاسمه: هو عبد والعبد لله والله للعبد. وإذا كان من العبد حدث فهو ثالث وهو حجاب فالعبد مبتلى بالله وبنفسه.

وقال سهل: أربعة للعباد على الله هو حكم بها على نفسه: أولها من خاف الله أمنه الله، ومن رجاه بلغ به رجاءه وأمله. ومن تقرب إليه بالحسنات قبل منه وأثابه للواحدة عشراً. ومن توكل عليه ولم يكله إلى نفسه وتولى أمره. وقيل: أي العمل يعمل حتى يعرف عيوب نفسه؟ قال لا يعرف عيوب نفسه حتى يحاسب نفسه في أحواله كلها. قيل: فأي منزلة إذا قام العبد بها أقام مقام العبودية؟ قال: إذا ترك التدبير. قيل: فأي منزلة إذا قام بها أقام الصدق؟ قال: إذا توكل عليه فيما أمره به ونهاه عنه.

سمعت أبي يقول: سمعت أبا بكر يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: البلوى من الله على جهتين: فبلوى رحمة وبلوى عقوبة. فبلوى رحمة يبعث صاحبه على إظهار فقره وفاقته إلى الله، وترك تدبيره. وبلوى عقوبة يترك صاحبه على اختياره وتدبيره. وقيل: مثل الابتلاء مثل المرض والسقم، يمرض الواحد مائة سنة فلا يموت فيه، ويمرض آخر ساعة

واحدة فيموت فيه، كذلك يعصي الله عبد مائة سنة فيختم له بخير وينجو، وآخر يتكلم بكلمة معصية في ساعة فيجره إلى الكفر فيهلك. فمن عظم الخطر ودام الجد واشتد البلاء. وقال: الغضب أشد في البدن من المرض: إذا غضب دخل عليه الإثم أكثر مما يدخل عليه في المرض.

قال: وسمعت سهلاً يقول: قال الله تعالى: كل نعمة مني عليكم إذا عرفتموها صيرها لكم شكراً، وكل ذنب كان منكم إذا عرفتموه صيرته غفراناً.

وقال: ليس في خزائن الله أكبر من التوحيد.

وقال سهل بن عبد الله: تربة المعاصي الأمل، وبذرها الحرص، وماؤها الجهل، وصاحبها الإصرار. وتربة الطاعة المعرفة، وبذرها اليقين، وماؤها العلم، وصاحبها السعيد المفوض أموره إلى الله تعالى.

وقال: من ظن ظن السوء حرم اليقين. ومن تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق. ومن اشتغل بالفضول حرم الورع. فإذا حرم هذه الثلاثة هلك وهو مثبت في ديوان الأعداء.

وقال: لا يطلع على عثرات الخلق إلا جاهل، ولا يهتك ستر ما اطلع عليه إلا ملعون.

وقال: من خدم، ومعناه من ترك التدبير والاختيار وفق، ومن لم يوفق لم يترك التدبير، فإن الفرج كله في تدبير الله لنا برضاه. والشقاء كله في تدبيرنا، ولا نجد السلامة حتى نكون في التدبير كأهل القبور.

وقال: لسان الإيمان التوحيد، وفصاحته العلم، وصحة بصره اليقين مع العقل.

وقال: النية اسم الأسامي والطاعات أسامي. والنية الاخلاص. وكما يثبت حكم الظاهر بالفعل كذلك يثبت حكم السر بالنية. ومن لا يعرف نيته لا يعرف دينه. ومن ضيع نيته فهو حيران. ولا يبلغ العبد حقيقة علم النية حتى يدخله الله في ديوان أهل الصدق، ويكون عالماً بعلم الكتاب وعلم الآثار، وعلم الاقتداء.

وقال: المؤمن من راقب ربه، وحاسب نفسه وتزود لمعاده.

وقال: الهجرة فرض إلى يوم القيامة: من الجهل إلى العلم، ومن النسيان إلى الذكر، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الإصرار إلى التوبة.

وقال: من اشتغل بما لا يعنيه نال العدو منه حاجته في يقظته ومنامه.

وقال: ألم أقل لك دع دنياك عند أعدائك وضع سرك عند أحبائك؟ وقال: ليس من عمل بطاعة الله صار حبيب الله، ولكن من اجتنب ما نهى عنه الله صار حبيب الله. ولا يجتنب الآثام إلا صديق مقرب. وأما أعمال البر يعملها البر والفاجر.

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت أبا بكر محمد بن المنذر الهجيمي يقول: قال سهل بن عبد الله: الخلق كلهم بالله يأكلون، وفي عبادته غيره يشركون.

.قال: وسئل سهل عن العقل فقال: احتمال المؤونة والأذى من الخلق
وقال سهل: من دق الصراط عليه في الدنيا عرض عليه في الآخرة ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق له في الآخرة.
قال: وربما قال: لله في الخبز سر وسألت عنه أكثر من عشرة آلاف عابد وعابدة فما أحد منهم أخبرني بسر الخبز.

صفحة : 1844

سمعت أبا الحسن يقول: سمعت محمد بن المنذر يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول، وسأله رجل فقال: يا أبا محمد إلى من تأمرني أن أجلس؟ فقال له: إلى من تكلمك جوارحه لا من يكلمك لسانه.
قال: وسمعت سهل بن عبد الله يقول: من تخلى من الربوبية وأفرد الله بها واعترف بالعبودية وعبد الله بها استحق من الله الملك الأعظم في حياة الأبد. ومن نازع الله ربوبيته قصمه الله. ألا ترى أنهم يحبون الغنى والله الغني وهم الفقراء، ويحبون الأمر والنهي والله تعالى يقول: ألا له الخلق والأمر . الأعراف 54 . ويحبون البقاء والله تعالى يقول: كل من عليها فان ويبقى وجه ربك . الرحمن 26، 27 . ويحبون الدنيا والله يبغضها، ويريدونها والله لا يريدها، فهم ينازعون الله الربوبية ويعادونه فيما أحب. قال سهل: والأمل أرض كل معصية، والحرص بذر كل معصية، والتسويف ماء كل معصية. والندم أرض كل طاعة، واليقين بذر كل طاعة، والعمل ماء كل طاعة. وبقدر ما تهدم من دنياك تبني لآخرتك، وبقدر ما تخالف نفسك وهواك وشهوتك ترضي مولاك. وبقدر ما تعرف عدوك وعدواته –يعني إبليس– تعرف ربك.
قال: وسمعت سهل بن عبد الله يقول: من كان عمله لله جلا ذلك عن قلبه ذكر كل شيء سوى الله.
قال: وسمعته يقول: إن الناس دخلوا الجنة بالعمل فاجتهدوا أن تدخلوها بترك العمل.
وسئل عن حقيقة التوكل فقال: نسيان التوكل.
قال: وسمعت سهل بن عبد الله يقول: إن الله أجاع الخلق فطلبوا من البعد فمنعهم إياه من القرب.
وسمعته يقول: لزوم الباب طلب العبد إلى مولاه أن يثبته على الإيمان ويقبضه عليه.
سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت أبا الفضل الشريجي جعفر بن أحمد يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول وسئل عن قوله: وذروا ظاهر الإثم وباطنه . الأنعام 120 .. ظاهره الفعال وباطنه الحب له

قال: وسمعت سهلاً يقول: إن الله تعالى لا ينسب إلى الجهل في الأصل ولا ينسب إلى الظلم من الفرع، ولا غنا بنا عنه فيما بين طرفة عين ولا أقل.

حدثنا محمد بن الحسين بن موسى، قال: سمعت أبا الحسن الفارسي يقول: سمعت عباس بن عصام يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه.

وقال سهل: العيش على أربعة أوجه: عيش الملائكة في الطاعة، وعيش الأنبياء في العلم وانتظار الوحي، وعيش الصديقين في الاقتداء، وعيش سائر الناس عالماً كان أو جاهلاً زاهداً كان أو عابداً في الأكل والشرب.

وقال سهل: الضرورة للأنبياء، والقوام للصديقين، والقوت للمؤمنين، والمعلوم للبهائم، والآيات والمعجزات للأنبياء، والكرامات للأولياء، والمعونات للمريدين. والتكمين لأهل الخصوص. ومن خلا قلبه من ذكر الآخرة تعرض لوساوس الشيطان.

سمعت أبي يقول: سمعت خالي أحمد بن محمد بن يوسف يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: كفى الله العباد دنياهم فقال عز من قائل: أليس الله بكاف عبده . الزمر 36 . . واستعبدهم بالآخرة فقال: وتزودوا فإن خير الزاد التقوى . البقرة 197

وسمعت سهلاً يقول: أول العيش في ثلاث: اليقين والعقل والروح. وقال: وإياي فاتقون . البقرة 41 . موضع العلم السابق وموضع المكر والاستدراج: وإياي فارهبون . موضع اليقين ومعرفته. وقال: على قدر قربهم من التقوى أدركوا اليقين وأصل اليقين ومباينة النهى، مباينة النهى، مباينة النفس، فعلى قدر خروجهم من النفس أدركوا اليقين، وتتفاضل الناس في القيامة على قدر يقينهم، فمن كان أوزن يقيناً كان من دونه في ميزانه، ومن لم يكن تعبده لله كأنه يراه أو يعلم أنه يراه فهو غافل عن الله، وعلى قدر مشاهدته يتعرف الابتلاء، وعلى قدر معرفته يطلب العصمة، وعلى قدر طلبه العصمة يظهر فقره وفاقته إلى الله. وعلى قدر فقره. وفاقته يتعرف الضر والنفع، ويزداد علماً وفهماً وبصراً.

وقال سهل: ثلاثة أشياء احفظوها مني وألزموها أنفسكم: لا تشبعوا ولا تملوا من عملكم فإن الله شاهدكم حيثما كنتم. وأنزلوا حاجتكم به وموتوا ببابه.

صفحة : 1845

وقال: شيئان يذهبان خوف الله من قلب العبد: أصل الدعوى والعصية. وصاحب المعصية إذا خوفته واحتججت عليه بالأيمان ينقاد ويخضع ويقر بالخوف. وصاحب الدعوى لا يقر بالحق ولا ينقاد للخوف ألبتة. ولا يوجد قلب أخلى من الخير ولا أقصى ولا أبعد من خوف الله من قلب المدعي.

.وقال: أصل الهلاك الدعوى وأصل الخير الافتقار

وقال: حكم المدعي أن تصحبه هذه الثلاثة الخصال: تصحبه التزكية لنفسه، وقد نهى عن ذلك. وجهله بنعم الله عليه، وجهله بحاله.

حدثنا عثمان بن محمد قال قرئ على أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد بن سلمة النيسابوري يقول: سمعت سهل ابن عبد الله يقول: استجلب حلاوة الزهد بقصر الأمل، واقطع أسباب الطمع بصحة الياس، وتعرض لرقة القلب بمجالسة أهل الذكر، واستجلب نور القلب بدوام الحذر، واستفتح باب الحزن بطول الفكر، وتزين لله بالصدق في كل الأحوال، وتحبب إلى الله بتعجيل الانتقال. وإياك والتسويف فإنه يغرق فيه الهلكى. وإياك والغفلة فإن فيها سواد القلب. وإياك والتواني فيما لا عذر فيه فإنها ملجاً النادمين، واسترجع سالف الذنوب بشدة الندم وكثرة الاستغفار. واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر، واستدم عظيم الشكر بخوف زوال النعم.

حدثنا عثمان بن محمد قال قرئ على أبي الحسن قال يوسف بن الحسين: سئل سهل بن عبد الله: أي شيء أشق على إبليس؟ قال: إشارة قلوب العارفين، وأنشد:

قلوب العارفين لها عيون ترى مالا يراه الناظرونا حدثنا عثمان بن محمد

قال العباس بن أحمد سئل سهل: متى يستريح الفقير من نفسه؟ قال: إذا لم ير وقتاً غير الوقت الذي هو فيه.

حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الرحمن الغزالي الأصبهاني بالبصرة، حدثنا علي بن أحمد بن نوح الأهوازي، قال: سمعت سهل بن عبد الله يقول: خلق الله الخلق ليسارهم ويساروا الخلق، فإن لم تفعلوا فناجوني وحدثوني، فإن لم تفعلوا فاسمعوا مني، فإن لم تفعلوا فانظروا إلي، فإن لم تفعلوا فكونوا ببابي وارفعوا حوائجكم فإني أكرم الأكرمين.

وقال سهل: طلب العلم فريضة على كل مسلم. قال: علم حاله في الحركة والسكون إن أتاه الموت أي شيء حاله فيما بينه وبين الله، لأن الله هو المنعم فكيف شكره للمنعم، وأدنى ما يجب للرب على العباد ألا يعصوه فيما أنعم عليهم. وكيف حاله فيما بينه وبين الخلق على أي جهة: على الرحمة والنصيحة، أم على المكر والخديعة؟ وقال: من أصبح وهمه ما يأكل ولم يكن همه هم قبره وحال لحده، لو ختم البارحة القرآن ويصلي اليوم خمسمائة ركعة أصبح في يوم في يوم مشئوم عليه، لهمه بطنه. وقال تعالى: يعلم ما في أنفسكم فاحذروه . البقرة 235 . قال: ما في غيبكم لم تفعلوه ستفعلونه فاحذروه. قال: فاصرخوا إليه حتى يكون هو الذي يلي الأمر، وهو الذي يصلح الشأن، هو الذي يعصم، وهو الذي يوفق، وهو الذي يختم بخير، وقوله عز وجل: فاعلم أنه لا إله إلا الله . قال: أن لا نافع ولا دافع غير الله.

سمعت أبي يقول: سمعت أبا بكر الجوني، يقول: سمعت سهل ابن عبد الله يقول: معرفة النفس أخفى من معرفة العدو، ومعرفة العدو أجلى من معرفة الدنيا. وقال: إذا عرف العدو عرف ربه، وإذا عرف نفسه عرف مقامه من ربه، وإذا عرف عقله عرف حاله فيما بينه وبين ربه، وإذا عرف العلم عرف وصوله، وإذا عرف الدنيا عرف الآخرة.

وقال: هي نعمة ومصيبة فالنعمة ما دعا الله الخلق إليه من معرفته، والمصيبة ما ابتلاهم في أنفسهم ومخالفتها.

وقال: لله ثلاثة أشياء في خلقه: المعرفة، والإحسان، والحكم. وثلاثة للعبد مع الله: تضعيف الحسنات، والعفو عن السيئات، ولا تضعف عليهم. وفتح باب التوبة إلى الممات.

وقال: ليس لأهل المعرفة همة غير هذه الثلاثة إذا أصلحوا: الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، والاستعانة بالله سبحانه وتعالى –والاقتداء هو الافتقار– والصبر على ذلك إلى الممات.

وقال: الأصل الذي أنا أدعو إليه قولي اتقوا يوماً لا ليلة بعده، وموتا لا حياة بعده، والسلام.

وقال: النفس صنم والروح شريك فمن عبد نفسه فقد عبد صنماً، ومن عبد روحه عبد شريكاً. ومن آثر لله وعبد بالإخلاص وهدم دنياه وعبد الله في روحه ومع روحه فقد عبد الله وآثره.

صفحة : 1846

وقال: الأنفاس معدودة، فكل نفس يخرج بغير ذكر الله فهي ميتة، وكل نفس يخرج بذكر الله فهي موصولة بذكر الله.

اخبرني جعفر بن محمد بن نصير الخلدي فيما كتب إلي، قال: سمعت أبا محمد الحريري يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: من أخلاق الصديقين ألا يحلفوا بالله لا صادقين ولا كاذبين، ولا يغتابون ولا يغتاب عندهم، ولا يشبعون بطونهم، وإذا وعدوا لم يخلفوا، ولا يتكلمون إلا والاستثناء في كلامهم، ولا يمزحون أصلاً.

قال: سمعت سهلاً يقول: ذروا التدبير والاختيار فإنهما يكدران على الناس عيشهم.

وقال سهل: اعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه بالجوع والصبر والجهد، لفساد ما عليه أهل الزمان.

حدثنا محمد بن الحسن، قال: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت أبا يعقوب البلدي يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: لقد أيس العقلاء الحكماء من هذه الثلاثة الخلال: ملازمة التوبة، ومتابعة السنة، وترك أذى الخلق.

حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين الواعظ، قال: قرأت على جعفر بن محمد بن

يعقوب الثقفي: سمعت أبا محمد سهل بن عبد الله يقول: ما من نعمة إلا والحمد أفضل منها، والنعمة التي ألهم بها الحمد أفضل من النعمة الأولى، لأن بالشكر يستوجب المزيد.

قال: وسمعت سهلاً يقول: أول الحجاب الدعوى، فإذا أخذوا في الدعوى حرموا.

اخبرنا عبد الجبار بن شيراز –في كتابه– وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني، قال: سمعت سهل بن عبد الله يقول: من نظر إلى الله قريباً منه بعد عن قلبه كل شيء سوى الله، ومن طلب مرضاته أرضاه الله، ومن أسلم قلبه تولى الله جوارحه.

وقال سهل: ما من أحد يسر الله له شيئاً من العبادة إلا فرغه لتلك العبادة، ولا فرغ الله أحداً إلا أسقط عنه مؤنة الرزق من أين يأخذه، إلا جعل له مقاماً عنده، وجعل هذا العبد يؤثره في كل حال وعلى كل حال، وما من عبد آثر الله إلا سلمه من الدنيا ولم يكله إلى غيره.

سمعت أبا الحسن بن جهضم يقول: حدثني طاهر بن الحسن، قال: سمعت إبراهيم البرجي يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: ما أظهر عبد فقره إلى الله في وقت الدعاء في شيء يحل به إلا قال الله لملائكته: لولا أنه لا يحتمل كلامي لأجبته لبيك.

سمعت أبا الحسن يقول، حدثنا أبو بكر الدينوري، قال: سمعت سهل بن عبد الله يقول: المؤمن أكرم على الله من أن يجعل رزقه من حيث يحتسب، يطمع المؤمن في موضع فيمنع من ذلك ويأتيه من حيث لا يحتسب.

سمعت أبي يقول: سمعت خالي أبا بكر أحمد بن محمد بن يوسف يقول: قال سهل بن عبد الله لا يصح الإخلاص إلا بترك سبعة: الزندقة والشرك والكفر والنفاق والبدعة، والرياء، والوعيد.

وقال: الأكل خمسة: الضرورة والقوام والقوت والمعلوم والفقر، والسادس لا خير فيه وهو التخليط. ومن لم يهتم للرزق سلم من الدنيا وآفاتها.

وقال: ابتداء اليقين المكاشفة لقوله: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. ثم المعاينة، ثم المشاهدة.

وقال: اليقين نار والإقرار باللسان فتيلة والعمل زينة.

وقال: من سعادة المرء قلة المؤونة وتخفيف الحال وتسهيل الصلوات، ووجدان لذة الطاعة.

وسئل عن ذكر اللذات؟ قال: إذا امتلأ القلب صار روحاً.

وقال: من لم يمازج بره بالهوى شاهد قلبه وخلص عمله.

وقال: طوبى لعبد أسر نفسه بعلمه بأن الله يشاهده بالاستماع منه، فوقع بصره على مقامه من إيمانه حتى استمكن مقامه من القرب منه، وأوصل علمه، وصير لسانه رطباً،

.وأخدم جوارحه حتى أدركه المدد من ربه
وسئل بم يعرف العبد عقله؟ قال: إذا كان وقافاً عند همومه حينئذ يعرف عقله، ولا يعرف ولا يستكمل إلا بعد هذا. وقال: أصل العقل الصمت وفرع العقل العافية، وباطن العقل .كتمان السر، وظاهره الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم
وقال: الإيمان بالفرائض وعلمها فرض والعمل بها فرض، والإخلاص فيها فرض، والإيمان بالسنن فرض بأنها سنة وعلمها سنة، والعمل بها سنة، والإخلاص فيها فرض. والإخلاص .بالإيمان العمل به

صفحة : 1847

وقال: المؤمنون الذين وعدهم الله الجنة على ثلاثة مقامات: واحد آمن وليس له عمل فله الجنة، وآخر آمن وليس له إثم وعمل صالحاً وهذا في صفة قد أفلح المؤمنون. والثالث آمن ثم أذنب ثم تاب وأصلح فهو حبيب الله فله الجنة، والرابع آمن وأحسن وأساء يتبين .لهم عند الموازنة، والله تعالى فيهم مشيئة
وقال :لا يخرجنكم تنزيه الله إلى التلاشي، ولا يخرجنكم التشبيه إلى الجسد، الله يتجلى .لهم كيف شاء
.وقال: ليس لقول لا إله إلا الله ثواب إلا النظر إلى الله عز وجل، والجنة ثواب الأعمال
.وقال: أول الحق الله وآخر الحق ما يراد به وجه الله
سمعت أبا عمرو عثمان بن محمد العثماني يقول: سمعت أبا محمد ابن صهيب يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول :لا يذنب المؤمن ذنباً حتى يكتسب معه مائة حسنة، فقيل: يا أبا محمد وكيف هذا؟ قال: نعم يا دوست، إن المؤمن لا يكتسب سيئة إلا وهو يخاف العقوبة عليها، ولو لم يكن كذلك لم يكن مؤمناً، ورجاؤه لغفرانها حسنة، ويكره الدلالة عليها، ولو لم يكره الدلالة عليها لم يكن مؤمناً، وكراهة الدلالة عليها حسنة. ويكره الموت عليها ولو لم يكره الموت عليها لم يكن مؤمناً، وكراهته للموت عليها حسنة. فهذه خمس حسنات وهي بخمسين حسنة، الحسنة بعشر أمثالها، لقوله تعالى: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها . الأنعام 160 . فهذه تصير مائة حسنة فما ظنكم بسيئة تعتورها مائة حسنة وتحيط بها، والله تعالى يقول: إن الحسنات يذهبن السيئات . هود 114 . وما ظنكم بثعلب بين مائة كلب أليس يمزقونه. ثم بكى سهل. وقال :لا تحدثوا بهذا الجهال من الناس فيتكلوا ويغتروا، فإن هذه السيئة هي شيء عليه وحسناته هي أشياء له، وما عليه فلله أن يأخذه به ويكون عادلاً بعقوبته عليه. وماله لا يظلمه الله عز وجل، بل يوفيه ثوابه وإن كان بعد حين. ومن يصبر على حر نار جهنم ساعة واحدة. ولكن بادروا بالتوبة من هذه السيئة

.حتى تأمنوا العقوبة وتصيروا أحباب الله، فإن الله يحب التوابين

قال: وسمعت سهل بن عبد الله يقول: إن الأمراض والأسقام والأحزان والمصائب إنما هي كفارات للصغائر، وأما الكبائر فلا يسقطها إلا التوبة، والأشنان وغيره. ومثل الصغائر كمثل قليل دبس يصيب الثوب فيذهبه الريق وقليل من الماء. فقيل: يا أبا محمد، أليس قد روى أن المصائب كفارات وأجر. فضحك وقال: يا دوست إن المصائب إذا ضم إليها الصبر والاحتساب تكون كفارة وأجراً كلاهما، فأما إذا لم يصبر عليها ولم يحتسبها تكون كفارات وحططاً لا أجر فيها ولا ثواب. وبيان ذلك أن المصائب فعل غيرك ولا تثاب على فعل غيرك، وصبرك واحتسابك فعل لك فتؤجر وتثاب.

حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الرحمن الأصبهاني الغزال بالبصرة، حدثنا أبو بشر عيسى بن إبراهيم بن دستكوثا، قال: قال سهل بن عبد الله: الحب هو الخوف لأن الكفار أحبوا الله فصار حبهم أمناً، وصار حب المؤمنين الخوف.

اخبرنا عبد الجبار بن شيرياز –فيما كتب إلي– وحدثني عنه عثمان ابن محمد العثماني، قال: سمعت سهل بن عبد الله يقول: أصل الدنيا الجهل، وفرعها الأكل والشرب واللباس والطيب والنساء والمال والتفاخر والتكاثر، وثمرتها المعاصي، وعقوبة المعاصي الإصرار، وثمرة الإصرار الغفلة، وثمرة الغفلة الاستجراء على الله. وقال: أيما عبد لم يتورع ولم يستعمل الورع في عمله انتشرت جوارحه في المعاصي، وعقوبة المعاصي، وصار قلبه بيد الشيطان وملكه، فإذا عمل بالعلم دله على الورع، فإذا تورع صار القلب مع الله. وقال: العلم دليل، والعقل ناصح، والنفس بينهما أسير، والدنيا مدبرة، والآخرة مقبلة، والعدو في ذلك منهزم فيصير العبد عند الله خالصاً. وإنما سموا ملوكاً لأنهم ملكوا أنفسهم فقهروها، واقتدروا عليها فغلبوها. وظفروا بها فأسروها. فالعارفون مالكون لأنفسهم مستظهرون عليها. والغافلون قد ملكتهم أنفسهم واستظهرت عليهم؛ بتلوين أهوائها وبلوغ محابها ومناها في الأقوال والأحوال وسائر الأفعال. ولا يفلت من أسر نفسه وخدعتها وسلطانها وغلبة هواها إلا من عرف نفسه، فإذا عرف نفسه على حقيقة معرفتها عرف باريه جل جلاله فإذا عرف نفسه ألزمته معرفتها شريطة العبودية بحق الربوبية، وإعطاء الوحدانية حقها.

اخبرنا جعفر بن محمد بن نصير –في كتابه– وحدثني عنه أبو الحسن ابن جهضم، قال: حدثني أبو الفضل الشرجي، قال: سمعت سهل بن عبد الله يقول: إن الله يطلع على أهل قرية أو بلد فيريد أن يقسم لهم من نفسه قسماً فلا يجد في قلوب العلماء ولا في قلوب

.الزهاد موضعاً لتلك القسمة من نفسه، فيمن عليهم أن يشغلهم بالتعبد عن نفسه
اخبرنا عبد الجبار بن شيراز –في كتابه– وحدثني عنه أبو الحسن بن جهضم، قال: سمعت سهل بن عبد الله يقول: تظهر في الناس أشياء: ينزع منهم الخشوع بتركهم الورع، ويصير نقض العهود وتضييع الأمانة وارتفاعها من بينهم علماً، ويرفع من بين المنسوبين إلى الصلاح في آخر الزمان علم الخشية وعلم الورع وعلم المراقبة، فيكون بدل علم الخشية وساوس الدنيا، وبدل علم الورع وساوس العدو، وبدل علم المراقبة حديث النفس ووساوسها. قيل: ولم ذلك يا أبا محمد؟ قال: تظهر في القراء دعوى التوكل والحب والمقامات: ترى أحدهم يصوم ويصلي عشرين سنة وهو يأكل الربا ولا يحفظ لسانه من الغيبة ولا عينة وجوارحه مما نهى الله عنه.
سمعت أبي رحمه الله تعالى، قال: سمعت خالي أحمد بن محمد بن يوسف يقول: قال سهل بن عبد الله: أخلاق الإسلام والإيمان الحياء وكف الأذى وبذل المعروف والنصيحة وفيها أحكام التعبد.

صفحة : 1849

وقال: الدنيا ثلاثة: عبيد ورجال وفتيان: قوله تعالى: وعباد الرحمن . الفرقان 63 . ورجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع . النور 37 . إنهم فتية آمنوا بربهم . الكهف 13 . سمعنا فتى يذكرهم . الأنبياء 60 . وقيل له: ما انشراح القلوب؟ قال: قبول الوحي: فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله . الزمر 2 . وهم المدعون الذين يدعون الحول والقوة والمشيئة والإرادة ويدعون الاستغناء عن الله. والقلب يجول فإذا قلت الله وقف.
والمحمود من الدنيا المساجد شاركنا فيها الملائكة، والمذموم البطن والفرج شاركنا فيها أهل الذمة، يقول الله تعالى: يا عبدي لا تذنب، يقول العبد لابد لي. يقول الله: فإذا أذنبت فتب إلي حتى أقبلك. قال العبد لا أفعل لأن الأصل هو البطن والفرج. قال الرب: فكن مكانك حتى أجيئك. قال العبد: بأي شيء تجيء إلي؟ قال: بالجوع والفقر والعرى. وقال: خلق الله الإنسان على أربع طبائع طبع البهائم وطبع الشياطين، وطبع السحرة وطبع الأبالسة. فمن طبع البهائم البطن والفرج قوله: ذرهم يأكلون ويتمتعوا . الحجر 3 . الآية. وطبع الشياطين اللهو واللعب والزينة والتكاثر والتفاخر، قوله تعالى: لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد . الحديد 20 . ومن طبع السحرة المكر والخديعة: ويمكرون ويمكر الله . الأنفال 30 . يخادعون الله وهو خادعهم . النساء 14 . ومن طبع الأبالسة الإباء والاستكبار قوله تعالى: إلا إبليس أبى واستكبر . البقرة 34 . واستعبد الله العباد بالتسبيح والتقديس والتحميد والشكر حتى يسلموا، من طبع الشياطين

اللهو واللعب يقول في كتابه: إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون الأعراف 206 . وقوله : يسبحون الليل والنهار لا يفترون . الأنبياء 20 . ومن طبع السحرة استعبدهم الله بالاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم بالنصيحة والرحمة والصدق والإنصاف والتفضيل والاستعانة بالله والصبر على ذلك إلى الممات. ومن طبع الأبالسة استعبدهم الله بالدعاء والصراخ والتضرع والالتجاء. قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم . الفرقان 77 . يسلم به العباد إذ يعتصمون به. وقوله: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . آل عمران 103 . ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . آل عمران 101 . حتى يسلموا من طبع الأبالسة. وقال: معرفة وإقرار وإيمان وعمل وخوف ورجاء وحب وشوق وجنة ونار. فالمعرفة خوف والإقرار رجاء والإيمان خوف والعمل رجاء والخوف رهبة، والحب رجاء والشوق خوف بعد. وقال: هي نعمة ومصيبة، فالنعمة ما دعا الله الخلق إليه من معرفته والمصيبة ما ابتلاهم في أنفسهم ومخالفتها وقال: الله معنا قريب إلينا فلابد لنا من معرفته والمصيبة ما ابتلاهم في أنفسهم ومخالفتها وقال: الله معنا قريب إلينا فلابد لنا من أن نكون معه نؤثره ونطيعه، فيكون إيثارنا له صدقنا بعلمنا فيه. وقال: العاصون يعيشون في رحمة العلم، والمطيعون يعيشون في رحمة القرب. وقال: ما خلق لأنفسهم ولا لغيرهم، إنما خلقهم إظهاراً لملكه والملك لا يكون إلا بتول وتبر. فقال: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . الذاريات 56 . وقال: لابد للخلق أن يعبدوا شيئاً فمن لا يعبد الله فلابد له من عبادة شيء ومن لا يطيع الله فلابد له من أن يطيع شيئاً، ومن لم يتول الله فلابد له من أن يتولى شيئاً غير الله. وكذلك جميع الأشياء لذلك خلقهم. وقال: ليس وراء الله منتهى. قال: نهاية ينتهي إليه. وقال: ليس له وراء وليس وراء الله وراء، هو وراء كل شيء جل الله وعز شأنه.

سمعت محمد بن الحسن بن علي، قال: سمعت أحمد بن محمد بن سالم يقول: كنت عند سهل بن عبد الله ودخل عليه رجل وقال: يا أستاذ أي شيء القوت؟ قال: الذكر الدائم. قال الرجل: لم أسألك عن هذا. إنما سألتك عن قوام النفس. فقال: يا رجل لا تقوم الأشياء إلا بالله. فقال الرجل: لم أعن هذا سألتك عما لا بد منه. فقال: يا فتى لابد من الله.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت ابن سالم يقول: سئل سهل بن عبد الله عن سر النفس فقال: للنفس سر ما ظهر ذلك السر على أحد من خلقه إلا على فرعون فقال: أنا ربكم الأعلى. ولها سبعة حجب سماوية وسبعة حجب أرضية، فكلما يدفن العبد نفسه أرضاً سما قلبه سماء، فإذا

.دفنت النفس تحت الثرى وصل القلب إلى العرش

قال: وسمعت سهلاً يقول: القلب رقيق يؤثر فيه الشيء اليسير فاحذروا عليه من الخطرات المذمومة، فإن أثر القليل عليه كثير.

.قال: وسمعت سهلاً يقول: كل شيء دون الله فهو وسوسة

قال: وسئل سهل عن قوله: من عرف نفسه فقد عرف ربه. قال: من عرف نفسه لربه عرف ربه لنفسه.

سمعت أبي يقول: سمعت أبا بكر الجوربي يقول: سمعت سهل ابن عبد الله يقول: الطهارة على ثلاثة أوجه: طهارة العلم من الجهل، وطهارة الذكر من النسيان، وطهارة الطاعة من المعصية.

وقال: جناية الخاص أعظم عند الله من جناية العام، وجناية الخاص السكون إلى غير الله تعالى والأنس بسواه. وقال: تستأنس الجوارح أولاً بالعقل، ثم يستأنس العقل بالعلم، ثم يستأنس العبد بالله. وقال: من اهتم للخير لا يكون للرب عنده قدر. وقال: كل عقوبة طهارة إلا عقوبة القلب فإنها قسوة.

صفحة : 1851

قال: وسمعت سهلاً يقول: يا معشر المسلمين قد أعطيتم الإقرار من اللسان، واليقين من القلب، وإن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وإن له يوماً يبعثكم فيه ويسألكم عن مثاقيل الذر من أعمالكم، من خير يجزيكم به أو شر يعاقبكم عليه إن شاء أو يعفو عنه. قال تعالى: ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل . الأنبياء 47 . فإن الخردلة إذا كسرت يكون البعض منها شيئاً. قال: إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير . لقمان 16 . قيل: فكيف الحيلة يا أبا محمد؟ قال: في خمسة أشياء لابد لكم منها: أكل الحلال، ولبس الحلال الذين تؤدون بهما الفرائض، وحفظ الجوارح كلها عما نهاكم الله عنه، وأداء حقوق الله عز وجل كما أمركم بها، وكف الأذى لكي لا تذهب أعمالكم في القيامة وتسلم لكم أعمالكم، والخامسة الاستعانة بالله وبما عنده واليأس عما في أيدي الناس، وذكره آناء الليل والنهار كي يتم لكم ذلك، فاجتهدوا في ذلك إلى الممات. قيل: كيف تصبح للعبد هذه الخصال؟ قال: لابد له من عشرة أشياء يدع خمساً ويتمسك بخمس: يدع وساوس العدو والقبول منه، ويتبع العقل فيما ينصحه ويكون فيه رضى الله، ويدع اهتمامه للدنيا واغتباطه بها لأهلها، ويدع اتباع الهوى ويؤثر الله على كل حال من أحواله، ويدع المعصية والاستعانة بها ويشتغل بالطاعة، ويرغب فيها،

ويجتنب الجهل والقيام عليه، ولا يدنو من شيء من أمر الدنيا حتى يحكم عليه فيه، ويطلب بدل الجهل العلم والعمل به فهذه عشرة أشياء. قيل له: كيف له يفهم هذا ويعلم إيش عليه ويعمل به؟ قال: لا بد له من خمسة أشياء: لا يتعب نفسه، ولا يفني عمره في جمع مال يصير آخره إلى الميراث، ولا يتعب نفسه ولا يشتغل ببناء يصير آخره إلى الخراب، ولا يرغب في أكل ما يصير آخره إلى التفل والكنيف، ولا في لباس يصير آخره إلى المزابل، ولا يتخذ أحباباً يصير آخرهم إلى التراب، ويخلص وده وحبه لله الواحد القهار الذي لم يزل ولا يزال حياً قيوماً فعالاً لما يشاء. قيل: وكيف يقوى على هذا وبم يقوى عليه؟ قال: بإيمانه. قيل: كيف بإيمانه؟ قال: بعلمه أنه عبد الله وأن الله مولاه وشاهده، عالم به وبضمائره، قائم عليه. قال الله عز وجل: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت . الرعد 33 . ويعلم أن مضرته ومنفعته بيده، قادر على فرحه وسروره، قادر على غمه وأنه به رءوف رحيم. فهذه خمسة أشياء لابد له منها، وخمسة أخر لابد له منها: لزوم قلبه على مشاهدة الله إياه، وقيامه عليه مطلع على ضميره، قال الله عز وجل: واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه . البقرة 235 . فيراه بقلبه قريباً منه فيستحي منه ويخافه ويرجوه ويحبه ويؤثره ويلتجئ إليه ويظهر فقره وفاقته له، وينقطع إليه في جميع أحواله. فهذه ما لابد للخلق أجمعين منها أن يعملوا بها، بعث الله تعالى أنبياءه عليهم الصلاة والسلام بهذا ولهذا وفي هذا، وأنزل الكتاب لهذا، وجاءت الآثار عن نبينا صلى الله عليه وسلم على هذا، وعن أصحابه والتابعين وعملوا به حتى فارقوا الدنيا، وكانوا على هذا، لا ينكر إلا جاهل.

سمعت محمد بن الحسن بن موسى يقول: سمعت جدي يقول بلغني أن يعقوب بن الليث اعتقل بطنه في بعض كور الأهواز فجمع الأطباء فلم يغنوا عنه شيئاً، فذكر له سهل بن عبد الله فأمر بإحضاره في العماريات فأحضر، فلما دخل عليه قعد على رأسه وقال: اللهم أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة ففرج عنه من ساعته، فأخرج إليه مالاً وثياباً فردها ولم يقبل منه شيئاً. فلما رجع إلى تستر قال له بعض أصحابه: لو قبلت ذلك المال وفرقته على الفقراء، فقال له: انظر إلى الأرض، فنظر فإذا الأرض كلها بين يديه ذهباً. فقال: من كان حاله مع الله هذا لا يستكثر مال يعقوب بن الليث.

صفحة : 1852

سمعت أبا الفضل أحمد بن عمران الهروي يحكي عن بعض أصحاب أبي العباس الخواص قال: كنت أحب الوقوف على شيء من أسرار سهل بن عبد الله فسألت بعض أصحابه عن قوته فلم يخبرني أحد منهم عنه بشيء، فقصدت مجلسه ليلة من الليالي فإذا هو قائم

يصلي، فأطلت القيام وهو قائم لا يركع، فإذا أنا بشاة جاءت فرجمت باب المسجد وأنا أراها، فلما سمع حركة الباب ركع وسجد وسلم وخرج وفتح الباب، فدنت الشاة منه ووقفت بين يديه، فمسح ضرعها –وكان قد أخذ قدحاً من طاق المسجد– فحلبها وجلس فشرب ثم مسح بضرعها وكلمها بالفارسية فذهبت إلى الصحراء ورجع هو إلى محرابه.

وقال أبو الحسن بن سالم: عرفت سهلاً سنين من عمره كان يقوم الليل بفرد رجل يناجي ربه حتى يصبح.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا نصر عبد الله بن علي يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: سمعت محمد بن الحسن. قال: قال سهل: أعمال البر يعملها البر والفاجر، ولا يجتنب المعاصي إلا صديق. وقال سهل: من أحب أن يطلع الخلق على ما بينه وبين الله فهو غافل.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الحسن الفارسي يقول: سمعت عباس بن عصام يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: البلوى من الله على وجهين: بلوى رحمة، وبلوى عقوبة. فبلوى الرحمة تبعث صاحبها على إظهار فقره إلى الله تعالى وترك التدبير. وبلوى العقوبة تبعث صاحبها على اختياره وتدبيره.

أسند سهل بن عبد الله: وأخبرني يوسف بن عمر بن مسرور أبو الفتح القواس، حدثنا عبيد الله أبو القاسم الصنعاني، حدثنا ابن واصل، حدثنا سهل بن عبد الله التستري قال: أخبرني خالي محمد بن سوار، عن جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو ومعه عدة من نساء الأنصار يسقين الماء ويداوين الجرحي .

حدثنا محمد بن علي بن يعلى، حدثنا قطن بن بشير، حدثنا جعفر ابن سليمان، عن ثابت، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغزو بأم سليم ومعها نسوة يسقين الماء ويداوين الحرحي .

حدثنا محمد بن المظفر –إملاء– حدثنا أبو علي محمد بن الضحاك بن عمرو، حدثنا سهل بن عبد الله الزاهد، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا محمد ابن عبد الرحمن القشيري، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أعطيت في على خمساً أما إحداها فيواري عورتي، والثانية يقضي ديني، والثالثة أنه متكئ في طول الموقف،، والرابعة فإنه عوني على حوضي، والخامسة فإني لا أخاف عليه أن يرجع كافراً بعد إيمان، ولا زانياً بعد إحصان . كذا حدثناه ابن المظفر. وقال سهل الزاهد هو التستري. فقلت له: ببلدنا سهل بن عبد الله أبو طاهر، أهو ذاك? فأبى إلا التستري.

سهل بن عبد الله بن الفرحان

قال الشيخ رضي الله عنه: ومنهم الطاهر المطهر أبو طاهر سهل بن عبد الله الفرحان الأسفهر ديري –قرية من ربض المدينة، مدينة أصبهان– رحمة الله تعالى عليه، كان مجاب الدعوة.

لقى أحمد بن عاصم الأنطاكي، وأحمد بن أبي الحواري، وأبا يوسف الغسولي وعبد الله بن خبيق ونظراءهم بالشام فأقام بالثغر مدة وكتب بمصر والشام الحديث الكثير. كان أهل بلدنا مفزعهم إلى دعائه عند النوائب والمحن، كان سبب طهارته إذا دخل الحمام للتنظف ورأى بعض الناس عراة سأل ربه أن يكفيه أمر التنظف ودخول الحمام. فسقطت شعرته فلم تنبت بعد دعوته. وكانت له شجرة جوز تحمل كل سنة كثيراً، فسقط منها رجل فاستعظم ذلك وقال: اللهم أيبسها. فيبست فلم تحمل بعد ذلك. وله آثار كثيرة في إجابة أدعيته مشهورة، اقتصرنا منها على ما ذكرنا.

فأما رفيع حاله من إدمان الذكر والمشاهد والحضور والمسامرة والتعري من حظوظ النفس والموافقة، والتبري من رؤية الناس والمخالطة، فشائع ذائع. حكى ذلك عنه مشايخنا من إخوانه وزواره، ولقى من الجهال فيما نقل من مذهب الشافعي –فإنه أول من حمل من علم الشافعي– مختصر حرملة بن يحيى، عن الشافعي، فاستعظم ذلك الجهال الذين كانوا على مذهب أهل العراق فصبر على أذاهم ولم يعارضهم بشيء محتسباً في ذلك، إلى أن مضى حميداً رشيداً رحمه الله. توفي سنة ست وسبعين ومائتين، تقدم موته على موت أبي محمد سهل بن عبد الله التستري.

فمما رواه ما:

صفحة : 1853

حدثناه أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو طاهر سهل بن عبد الله، حدثنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، حدثنا الوليد ابن مسلم، حدثنا عفير بن معدان أبو كامل، عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا نادى المنادي فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء فمن نزل به كرب أو شدة فليتحين المنادي، فإذا كبر كبر، وإذا تشهد تشهد، وإذا قال حي على الصلاة قال حي على الصلاة، وإذا قال حي على الفلاح قال حي على الفلاح، ثم قال: اللهم رب هذه الدعوة الصادقة الحق المستجاب لها، دعوة الحق كلمة التقوى أحينا عليها وأمتنا عليها وابعثنا عليها واجعلنا من خيار أهلها محيا ومماتاً. ثم سل الله حاجتك .

غريب من حديث سليم وعفير لا أعلم رواه عنه إلا الوليد.

حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا سهل بن عبد الله، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا بقية بن الوليد حدثني يوسف بن كثير، عن نوح بن ذكوان، عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من السرف أن تأكل كلما اشتهيت .

غريب من حديث الحسن عن أنس لا أعلم رواه عنه إلا نوح.

حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا سهل بن عبد الله، حدثنا محمد بن أبي السري، حدثنا بقية، عن ابن لهيعة، عن دراج، عن ابن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله عز وجل يوم القيامة: أين جيراني؟ فتقول الملائكة: ومن ينبغي أن يكون جارك؟ فيقول عمار مسجدي .

غريب من حديث أبي الهيثم سليمان بن عمرو العتواري، لا أعلم رواه له راوياً إلا دراجاً.

أحمد بن مسروق

قال السيخ: ومنهم المستأنس بالحق، المستوحش من الخلق، أبو العباس الطوسي أحمد بن محمد بن مسروق، من ساكني بغداد، صحب الحارث بن أسد المحاسبي، ومحمد بن منصور الطوسي، والسري بن المغلس السقطي، ومحمد بن الحسين البرجلاني.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول: سمعت أبا العباس بن مسروق يقول: من ترك التدبير عاش في راحة.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا سعيد بن عطاء يقول: إن الجنيد بن محمد رأى فيما يرى النائم قوماً من الأبدال فسأل هل ببغداد أحد من الأولياء؟ فقالوا: نعم أبو العباس بن مسروق من أهل الأنس بالله تعالى.

اخبرنا جعفر بن محمد الخلدي –في كتابه– وحدثني عنه الحسين بن يحيى الفقيه أبو علي قال: سئل ابن مسروق عن التوكل، فقال: اشتغالك عما لك بما عليك، وخروجك مما عليك لمن ذاك له وإليه.

قال: وسئل عن التصوف فقال: خلو الأسرار مما منه بد، وتعلقها بما ليس منه بد.

اخبرني جعفر بن محمد، وحدثني محمد بن الحسين، قال: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت جعفراً يقول: سألت أبا العباس بن مسروق مسألة في العقل فقال لي: يا أبا أحمد من لم يحترز بعقله من عقله لعقله هلك بعقله.

اخبرني جعفر –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: قال أبو العباس بن مسروق: مررت مع الجنيد بن محمد في بعض دروب بغداد وإذا مغن يغني:

منازل كنت تهواها وتألفهـا أيام كنت على الأيام منصورا فبكى الجنيد بكاء شديداً ثم قال: يا أبا العباس ما أطيب منازل الألفة والأنس؟ وأوحش مقامات المخالفات؟ لا أزال أحن إلى بدء إرادتي وجدة سعيي، وركوبي للأهوال طمعاً في الوصول، وها أنا في

أيام الفترة أتلهف على أوقاتي الماضية. فقال أبو العباس: من يكن سروره بغير الحق فسروره يورث الهموم، ومن لم يكن أنسه في خدمة ربه فهو من أنسه في وحشة.
أخبرني جعفر، وحدثني عنه محمد بن الحسين، قال: سمعت أبا بكر الرازي يقول: قال أبو العباس بن مسروق: شجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة، وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل، وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة، وشجرة المحبة تسقى بماء الإنفاق والموافقة والإيثار. ومتى طمعت في المعرفة ولم تحكم قبلها مدارج الإرادة فأنت في جهل، ومتى ما طلبت الإرادة قبل تصحيح مقام التوبة فأنت في غفلة مما تطلبه.
قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: أسند الكثير، ولقينا جماعة من الرواة عنه.

صفحة : 1854

حدثنا أبو إسحاق بن حمزة، حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق الصوفي، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا حماد بن سلمة، عن عطاء الخراساني، عن سعيد بن المسيب، وأيوب بن سيرين، عن عمران بن حصين وقتادة وحميد، عن الحسين، عن عمر أن رجلاً أعتق ستة مملوكين عند موته ليس له مال غيرهم: فأقرع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم فأعتق اثنين ورد أربعة في الرق.
حدثنا أبو مخلد بن جعفر، حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق، حدثنا محمد بن بكار، حدثنا حفص بن سليمان، عن علقمة بن مرثد، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان بن عفان سمعته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كانت له سريرة صالحة أو سيئة ألبسه الله عز وجل منها رداء يعرف به.
حدثنا مخلد بن جعفر، حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق، حدثنا محمد بن بكار، حدثنا قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.
حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق، حدثنا محمد بن حسان السمتي، حدثنا عبد الله أبو عثمان الحمصي، عن الأوزاعي، عن عبيدة بن لبابة، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله عز وجل عباداً خصهم بالنعم لمنافع العباد يقرها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها حولها منهم وجعلها في غيرهم.
حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق، حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا محمد بن زياد، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من شتم الأنبياء ثم أصحابي من المسلمين.
حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا محمد بن أحمد بن مسروق، حدثنا يعقوب بن إسحاق، حدثنا

أحمد بن عبيد الله العزاني، حدثنا محمد بن السماك، عن عائذ، عن عطاء، عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقال للعاق: اعمل ما شئت من الطاعة فإني لا أغفر لك. ويقال للبار: اعمل ما شئت فإني أغفر لك .

حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا أبو العباس بن مسروق، حدثنا خالد بن عبد الصمد، حدثنا عبد الملك بن قريب الأصمعي، قال: حدثني القاسم بن سلام مولى الرشيد أمير المؤمنين –وكان من أهل الدين والأدب– عن الرشيد، عن المهدي، عن أبيه، عن محمد بن علي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: بلغ النبي صلى الله عليه وسلم عن الزبير إمساك فأخذ بعمامته فجذبها إليه وقال: يا ابن العوام أنا رسول الله إليك وإلى الخاص والعام، يقول الله عز وجل: أنفق أنفق عليك، ولا ترد فيشتد عليك الطلب، إن في هذه السماء باباً مفتوحاً ينزل منه رزق كل امرئ بقدر نفقته أو صدقته ونيته، فمن قلل قلل عليه، ومن كثر كثر عليه . فكان الزبير بعد ذلك يعطي يميناً وشمالاً.

محمد بن منصور

ومنهم الطوسي محمد بن منصور رضي الله تعالى عنه كان قلبه باليقين معموراً، وفي محبته بمأموله مسروراً، وعن كل من سواه مأخوذاً ومأسوراً.

حدثنا زيد بن علي المغربي، حدثنا الحسين بن مصعب، حدثنا محمد ابن منصور الطوسي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت: مرني بشيء حتى ألزمه قال: عليك باليقين .

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا محمد بن العباس، حدثنا محمد بن منصور، حدثنا الحسن بن ربيع، قال: سمعت أبا إسحاق الفزاري يقول: سمعت حبيبي الفضيل بن عياض يقول: خمسة من السعادة: اليقين في القلب، والورع في الدين، والزهد في الدنيا، والحياء والعلم.

حدثنا محمد بن الحسين بن موسى، قال: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت الحسن بن علوية يقول: قال محمد بن منصور: ست خصال يعرف بها الجاهل: الغضب في غير شيء، والكلام في غير نفع، والعفة في غير موضعها، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، ولا يعرف صديقه من عدوه.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: سمعت أبا الحسين يقول: سمعت الحسن يقول: للمؤمن أربع علامات: كلامه ذكر، وصمته تفكر، ونظره عبرة، وعلمه بر.

وقال: العبد لا يستحق اليقين حتى يقطع كل سبب بينه وبين العرش إلى الثرى حتى يكون الله عز وجل مراده لا غير، ويؤثر الله على كل ما سواه.

سمعت أحمد بن أبي عمران الهروي يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الحسين بن عبد الرحمن يقول: أنشدني محمد بن منصور:

كفلت لطالب الـدنـيا بـهـم طويل لا يؤول إلى انقطـاع
وذل في الحياة بـغـير عـز وفقر لا يدل على انـتـفـاع
وحرص لا يزال عليه عـبـدا وعبد الحرص ليس بذي اقتناع سمعت أبا

الفضل أحمد بن أبي عمران يقول: سمعت منصوراً، يقول: سمعت الحسين بن محمد يقول: أنشدني محمد بن منصور:

إنما الدنيا وإن سرت قليل مـن قـلـيل
ليس نعدو أن تبـدي لك في زي جمـيل
ثم ترميك في المـأ من بالخطب الجليل
إنما العيش جوار الل ه في ظل ظـلـيل قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: أسند محمد بن منصور الكثير.

حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن العباس بن أيوب، حدثنا محمد بن منصور الطوسي، حدثنا صالح بن إسحاق الجهبذي –دلني عليه يحيى بن معين– حدثنا معروف بن واصل، عن يعقوب بن أبي نباتة، عن عبد الرحمن الأغر، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أناساً من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزة: ما أغنى عنكم قولكم لا إله إلا الله وأنتم معنا في النار. فيغضب الله عز وجل فيخرجهم فيلقيهم في نهر الحياة فيبرءون من حروقهم كما يبرأ القمر من كسوفه، فيدخلون الجنة ويسمون فيها بالجهنميين . فقال رجل: يا أنس أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . نعم أنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا.

حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن العباس، حدثنا محمد بن منصور الطوسي، حدثنا يحيى بن إسحاق السبحي، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه سعد بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أم حبيبة قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه –وحلق أصبعين– فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم . إذا كثر الخبث

حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن زهير التستري، حدثنا محمد بن منصور الطوسي،

حدثنا علي بن ثابت، حدثنا المفضل بن صدقة، عن سعيد بن مسروق، عن المسيب بن رافع، عن أبي أيوب الأنصاري قال: قلت: يا رسول الله ما هذه الأربع ركعات التي تصليها عند الزوال؟ قال: هذه الساعة تفتح فيها أبواب السماء فلا ترتج حتى تصلي الظهر فأحب أن أقدم خيراً .

حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن العباس، حدثنا محمد بن منصور الطوسي، حدثنا يونس بن محمد المؤدب، حدثنا حماد بن زيد، عن سعيد الثوري، عن زيد بن أسلم، عن عبد الرحمن بن وعلة، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أيما إهاب دبغ فقد طهر .

حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا محمد بن منصور الطوسي، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا محمد بن طلحة، عن زبيد، قال: حدثني جامع بن أبي راشد –ودموعه تنحدر– عن أم بشر، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا ظهر السوء في الأرض أنزل الله عز وجل بأسه بأهل الأرض، قلت: يا رسول الله وإن كان فيهم صالحون؟ قال: نعم وإن كان فيهم صالحون يصيبهم ما أصاب الناس ثم يرجعون إلى رحمة الله .

حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا محمد بن منصور الطوسي، حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، قال: حدثني أبي، عن محمد ابن إسحاق، عن محمد بن مسلم الزهري، وهشام بن عروة كلاهما، عن عروة، عن عائشة، قالت: كانت بريرة تحت مملوك فخيرها فعتقت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها بيدها .

صفحة : 1856

حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا محمد بن الحسن الصوفي، حدثنا محمد بن منصور الطوسي، حدثنا حمزة بن زياد الطوسي، حدثنا ثويب أبو حامد، قال حمزة: سألت عنه بقية، فقال: هذا مرابط منذ ستين سنة، عن خالد بن سعدان، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم الرجل أنا لشرار أمتي، فقالوا: فكيف أنت لخيارهم؟ قال: أما خيارهم فيدخلون الجنة بصلاحهم. وأما شرارهم فيدخلون الجنة بشفاعتي .

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد، حدثنا محمد بن هارون الحضرمي، حدثنا محمد بن منصور الطوسي، حدثنا أبو الجواب، حدثنا عمار بن رزيق، عن قطن، عن القاسم بن أبي بزة، عن عطاء الخراساني، عن عمران، قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من ققال لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله

والحمد لله كتب له بكل حرف عشر حسنات، ومن أعان على خصومه باطل لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره. ومن بهت مؤمناً أو مؤمنة حبسه الله في ردغة الخبال يوم القيامة حتى يخرج مما قال . وليس بخارج

حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا محمد بن هارون، حدثنا محمد بن منصور، حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق قال حدثني يحيى بن سعيد وغيره، عن القاسم، عن عائشة أنها كانت تقول: قد خير رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ثم لم يذهب من طلاقهن شيء .

أبو تراب

ومنهم أبو تراب عسكر بن الحصين، وقيل: ابن محمد بن الحصيني النخشبي صاحب حاتم الأصم ولقي أبا حمزة العطار البصري. معروف بالتوكل والسياحة والفتوة. توفي بالبادية ونهشته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين. صحبه أبو بكر ابن أبي عاصم النبيل، وأبو عبد الله بن الجلاء، وأبو عبيدة اليسري.

سمعت أبا عبد الله أحمد بن إسحاق يقول: سمعت أبا بكر أحمد ابن أبي عاصم يقول: سمعت أبا تراب الزاهد يقول: سمعت حاتماً الأصم يقول: عن شقيق قال: اصحب الناس كما تصحب النار خذ منفعتها واحذر أن تحرقك.

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا، قال: سمعت أبا تراب الزاهد يقول: قال حاتم الأصم: الزهد اسم والزاهد الرجل وللزاهد ثلاث شرائع، أولها الصبر بالمعرفة والاستقامة على التوكل، والرضا بالقضاء. وأما تفسير الصبر بالمعرفة فإذا نزلت الشدة أن تعلم بقلبك أن الله يراك على حالك وتصبر وتحتسب وتعرف ثواب ذلك الصبر. ومعرفة ثواب الصبر أن تكون مستوطن النفس في ذلك الصبر وتعلم أن لكل شيء وقتاً والوقت على وجهين إما يجيء بالفرج وإما يجيء بالموت فإذا كان هذان الشيئان عندك فأنت حينئذ عارف صابر. وأما الاستقامة على التوكل فالتوكل إقرار باللسان وتصديق بالقلب، فإذا كان مقراً مصدقاً أنه رازق لا شك فيه فإنه مستقيم، والاستقامة على معنيين: أن تعلم أن ما لك لا يفوتك فتكون واثقاً ساكناً. وما لغيرك لا تناله فلا تطمع فيه. وعلامة صدق هذا اشتغاله بالمفروض. وأما الرضا بالقضاء فالقضاء ينزل على وجهين: قضاء تهواه فيجب عليك الشكر والحمد، وأما القضاء الذي لا تهواه فيجب عليك أن ترضى وتصبر.

سمعت والدي يقول: سمعت أبا عبد الله بن الجلاء –بمكة– يقول: لقيت زيادة على خمسمائة شيخ ما لقيت مثل أربعة، أولهم أبو تراب النخشبي يقول: لقيت زيادة على

خمسمائة شيخ ما لقيت مثل أربعة، أولهم أبو تراب النخشبي توفي بالبادية فأكلته السباع.
قال وكان أبو تراب يقول لأصحابه: أنتم تحبون ثلاثة أشياء وليست لكم: تحبون النفس وهي لله، وتحبون الروح والروح لله، وتحبون المال والمال للورثة، وتحبون اثنين ولا تجدونهما: الفرج والراحة وهما في الجنة.
حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدثنا عسكر بن الحصين قال: رئي إبراهيم بن أدهم في يوم صائف وعليه جبة فرو مقلوبة في أصل ميل مستلقياً رافعاً رجليه يقول: طلب الملوك الراحة فأخطئوا الطريق.
حدثنا أبا القاسم عبد السلام بن محمد البغدادي بمكة يقول: قال رجل لأبي تراب يوماً: ألك حاجة؟ فقال: يوم يكون لي إليك حاجة وإلى أمثالك لا يكون لي إلى الله حاجة. وقال: الذي منع الصادقين الشكوى إلى غير الله الخوف من الله. وقال: حقيقة الغنى أن تستغني عمن هو مثلك، وحقيقة الفقر أن تفتقر إلى من هو مثلك.

صفحة : 1857

سمعت أحمد بن إسحاق يقول، حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، قال: سمعت أبا تراب يقول: سمعت حاتماً يقول: لي أربع نسوة وتسعة من الأولاد ما طمع شيطان أن يوسوس إلي في شيء من أرزاقهم.
حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا، حدثنا أبو تراب عسكر بن الحصين، قال: جاء رجل إلى حاتم الأصم فقال: يا أبا عبد الرحمن، أي شيء رأس الزهد ووسط الزهد وآخر الزهد؟ فقال: رأس الزهد الثقة بالله، ووسطه الصبر، وآخره الإخلاص.
أسند أبو تراب غير حديث.
حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن عبد الله بن مصعب، حدثنا أبو تراب الزاهد عسكر بن الحصين، حدثنا محمد بن نمير، حدثنا محمد بن ثابت، عن شريك بن عبد الله، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فإن ربهم يطعمهم ويسقيهم .
حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا، موسى السياني، عن الحسين بن واقد، عن أيوب السختياني، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن لي قرصة بيضاء ملبكة بالسمن واللبن؟ فقام رجل فجاء به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: في أي شيء كان؟ فقال: في عكة ضب. فلم يأكله النبي صلى الله عليه وسلم .
حدثنا محمد بن إسماعيل بن العباس الوراق، حدثنا عبد الصمد بن علي بن مكرم، قال:

حدثني أحمد بن سليمان بن المبارك، حدثنا أبو تراب الزاهد البلخي، حدثنا واصل بن إبراهيم، حدثنا أبو حمزة، عن رقية، عن سلمة بن كهيل، عن جندب بن سفيان، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سمع سمع الله به، ومن راءى راءى الله به .

حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا، حدثنا أبو تراب، حدثنا أحمد بن نصر، حدثنا عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه، قال: قال وهب بن منبه: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: يا موسى لا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي ونعمتي، فإن الحاسد عدو لنعمتي، مضل لفضلي، ساخط لقسمي الذي قسمت بين عبادي. ومن يكن كذلك فليس مني ولست منه.

حدثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري، قال: سمعت أبا عبيد حازم بن أبي حازم يقول: سمعت أخي أحمد بن محمد يقول: قال أبو تراب النخشبي: وقفت ستاً وخمسين وقفة، فلما كان من قابل رأيت الناس بعرفات ما رأيت قط أكثر منهم ولا أكثر خشوعاً وتضرعاً ودعاء فأعجبني ذلك وقلت: اللهم من لم تتقبل حجته من هذا الخلق فاجعل ثواب حجتي له. فأفضنا وبتنا بجمع فرأيت في منامي هاتفاً يهتف بي: تتسخي علي وأنا أسخى الأسخياء? وعزتي وجلالي ما وقف هذا الموقف أحد قط إلا غفرت له. فانتبهت فرحاً بهذه الرؤيا فرأيت يحيى بن معاذ الرازي فقصصت عليه الرؤيا فقال: إن صدقت رؤياك فإنك تعيش أربعين يوماً. فلما كان يوم أحد وأربعين يوماً. فلما كان يوم أحد وأربعين يوماً جاءوا إلى يحيى بن معاذ فقالوا: إن أبا تراب قد مات فقمنا فغدونا رحمه الله.

ذكر جماعة من العارفين العراقيين قال الشيخ: ذكر جماعة من جماهير العارفين من العراقيين اقتصرنا على ذكرهم من دون كلامهم وأخبارهم. منهم من تنسب إليه الكتب المصنفة كأبي سعيد الخزاز وطبقته، ومنهم من رفع الله رايته بما انتشر عنه من كثرة أصحابه وتلامذته رحمة الله علينا وعليهم أجمعين.

أبو إسحاق الآجري

فمنهم أبو إسحاق الآجري إبراهيم، بغدادي، له الآيات العجيبة، والكرامات اللطيفة.

اخبرنا جعفر بن محمد الخلدي –في كتابه– وحدثني عنه أبو عمر العثماني، حدثنا أبو العباس بن مسروق وأبو محمد الحريري وأبو أحمد المغازلي وغيرهم، عن إبراهيم الآجري قالوا: جاء يهودي يقتضيه شيئاً من ثمن قصب فكلمه فقال له: أرني شيئاً أعرف به شرف الإسلام وفضله على ديني حتى أسلم. قال: فقال له: وتفعل? قال: نعم. فقال له: هات رداءك. قال فأخذه فجعله في رداء نفسه ولف رداءه عليه ورمى به في النار –نار تنور الآجر– ودخل في أثره فأخذ الرداء وخرج من الباب ففتح رداء نفسه وهو صحيح وأخرج

رداء اليهودي حرقاً أسود من جوف رداء نفسه فأسلم اليهودي.

صفحة : 1858

اخبرنا جعفر بن محمد في كتابه قال: سمعت الجنيد بن محمد، يقول: سمعت عبدون الزجاج، يقول: قال: قال لي إبراهيم الآجري: يا غلام لأن ترد إلى الله عز وجل من همك ذرة خير لك مما طلعت عليه الشمس.

القاسم الجريري

ومنهم القاسم الجريري، كان في حاله مسدداً، ومن أسباب الدنيا مجرداً، كان بشر بن الحارث يزوره فيما أخبرت، عن عبد الله بن مسلم قال: دخل بشر بن الحارث على القاسم الجريري عائداً في مرضه فوجد تحت رأسه لبنة طارحاً نفسه على قطعة بازية خلقة، فلما خرج من عنده قال جيرانه: قال جاورنا ثلاثين سنة فما سألنا حاجة قط.

أبو يعقوب الزيات

ومن أقرانه أبو يعقوب الزيات: كان مغتنماً لوقته، مشتغلاً بنفسه، يراعي خطراته، ويشتغل بخلواته. كان جماعة النساك يعظمون حاله.

اخبرنا جعفر بن محمد يقول: دققت على أبي يعقوب الزيات بابه في جماعة من أصحابنا فقال: ما كان لكم شغل في الله يشغلكم عن المجيء إلي؟ قال: الجنيد: فقلت: إذا كان مجيئنا إليك من شغلنا به لا ننقطع عنه. ففتح الباب فسألته عن مسألة في التوكل فأخرج درهماً كان عنده ثم أجابني فأعطى التوكل حقه ثم قال: استحييت من الله عز وجل أن أجيبك وعندي شيء. فقلت له: ما قولك في رجل له في كل علم من العلوم حظ ويحسن القيام بصفات الحق وصفات الخلق؟ ترى مجالسة الناس؟ فقال: إن كنت أنت وإلا فلا.

وذكر يوماً لبعض المريدين: تحفظ القرآن؟ فقال لا. فقال: واغوثاً بالله. مريد لا يحفظ القرآن كأترجة لا ريح لها. فبم يتنعم فبم يترنم؟ فبم يناجي ربه، أما تعلم أن عيش العارفين سماع النغم من أنفسهم وغيرهم.

أبو جعفر بن الكوفي

ومنهم أبو جعفر بن الكوفي رحمه الله تعالى.

سمعت أبا الحسن بن مقسم يرفع منه جداً، وأنه فاق أقرانه في الاجتهاد وكثرة الأوراد. أكثر نساك بغداد تأدبوا به وتوارثوا منه شريف الآداب وحميد الأخلاق.

حدثني عنه جعفر بن محمد بن نصير قال: ذهب إليه يوماً الجنيد ابن محمد بصرة دراهم

عرضها عليه فأبى أن يأخذها منه، وذكر غناه عنها. فقال له الجنيد: إن وجدت غنى عنها ففي أخذها سرور رجل مسلم. فأخذها ثم سألته فقلت: يرحمك الله، الرجل يتكلم في العلم الذي لم يبلغ استعمال كل عمله. كلامه أحب إليك أم سكوته؟ فسكت ساعة مطرقاً رأسه ثم رفع رأسه فقال: إن كنت هو فتكلم.

قال الشيخ: وكان أبو جعفر بن الكوفي ممن تخرج بأبي عبد الله البراثي الزاهد ومن تلامذته.

حدثني أبو عمرو العثماني، حدثنا محمد بن علي البغدادي، حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق، حدثنا محمد بن الحسين البرجلاني، حدثنا حكيم بن جعفر. قال: كنا نأتي أبا عبد الله بن أبي جعفر الزاهد وكان يسكن براثاً، وكانت له امرأة متعبدة يقال لها جوهرة، وكان أبو عبد الله يجلس على جلة خوص نجرانية، وجوهرة جالسة حذاءه على جلة أخرى مستقبل القبلة في بيت واحد. قال: فأتيناه يوماً وهو جالس على الأرض ليس تحته الجلة. فقلنا: يا أبا عبد الله ما فعلت الجلة التي كنت تقعد عليها؟ قال: إن جوهرة أيقظتني البارحة فقالت: أليس يقال في الحديث: إن الأرض تقول لابن آدم: تجعل بيني وبينك ستراً وأنت غداً في بطني؟ قال: قلت: نعم. قالت: فأخرج هذه الجلال لا حاجة لنا فيها. قال فقمت والله فأخرجتها.

أبو هاشم الزاهد

ومنهم أبو هاشم الزاهد، كان إلى الحق وافداً، وعن الخلق حائداً، وفيما سوى الحق زاهداً. من أقران أبي عبد الله بن أبي جعفر البراثي.

أخبرنا محمد بن أحمد البغدادي –فيما كتب إلي وقد رأيته– وحدثني بهذا عنه عثمان بن محمد العثماني، حدثنا أحمد بن مسروق، حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثني بعض أصحابنا، قال: قال أبو هاشم الزاهد: إن الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المريدين فيها مستوحشون، وإلى الآخرة مشتاقون.

اخبرنا محمد بن أحمد وحدثني عنه أبو عمرو العثماني، حدثنا أحمد ابن محمد بن مسروق، حدثنا محمد بن الحسين البرجلاني، حدثنا حكيم بن جعفر، قال: نظر أبو هاشم إلى شريك –يعني القاضي– يخرج من دار يحيى بن خالد، فبكى وقال: أعوذ بك من علم لا ينفع.

قال محمد بن الحسين: وحدثني سعيد بن صبيح المؤدب، قال: قال أبو هاشم: لفلح الجبال بالأبر أيسر من إخراج الكبر من القلوب. وقال أبو هاشم: لو أن الدنيا قصور

وبساتين والآخرة أكواخ، لكانت الآخرة أهلاً أن تؤثر على الدنيا، لبقاء تلك ونفاذ هذه.

العباس بن مساحق

ومنهم العباس بن مساحق المخزومي.

كان في المحبة محمولاً، وإلى المحبوب مرتحلاً ومنقولاً.

حدثنا عثمان بن محمد العثماني قال: قرئ على أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى الرازي: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الرازي، قال: سمعت الوضاح بن حكيم يقول: رأيت على العباس بن مساحق المخزومي عباءة شديدة البلا، فقلت: رحمك الله ما هذه العباءة التي أراها عليك؟ قال: وما أنكرت منها؟ قلت: شدة بلاها. قال: يا ابن حكيم أولا يمكن في هذه التبلغ إلى الله عز وجل؟ بلى والله لقد خرج محبو الله من الدنيا في أشد من هذه الحالة، وما على رجل أن يكون لله محباً وأن عليه مدارع الحديد. والله يا ابن حكيم لقد ذاقوا من حلاوة طاعته والشوق إليه ما سلى قلوبهم عن الدنيا فلم ينظروا إليها إلا بعين المقت لها، ولم يرجعوا منها إلى طمع بعد معرفتهم بغرورها، إذ سمعوا الله يقول: إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد . الحديد 20 . فجفوا والله مضاجعهم، وخربوا من العمارة فروشهم، وعملوا إلى الرحيل إلى سيدهم، وعمروا بالأبدان محاربيهم، وبالقلوب درجاتهم.

عبيد الله العمري

ومنهم المتخلي من الدنيا، المتزود فيها للعقبى، عبيد الله بن عبد الله العمري.

حدثنا عمر بن أحمد بن شاهين، حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك، حدثنا عبد الله بن سفيان، حدثنا عمر بن عبد الله العمري قال: قرأت على باب دار عبيد الله بن عبد الله مكتوباً:

اعمل فأنت من الدنيا علـى حـذر واعلم بأنك بعد الموت مبـعـوث

واعلم بأنك ما قدمت مـن عـمـل محصى عليك وما جمعت موروث حدثنا عمر بن أحمد، حدثنا محمد بن موسى، حدثنا محمد بن الهيثم، حدثنا المثنى بن جامع، حدثنا أبو جعفر الحذاء، قال: قال العمري: كما أحسنتم الظن بما لم يضمن، فأحسنوا الظن بما قد ضمن.

علي بن معبد

ومنهم المعاتب بالعتاب، لاستهانته بالتراب. علي بن معبد المنبه بالصواب.

حدثنا عمر بن أحمد، قال: سمعت أحمد بن مسعود الزبيري يقول سمعت هارون بن كامل يقول: سمعت علي بن معبد يقول: كتبت كتاباً فأخذت طيناً من حائط فوقع في نفسي منه

شيء، فقلت: تراب، وما تراب؟ فرأيت فيما يرى النائم كأني يقال لي: سيعلم الذي يقول: وما تراب.

ومنهم النازح عن الأناس والأشخاص المادح لمؤنسه بما أولاه من المحبة والإخلاص

صفحة : 1860

حدثنا عثمان بن محمد العثماني، حدثنا محمد بن زيد السائح، حدثنا جعفر بن محمد بن سهل أبو محمد السامري –بعسقلان– قال: سمعت ذا النون المصري يقول: بينا أنا أسير في جبال لكام إذ مررت على واد كثير الأشجار والنبات، فبينا أنا واقف أتعجب من حسن زهراته، وخضرة العشب في جنباته، ومن تناغي الأطيار بحنين في أفنيته، ومن خرخرة الماء على رضراضه، ومن جولان الوحش في أنديته، ومن صوت عواصف الرياح الذارية في أغصان شجراته، إذ سمعت صوتاً أهطل مدامعي، وهيج لما نطق به بلال حزني. قال ذو النون: فاتبعت الصوت حتى أوقعني بباب مغارة في سفح ذلك الوادي فإذا الكلام يخرج من جوف المغارة، فاطلعت فيه فإذا أنا برجل من أهل التعبد والاجتهاد، وذوي العزلة والانفراد، فسمعته وهو يقول: سبحان من أمرح قلوب المشتاقين في زهرة رياض الطاعة بين يديه، سبحان من أوصل الفهم إلى عقول ذوي البصائر فهي لا تعتمد إلا عليه، سبحان من أورد حياض المودة نفوس أهل المحبة فهي لا تحن إلا إليه. ثم أمسك. قال ذو النون: فقلت: السلام عليك يا حليف الأحزان، وقرين الأشجان، ويا من ألف السكن وطول الظعن عن مفارقة الصبر والعزاء. قال: فأجابني وهو يقول: وعليك السلام أيها الرجل. ما الذي أوصلك إلى مكان من قد أفرده خوف المسألة عن الأنام، ومن هو مشتغل بما فيه من محاسبته لنفسه عن التصنع في الكلام؟ فقلت: أوصلني إليك الآثار والرغبة في الصفح والاعتبار. فقال لي: يا فتى إن لله عباداً قدح في قلوبهم زند الشغف بنار الومق، فأرواحهم بشدة الاشتياق إلى الله تسرح في الملكوت، وبأبصار أحداق القلوب ينظرون إلى ما ذخر لهم في حجب الجبروت. قلت: يرحمك الله، صفهم لي. فقال: أولئك أقوام أووا إلى كنف رحمته. ثم قال: سيدي بهم فألحقني، ولأعمالهم فوفقني، فقد نالوا ما أرادوا لأنك كنت لهم مؤدباً، ولعقولهم مؤيداً. فقلت: يرحمك الله، ألا توصيني بوصية أحفظها عنك؟ قال: أحب الله شوقاً إلى لقائه، فإن له يوماً يتجلى فيه لأوليائه. ثم أنشأ يقول:

قد كان لي دمع فأفنيتـه وكان لي جفن فأدميتـه
وكان لي جسم فأبلـيتـه وكان لي قلب فأضنيتـه
وكان لي يا سيدي ناظـر أرى به الحق فأعميتـه
عبدك أضحى سيدي مدنفاً لو شئت قبل اليوم داويته ثم أنشأ يقول:

مدامعي منك قـريحـات بالخوف والوجد نضيجات
أقلقها زرع نبات الهـوى أجفانها مرضي صحيحات
طوبى لمن عاش وأجفانـه من المعاصي مستريحات

علي بن رزين

.ومنهم الممكن المكين، أبو الحسن علي بن رزين

كان عن الأطعمة والأشربة معدولا، وفي المشاهدة مقبولا ومحمولا تخرج به أبو عبد الرحمن المغربي أستاذ إبراهيم بن شيبان.

سمعت أبا بكر الطوسي الدينوري –بمكة– يقول: سمعت شيخي إبراهيم يقول: سمعت أبا عبد الله المغربي يقول: كان لي شيخ أصحبه يشرب في كل أربعة أشهر شربة من ماء –يعني صاحبه علي بن رزين– عاش مائة وعشرين سنة، توفي سنة خمس وعشرين ومائتين.

.قال الشيخ: وكان أبو عبد الله المغربي محمد بن إسماعيل تلميذ علي بن رزين

مات عن مائة وعشرين سنة وقبر مع أستاذه علي بن رزين على جبل طور سينا سنة تسع وتسعين ومائتين.

وقيل: إن إبراهيم الخواص أخذ طريق التوكل من أبي عبد الله، وكان أستاذه وأستاذ إبراهيم بن شيبان. ذكر ذلك لي أبو بكر الطرسوسي بمكة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

وحكى عن إبراهيم بن شيبان أستاذه، سمعت أبا عبد الله المغربي يقول: المخصوصون من الله عز وجل على منازل ثلاثة: منهم من ضن بهم عن البلاء لكيلا يستغرق الجزع صبرهم فيجدون في صدورهم حرجاً من قضائه أو يكرهون حكمه. ومنهم من يضن بهم عن مجاورة العصاة ومخالطتهم لتسلم قلوبهم وصدورهم للعالم. ومنهم من صب عليهم البلاء صباً وأمدهم بالصبر والرضا، فما ازدادوا بالبلاء إلا حباً ورضاء بحكمه. ولله عباد أوجدهم نعماً مجردة عليهم، وأسبغ عليهم ظاهر العلم وباطنه، وأحمل عن الناس ذكرهم. قال:

وكان أبو عبد الله يقول:

يا من يعد الوصال ذنـبـا كيف اعتذاري من الذنوب
إن كان ذنبي إليك حـبـي فإنني مـنـه لا أتـوب

عمرو النيسابوري

صفحة : 1861

.ومنهم أبو حفص عمرو بن سلمة النيسابوري. وقيل عمر

كان أحد المتحققين له الفتوة الكاملة، والمروءة الشاملة، تخرج به عامة الأعلام

النيسابوريون. منهم أبو عثمان النيسابوري. وشاه الكرماني. صحب عبيد الله الأباوردي. وكان من رفقاء أحمد بن خضرويه المروزي. توفي سنة سبع، وقيل أربع وستين ومائتين.

سمعت أبا عمرو بن حمدان يقول: سمعت أبي يقول: قال أبو حفص: المعاصي بريد الكفر، كما أن الحمى بريد الموت. قال: وكان لا يذكر الله إلا على الحضور وتعظيم الحرمة، فإذا ذكر الله عز وجل تغير عليه حاله، فإذا رجع قال: ما أبعد ذكرنا عن ذكر المحققين، فما أظن أن من ذكر الله عز وجل حاضرا من غير غفلة يبقى بعد ذكره حياً إلا الأنبياء، فإنهم مؤيدون بقوة النبوة. وخواص الأولياء مؤيدون بقوة الولاية.

سمعت أبا بكر بن حمدان يقول: كان أبو حفص حداداً، فكان غلامه يوماً ينفخ عليه الكير فأدخل يده في النار وأخرج الحديد من النار، فغشي على غلامه. وترك أبو حفص الحانوت وأقبل على أمره.

سمعت أبا عمرو بن حمدان يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا حفص يقول: تركت اعمل فرجعت إليه، وتركني العمل فلم أرجع إليه.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا علي الثقفي يقول: كان أبو حفص يقول: من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال. وكان يقول: من نعت الفقير الصادق أن يكون في كل وقت بحكمه، فإذا ورد إليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه وينفيه.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت عبد الرحمن بن الحسين يقول: اجتمع مشايخ بغداد عند أبي حفص وسألوه عن الفتوة فقال: تكلموا أنتم فإن لكم العبارة واللسان، فقال الجنيد: الفتوة إسقاط الرؤية وترك النسبة، فقال أبو حفص: ما أحسن ما قلت، ولكن الفتوة عندي أداء الإنصاف وترك مطالبة الإنصاف. فقال الجنيد: قوموا يا أصحابنا فقد زاد أبو حفص على آدم وذريته، قال: وكان أبو حفص يقول: من إهانة الدنيا أني لا أبخل بها على أحد، ولا أبخل بها على نفسي، لاحتقارها واحتقار نفسي عندي.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا أحمد بن عيسى يقول: سمعت أبا حفص يقول: الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها، والإقبال على الله لاحتياجك إليه. وقال أبو حفص الحداد: حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه .

وسئل أبو حفص: من الرجال؟ فقال: القائمون مع الله بوفاء العهود. قال الله تعالى: رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . الأحزاب 23 .

وسئل أبو حفص عن العبودية فقال: ترك مالك والتزام ما أمرت به.

حمدون بن أحمد

قال الشيخ: ومن أقران أبي حفص من شيوخ نيسابور الشيخ الصالح أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة.

صحب أبا تراب النخشبي، وكان فقيهاً على مذهب الثوري. وهو شيخ الملامتيين.

سمعت عبد الله بن أحمد بن فضالة –صاحب الخان بنيسابور– يقول: سمعت عبد الله بن محمد بن منازل يقول: قيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام، ونجاة النفوس، ورضاء الرحمن. ونحن نتكلم لعز النفس، وطلب الدنيا، وقبول الخلق، قال عبد الله: وسأله يوماً أبو القاسم المنادي عن مسألة فقال له: أرى في سؤالك قوة وعزة نفس، تظن أنك قد بلغت بهذا السؤال الحال الذي تخبر عنه، أين طريقة الضعف والفقر والتضرع والالتجاء؟ وعندي أن من ظن نفسه خيراً من نفس فرعون فقد أظهر الكبر. وقال له عبد الله بن منازل يوماً: أوصني. قال: إن استطعت أن لا تغضب لشيء من الدنيا فافعل. وقال: من أصبح وليس له هم طلب قوت من حلال وهم ما جرى عليه في سابق العلم له وعليه، فإنه يتفرغ إلى كل شيء. قالو: كفايتك تساق إليك ميسراً من غير تعب ولا نصب، وإنما التعب في الفضول.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول: سمعت أحمد بن حمدون يقول: سمعت أبي يقول –وسئل عن طريق الملازمة– فقال: خوف القدرية، ورجاء المرجئة. وقال لا يجزع من المصيبة إلا من اتهم ربه. وقال لا أحد أدون ممن يتزين لدار فانية، ويتحمد إلى من لا يملك ضره ولا نفعه.

صفحة : 1862

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن أحمد الفراء، يقول: سمعت عبد الله بن منازل، يقول: سئل حمدون: من العلماء؟ قال: المستعملون لعلمهم، والمتهمون آرائهم، والمقتدون بسير السلف، والمتبعون لكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، لباسهم الخشوع، وزينتهم الورع، وحليتهم الخشية، وكلامهم ذكر الله، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، وصمتهم تفكر في آلاء الله ونعمه. نصيحتهم للخلق مبذولة، وعيوبهم عندهم مستورة، يزهدون الخلق في الدنيا بالإعراض عنها، ويرغبونهم في الآخرة بالحرص على طلبها. قال: وتسفه عليه رجل فسكت حمدون وقال: يا أخي لو نقصتني كل نقص لم تنقصني كنقصي عندي. ثم قال: تسفه رجل على إسحاق الحنظلي فاحتمله وقال: لا شيء تعلمنا العلم؟ وقال: أنت عبد ما لم تطلب من يخدمك، فإذا طلبت خادماً خرجت من العبودية. وقال: للخلق في يوسف عليه السلام آيات، وليوسف في نفسه آية وهي أعظم الآيات: معرفته بمكر النفس وخدعها حين قال: إن النفس لأمارة بالسوء . يوسف

53 . وقال: قد أخبر الله تعالى عن حقيقة طباع الخلق فقال: لو ملكتم ما أملكه من فنون الرحمة وخزائن الخير لغلب عليكم سوء طباعكم في الشح والبخل . وذلك في قوله تعالى: قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً . الإسراء 100 .

أسند الحديث: حدثنا أبو أحمد عبد الله بن محمد بن فضلويه النيسابوري، حدثنا عبد الله بن محمد بن منازل، حدثنا حمدون بن أحمد القصار، حدثنا إبراهيم الزارع، حدثنا ابن نمير، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله، عن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :لا تزول قدماً عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وأين وضعه، وعن علمه ما عمل فيه .

محمد بن الفضل

قال الشيخ: ومن حكماء المشرق من المتأخرين جماعة منهم أبو عبد الله محمد بن الفضل بن العباس. بلخي الأصل، سكن سمرقند، صحب أحمد بن خضرويه المروزي. وسمع الحديث الكثير من قتيبة بن سعيد ومن في طبقته.

سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازي –بنيسابور– يقول: سمعت محمد بن الفضل يقول: الرحمن هو المحسن إلى البر والفاجر. وقال: ذهاب الإسلام من أربعة: أولها لا يعملون بما يعلمون. والثاني يعملون بما لا يعلمون. والثالث لا يتعلمون ما لا يعلمون. والرابع يمنعون الناس من التعلم. وقال: الدنيا بطنك، فبقدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا. وقال: العجب ممن يقطع الأودية والمفاوز ليصل إلى بيته وحرمه، لأن فيه آثار أنبيائه، وكيف لا ينقطع نفسه وهواه حتى يصل إلى قلبه فإن فيه آثار مولاه? سمعت محمد بن الحسين يقول: قال محمد بن الفضل: أنزل نفسك منزلة من لا حاجة له فيها ولابد له منها، فإن من ملك نفسه عز، ومن ملكته نفسه ذل. وقال محمد بن الفضل: ست خصال يعرف بها الجاهل: الغضب في غير شيء، والكلام في غير نفع، والعظة في غير موضعها، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، ولا يعرف صديقه من عدوه. وقال: العارف يدافع عيشه يوماً بيوم، ويأخذ عيشه يوماً بيوم.

أسند الحديث: اخبرنا محمد بن الحسين، حدثنا علي بن القاسم الخطابي، حدثنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الزاهد –بسمرقند– حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الليث ابن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة . صحيح ثابت أخرجه مسلم، عن قتيبة.

حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا قتيبة ابن سعيد مثله سواء.

محمد بن علي الترمذي

ومنهم أبو عبد الله الترمذي محمد بن علي بن الحسن.
صحب أبا تراب النخشبي ولقى يحيى بن الجلاء. له التصانيف المشهورة. كتب الحديث.
مستقيم الطريقة. يرد على المرجئة وغيرها من المخالفين. تابع للآثار.

صفحة : 1863

حدثنا أبو عمرو عثمان بن محمد العثماني، حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي قال: نور المعرفة في القلب وإشراقه في عيني الفؤاد في الصدر، فبذكر الله يرطب القلب ويلين. وبذكر الشهوات واللذات يقسو القلب ويبس. فإذا شغل القلب عن ذكر الله بذكر الشهوات كان بمنزلة شجرة إنما رطوبتها ولينها من الماء، فإذا منعت الماء يبست عروقها وذبلت أغصانها، وإذا منعت السقي وأصابها حر القيظ يبست الأغصان، فإذا مددت غصناً منها انكسر، فلا يصلح إلا للقطع فيصير وقود النار. فكذلك القلب إذا يبس وخلا من ذكر الله فأصابته حرارة النفس ونار الشهوة وامتنعت الأركان من الطاعة، فإذا مددتها انكسرت، فلا تصلح إلا أن تكون حطباً للنار. وإنما يرطب القلب بالرحمة، وما من نور في القلب إلا ومعه رحمة من الله بقدر ذلك. فهذا هو الأصل. والعبد ما دام في الذكر فالرحمة دائمة عليه كالمطر، فإذا قحط فالصدر في ذلك الوقت كالسنة الجدباء اليابسة، وحريق الشهوات فيها كالسمائم، والأركان معطلة عن أعمال البر، فدعا الله الموحدين إلى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم، وهيأ لهم فيها ألوان العبادة لينال العبد من كل قول وفعل شيئاً من عطاياه. والأفعال كالأطعمة والأقوال كالأشربة، فهي عرس الموحدين هيأها رب العالمين لأهل رحمته في كل يوم خمس مرات، حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار. فإن الله اختار الموحدين ليباهي بهم يوم الجمع الأكبر في تلك العرصات الملائكة، لأن آدم وولده ظهر خلقهم من يده بالمحبة، والملائكة ظهر خلقهم من القدرة، لقوله: كن فكان. فمن محبته للآدميين يفرح بتوبتهم. خلقهم والشهوات والشياطين في دار الابتلاء، ليباهي بهم في ذلك الجمع، ويقول: يا معشر ملائكتي إن محاسنكم خرجت منكم، ومن النور خلقتكم، وأنتم في أعالي المملكة تعاينون عظمتي وحجتي وسلطاني، وقد عريتم من الشهوات، والشياطين والآدميون، خرجت منهم هذه المحاسن من نفوسهم الشهوانية، والشياطين قد أحاطت بهم في أداني المملكة، ومن التراب خلقتهم، فلذلك استوجبوا مني داري وجواري.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: قال محمد بن علي الترمذي: كفى بالمرء عيباً أن يسره ما يضره. وقال محمد: ليس في الدنيا حمل أثقل من البر، لأن من برك فقد أوثقك، ومن جفاك فقد أطلقك.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي، يقول: سمعت الحسن بن علي يقول: سمعت محمد بن علي الترمذي يقول: من جهل أوصاف العبودية فهو بنعوت الربوبية أجهل.

وقال: الدنيا عروس الملوك، ومرآة الزهاد، أما الملوك فتجملوا بها، وأما الزهاد فنظروا إليها وأبصروا آفتها فتركوها.

قال: وسئل محمد بن علي عن الخلق فقال: ضعف ظاهر، ودعوى عريضة.

وقال: اجعل مراقبتك لمن لا يغيب نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه.

اخبرنا محمد بن الحسين بن موسى، حدثنا يحيى بن منصور القاضي، حدثنا عبد الله بن محمد بن علي الترمذي، حدثنا محمد بن رزام الآبلي، حدثنا محمد بن عطاء، عن الهجيمي، حدثنا محمد بن نصر، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: رب أرني أنظر إليك . الأعراف 143 . قال: يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات. ولا يابس إلا تدهده، ولا رطب إلا تفرق، إنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسامهم .

أبو بكر الوراق

ومنهم الحكيم أبو بكر محمد بن عمر الوراق البلخي. له الكتب في المعاملات أسند الحديث.

حدثني محمد بن الحسين، قال: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت أبا بكر بن أحمد بن سعيد يقول: سمعت أبا بكر الوراق يقول: شكر النعمة مشاهدة المنة.

اخبرني محمد، قال: سمعت أبا الحسين يقول: سمعت أحمد بن مزاحم يقول: سمعت أبا بكر الوراق يقول: للقلب ستة أشياء: حياة، وموت، وصحة، وسقم، ويقظة، ونوم. فحياته الهدى، وموته الضلالة، وصحته الطهارة والصفاء، وعلته الكدورة والعلاقة، ويقظته الذكر، ونومه الغفلة. ولكل واحد من ذلك علامة، فعلامة الحياة الرغبة والرهبة والعمل بها. والميت بخلاف ذلك. وعلامة الصحة اللذة، والسقم بخلاف ذلك. وعلامة اليقظة السمع والبصر، والنائم بخلاف ذلك.

حدثنا أبو بكر الرازي، قال: سمعت غيلان السمرقندي يقول: سمعت أبا بكر الوراق يقول: من اكتفى بالكلام دون الزهد تزندق، ومن اكتفى بالزهد دون الكلام والفقه ابتدع. ومن اكتفى بالفقه دون الزهد والورع تفسق. ومن تفنن في هذه الأمور كلها تخلص.

قال: ودخل على أبي بكر الوراق رجل فقال: إني أخاف من فلان، فقال لا تخف منه، فإن قلب من تخافه بيد من ترجوه.

اخبرني محمد بن موسى النجيدي، قال: سمعت أبا بكر بن أحمد البلخي يقول: سمعت أبا بكر الوراق يقول: لو قيل للطمع: من أبوك؟ قال: الشك في المقدور. ولو قيل: ما حرفتك؟ قال: اكتساب الذل. ولو قيل: ما غايتك قال: الحرمان.

وقال أبو بكر: العبد لا يستحق اليقين حتى يقطع كل سبب بينه وبين العرش إلى الثرى حتى يكون الله مراده لا غيره، ويؤثر الله على ما سواه. واليقين نور يستضيء به العبد في أحواله فيبلغه إلى درجات المتقين.

أسند الحديث: اخبرنا محمد بن الحسين بن موسى، حدثنا علي بن الحسن البلخي، حدثنا محمد بن محمد بن حاتم، حدثنا أبو بكر محمد بن عمر الوراق البلخي، حدثنا أبو عمران موسى بن حزام الترمذي، حدثنا أبو أسامة، عن عمر بن حمزة، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من أعظم الأمانة عند الله الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها.

حدثنا أبو بكر الطلخي، حدثنا، حدثنا عبيد بن غنام، حدثنا أبو بكر بن شيبة، حدثنا عمر بن معاوية، عن عمر بن حمزة العمري، حدثنا عبد الرحمن بن سعد مولى آل بني سفيان، قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من شرار الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها.

شاه الكرماني

ومنهم أبو الفوارس الكرماني شاه بن شجاع.

تعرى من الأغراض، تحرزاً من الأعراض، كان من أبناء الملوك، وتشمر للسلوك، تخفف للاستباق، متحققاً بالاشتياق.

صحب أبا تراب النخشبي وأبا عبيد البسري. كان ظريفاً في الفتوة، عريفاً في المروءة.

سمعت أبا الفضل الصرام الهروي يقول: سمعت أبا عمرو بن نجيد يقول: قال شاه الكرماني: شغل العارف بثلاثة أشياء: بالنظر إلى معبوده مستأنساً به ملاحظاً لمنته وفوائده، شاكراً له معترفاً به، ومنيباً تائباً إليه.

سمعت محمد بن موسى يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت أبا علي

.الأنصاري يقول: قال شاه الكرماني: من عرف ربه طمع في عفوه ورجا فضله
وقال: الفتوة من طباع الأحرار، واللؤم من شيم الأنذال. وما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله بما يحبون، لأن محبة أولياء الله دليل على محبة الله.
سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت جدي أبا عمرو بن نجيد يقول: كان شاه الكرماني بن شجاع حاد الفراسة، وقلما أخطأت فراسته، وكان يقول: شخص بصره عن المحارم وأمسك عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وعود نفسه أكل الحلال لم تخطئ فراسته.
قال: وكان يقول: من نظر إلي الخلق بعينه طالت خصومته معهم، ومن نظر إليهم بعين الله عذرهم فيما هم فيه، وقل اشتغاله بهم.
سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن أحمد بن إبراهيم يقول: سمعت محفوظاً يقول: كان شاه يأمر أصحابه أن يظهروا له ما يجري على سرهم: سمعت محفوظاً يقول: كان شاه يأمر أصحابه أن يظهروا له ما يجري على سرهم، ثم كان يداوي كل واحد منهم بدوائه، ويقول: ليس بعاقل من كتم الطبيب علته.
سمعت أحمد بن أبي عمران الهروي، يقول: سمعت ابن النجيد، يقول: قال شاه الكرماني: من صحبك ووافقك على ما تحب وخالفك فيما يكره فإنما يصحب هواه، ومن صحب هواه فهو يطلب راحة الدنيا.
سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا عمرو بن نجيد يقول: قال شاه الكرماني: علامة الركون إلى الباطل التقرب إلي المبطلين.
سمعت محمد بن موسى يقول: سمعت الحسين الفارسي يقول: سمعت أبا علي الأنصاري يقول: سمعت شاه بن شجاع يقول: الفضل لأهل الفضل ما لم يروه، فإذا رأوه فلا فضل لهم. والولاية لأهل الولاية ما لم يروها فإذا رأوها فلا ولاية لهم. وقال: المعجب بنفسه محجوب عن ربه.

صفحة : 1865

ذكر لي أبو عامر عبد الوهاب بن محمد، عن أبي عبد الله محمد بن أحمد قال: كنت عند سهل بن عبد الله جالساً فسقطت بيننا حمامة فجعلت أنحيها، فقال سهل: أطعمها واسقها، فقمت ففتت لها خبزاً ووضعت لها ماء، فلقطت الخبز وسقطت على الماء فشربت ومضت طائرة، فقلت لسهل: أي شيء هذا الطير؟ فقال لي: يا أبا عبد الله، مات أخي بكرمان فجاءت هذه تعزيني به. قال أبو عبد الله: وأظنه ذكر شاه بن شجاع وكان من الأبدال. فكتبت تاريخ اليوم والوقت فأتى قوم من أهل كرمان فعزونا فيه، وذكروا أنه مات

في اليوم والوقت الذي سقطت عندنا الحمامة.

وأنشد أبو عامر قال: أنشدني عبد الله الأقرقوهي لشاه بن شجاع:

والله ما الله لكـم وبـكـم والله والله ما هذا هو الله

فهذه أحرف تبدو لكم وبكم إذا تمعنيت معناها هو الله

يوسف الرازي

ومنهم المتخلي من رؤية الناس، المتحلي بالإخلاص خيفة رب الناس، تارك للتزين والتصنع، مفارق للتلون والتمتع، أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي.

كان وحيداً فريداً، وعلى المتنطعين شديداً، صحب ذا النون المصري، وأبا تراب النخشبي، وأبا سعيد الخزاز.

سمعت محمد بن موسى يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: سمعت أبا جعفر الرازي يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: علم القوم بأن الله يراهم فاستحيوا من نظره أن يراعوا شيئاً سواه، ومن ذكر الله بحقيقة ذكره نسي له عوضاً من كل شيء.

قال: وقال رجل ليوسف: دلني على طريق المعرفة، فقال: أر الله الصدق منك في جميع أحوالك بعد أن تكون موافقاً للحق، ولا ترق إلي حيث لم يرق بك فتزل قدمك، فإنك إذا رقيت سقطت، وإذا رقي بك لم تسقط. وإياك أن تترك اليقين لما ترجوه ظناً.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: قال يوسف بن الحسين: عارضني بعض الناس في كلام وقال لي لا تستدرك مرادك من علمك إلا أن تتوب. فقلت مجيباً له: لو أن التوبة تطرق بابي ما أدنت لها على أني أنجو بها من ربي. ولو أن الصدق والإخلاص كانا لي عبدين لبعتهما زهداً مني فيهما، لأني إن كنت عند الله في علم الغيب سعيداً مقبولاً لم أتخلف باقتراف الذنوب والمآثم، وإن كنت عند الله شقياً مخذولاً لم تسعدني توبتي وإخلاصي وصدقي. وإن الله تعالى خلقني إنساناً بلا عمل ولا شفيع كان لي إليه، وهداني لدينه الذي ارتضاه: ويتبع غير سبيل المؤمنين . النساء 115 الآية. ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه . آل عمران 85 الآية. فاعتمادي على فضله وكرمه أولى بي –إن كنت حراً عاقلاً– من اعتمادي على أفعالي المدخولة، وصفاتي المعلولة، لأن مقابلة فضله وكرمه بأفعالنا من قلة المعرفة بالكريم المتفضل.

سمعت أبا بكر الرازي بنيسابور، يقول: قال يوسف بن الحسين: في الدنيا طغيان العلم، وطغيان المال. والذي ينجيك من طغيان العلم العبادة، والذي ينجيك من طغيان المادة الزهد فيه.

وقال: بالأدب يفهم العلم، وبالعلم يصح العمل، وبالعمل تنال الحكمة، وبالحكمة يفهم الزهد ويوفق له، وبالزهد تترك الدنيا، وبترك الدنيا يرغب في الآخرة، وبالرغبة في الآخرة

.ينال رضا الله عز وجل

سمعت أبا بكر الرازي يقول: قال يوسف بن الحسين: إذا رأيت الله قد أقامك لطلب شيء وهو يمنعك ذلك فاعلم أنك معذب.

.وقال: يتولد الإعجاب بالعمل من نسيان رؤية المنة فيما يجري الله لك من الطاعات

سمعت محمد بن موسى يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: قال يوسف بن الحسين: نظرت في آفات الخلق فعرفت من أين أتوا، ورأيت آفة الصوفية في صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد وإرفاق النسوان.

صفحة : 1866

سمعت أبا الفضل أحمد بن أبي عمران الهروي يقول: سمعت منصور بن عبد الله الهروي يقول: سمعت يتيمك الرازي يقول: لما ورد كتاب يوسف بن الحسين على الجنيد اشتهيت أن أراه –من حسن كلامه– فخرجت من بغداد زائراً له، فلما جئت الري سألت عن دار يوسف فقالوا: إيش تعمل به؟ هو رجل زنديق، فسألت حتى دللت عليه، فدخلت عليه، فلما وقعت عيني عليه امتلأت هيبة من رؤيته –وكان بين يديه مصحف يقرأ فيه– فسلمت عليه فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من بغداد. قال: وإلى أي شيء جئت؟ قلت: زائراً إليك، فقال لي: لو قال لك بحلوان أو بقرميسين أو بهمدان رجل: تقيم عندي حتى أقوم بكفايتك، فاشترى لي جارية وداراً كان ذلك يمنعك من زيارتي؟ قلت: ما ابتليت بشيء من هذا، ولو كان بدالي لا أدري كيف كنت في ذلك الوقت، قال: أعيذك بالله، أنت كيس، عسى تقول شيئاً. قلت: نعم. قال: إن لي. فابتدأت فقلت:

رأيتك تبني دائباً في قطيعـتـي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

كأن بكم واللبث أفضل قولـكـم ألا ليتنا نبني إذا اللبث لا يغنـي قال:

فبكى حتى ابتل المصحف الذي بين يديه ثم قال: يا بني ألوم أهل الري أن يقولوا: يوسف بن الحسين زنديق، أنا من الغداة أقرأ في كتاب الله ولا أبكي. وقلت أنت ذين البيتين، أبصر أي شيء وقع.

سمعت أبا الحسن علي بن هارون صاحب الجنيد يقول: قرأت في جواب يوسف بن الحسين إلى الجنيد: من تفتت عذاره، وانقطع حزامه وساح في مفاوز الخطرات يلاحظ عنها أحكام السعادات يقول في حدائه:

كيف السبيل إلى مرضاة من غضبا من غير جرم ولم نعرف له سببا

وأقول:

لتعرف نفسي قدرة الخالق الذي يدبر أمر الخلق وهو شكـور

وأشكركم في السر والجهر دائبا وإن كان قلبي في الوثاق أسير قال:

وسمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: ليس أعمال الخلق بالذي ترضيه ولا تسخطه، إنما رضى عن قوم فاستعملهم بأعمال الرضى، وسخط على قوم فاستعملهم بأعمال السخط. وإني ربما تمثلت بهذه الأبيات:

يا موقد النار في قلبـي بـقـدرتـه لو شئت أطفأت عن قلبي بك النـار

لا عار إن مت من شوقي ومن حزني على فعالك بـي لا عـار لا عـار قال:

وسمعت أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم يقول: من جهل قدره هتك ستره.

سمعت أبا عمرو العثماني، يقول: أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى، قال: سمعت يوسف بن الحسين، يقول: سمعت ذا النون، يقول: تكلمت خدع الدنيا على ألسنة العلماء، وأماتت قلوب القراء فتن الدنيا، فلست ترى إلا جاهلاً متحيراً، أو عالماً مفتوناً، فيا من جعل سمعي وعاء لعلم عجائبه، وقلبي منبعاً لذكره، ويا من من علي بمواهبه اجعلني بحبلك معتصماً، وبجودك متمسكاً، وبحبالك متصلاً وأكمل نعمتك عندي بدوام معرفتك في قلبي، كما أكملت خلقي، وسددني للتي تبلغني إليك، واجعل ذلك مضموماً إلي نعمائك عندي، واهدني للشكر حتى أعلم مكان الزيادة منك في قلبي، ولا تنزع محبتك من قلبي يا ذا الجلال والإكرام والجمال والنور والبهاء. والحمد لله أولاً وآخراً.

حدثنا عثمان بن محمد، حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، حدثنا يوسف بن الحسين، قال: سألت ذا النون: من أجالس؟ قال: جالس من الناس من تقهرك هيبته وتخوفك في السر والعلانية رؤيته، ويخبرك عن نفسك بالذي هو أعلم به منك. ونحو هذا. إلا أن كلامه دلني على مجالسة من تقع على هيبته.

قال يوسف: وقيل لذي النون: أين مجالس الآمنين؟ فقال: في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

قال يوسف: وسألت ذا النون يوماً من الأيام: من أصحب؟ قال لا تصحب من ينخدع بغيرك. قال يوسف: فعرضت هذه الكلمة على طاهر المقدسي فقال: نهاك عن صحبة الخلائق بأسرها.

قال: وسمعت يوسف يقول: زار ذو النون أخاً له في شقة بعيدة، فقال ذو النون: ما بعد الطريق أدى إلي صديق، ولا ضاق مكان من حبيب.

قال: وسمعت ذا النون وقيل له: مالك إذا رأيت العاصي لا تحقد عليه، وتقبح فعله وتهجره؟ فقال: لأني أنظر إلى الصانع في الصنع فيهون علي المصنوع.

قال: وسمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت الفتح بن شخرف يقول: قال لي ذو النون: من قطع الآمال من الخلق وصل إلي الخالق. ولن يصل عبد إلي محبوبه دون قطع الآمال ممن دونه، فمن أحب لقاء الله فليرم بكنفه عنده، وليخلص وليشمر وليصبر ويرض ويستسلم مخاطراً بنفسه فتؤديه مخاطرة نفسه إلي نفسه.

قال: وسمعت يوسف بن الحسين يقول: حدثني محمد بن يحيى السرخسي الناسك قال: سمعت أبا يزيد البسطامي يقول: الحب لله على أربعة فنون: ففن منه وهو منته. وفن منك وهو ودك. وفن له، وهو ذكرك له. وفن بينكما وهو العشق. قال يوسف: فذكرت ذلك لذي النون فقال: هذا الكمال. الزاهد يقول: كيف أصنع؟ والعارف يقول: كيف يصنع بي؟ ثم قال: تاه القوم في جماله وجلاله.

قال: وسمعت يوسف بن الحسين يقول: قال ذو النون: مقامات الرجال تسعة عشر مقاماً أولها الإجابة، وأعلاها التوكل.

وقال ذو النون: الناس أعداء ما جهلوا، وحساد ما منعوا، من جهل قدره هتك ستره.

قال: وأتاه رجل يوماً، فقال: يا أبا الفيض أوصني، فقال: بم أوصيك؟ إن كنت ممن قد أيدت منه في علم الغيب بصدق التوحيد فقد سبق لك قبل أن تخلق إلي يومنا دعاء النبيين والمرسلين والصديقين وذلك خير من وصيتي. وإن يكن غير ذلك فلن ينفعك النداء.

قال: وسمعته يقول: استعبدنا بالعناء فلابد من الانقياد له.

قال: وسئل: لم أحب الناس الدنيا؟ قال: لأن الله تعالى جعل الدنيا خزانة أرزاقهم، فمدوا أعينهم إليها.

قال: الحبيب يسبق الاغتفار قبل الاعتذار، وقال: من يسكن قلبك عليه فلا تفش سرك إليه.

وسئل: من دون الناس غماً؟ قال: أسوؤهم خلقاً. قيل: وما علامة سوء الخلق؟ قال: كثرة الخلاف. وقال: صدور الأحرار قبور الأسرار.

وسئل يوماً: فيم يجد العبد الخلاص؟ قال: الخلاص في الإخلاص، فإذا أخلص تخلص، قيل: فما علامة الإخلاص؟ قال: الخلاص في الإخلاص، فإذا أخلص تخلص، قيل: فما علامة الإخلاص؟ قال: إذا لم يكن في عملك محبة حمد المخلوقين ولا مخافة ذمهم فأنت مخلص إن شاء الله.

أسند الحديث: حدثنا عثمان بن محمد، حدثنا أبو الحسن الصوفي محمد بن عبد الله الرازي –بدمشق– حدثني أبو يعقوب بن الحسين الصوفي الرازي، حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا هلال بن سعيد أبو المعلى، عن أنس بن مالك، قال: أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم طوائر ثلاث فأكل طيراً واستخبأ خادمه طيرين فردهما

عليه في الغد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألم أنهك أن ترفع شيئاً لغد؟ إن الله يأتي برزق كل غد . قال يوسف: كنت أتيت أبا عبد الله في أيام المتوكل فسألني عن بلدي، وقال: ما حاجتك، وفي أي شيء جدئت إلي؟ فقلت: لتحدثني. فقال: أما بلغك أني قد أمسكت عن الحديث؟ فقلت: بلى، ولكن حدثني بشيء أذكرك به، وأترحم عليك. فحدثني بهذا الحديث، ثم قال: هذا من بايتك يا صوفي، تسألني عن شيوخ الري، فقال: إيش خبر أبي زرعة حفظه الله؟ فقلت: بخير، فقال: خمسة أدعو الله لهم في دبر كل صلاة: أبواي، والشافعي، وأبو زرعة، وآخر ذهب عني اسمه.

قال الشيخ: وحدث بهذا الحديث، عن يوسف بن الحسين شيخنا القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم –فيما أملاه– حدثنا يوسف بن الحسين الرازي الصوفي، حدثنا أحمد بن حنبل بإسناده مثله، ولم يذكر الكلام.

حدثنا أبو محمد بن حيان –إملاء– حدثنا أحمد بن عصام الرازي، حدثني يوسف بن الحسين، حدثنا عامر بن سيار، حدثنا محمد بن زياد، عن ميمون ابن مهران، عن ابن عباس قال: من اشترى ما لا يحتاج إليه أوشك أن يبيع ما يحتاج إليه.

سعيد بن إسماعيل

ومنهم العارف الفاصح، والعابد الناصح. كان بالحكم منطقياً فصيحاً، وللمريدين شفيقاً نصيحاً، علمهم الآداب الرفيعة، ونبههم على ملازمة الشريعة. كان إلي موافقة الحق مجذوباً، وعن حظوظ النفس مطهراً مسلوباً، أبو عثمان سعيد ابن إسماعيل بن سعيد الحيري.

صفحة : 1868

رازي المولد، خرج زائراً إلى أبي حفص النيسابوري مع شيخه الكرماني فقبله أبو حفص وحبسه عنده، وصار له سكناً، وعلى ابنته ختناً. كان حميد الأخلاق. مديد الأرفاق، بقيت بركته وآثاره على أهل نيسابور. وتوفي بها سنة ثمان وتسعين ومائتين، فيما ذكره لي أبو عمرو بن حمدان، وأنه حضر الصلاة عليه ودفن بمقبرة الحيرة عند قبر أستاذه أبي حفص النيسابوري، وزرت قبريهما سنة إحدى وسبعين وثلثمائة.

سمعت أبا عمرو بن حمدان، يقول: سمعت أبا عثمان الحيري، يقول: من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة، لقوله تعالى: وإن تطيعوه تهتدوا . النور 54 .

سمعت عبد الله بن محمد المعلم –صاحب الخان– يقول: سمعت أبا عمر بن نجيد يقول:

قال محمد بن الفضل البلخي: إن الله تعالى زين أبا عثمان بفنون عبوديته وأبرزه للناس ليعلمهم آداب العبودية.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت جدي أبا عمر ابن نجيد يقول: سمعت أبا عثمان يقول: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته، ولا نقلني إلى غيره فسخطته.

سمعت محمد بن أحمد بن عثمان يقول: سمعت أبا عثمان يقول: موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم.

سمعت أبا عمرو بن حمدان يقول: قرأت بخط أبي أحمد بن حمدان: سمعت أبا عثمان يقول: صلاح القلب من أربع خصال: التواضع لله، والفقر إلى الله، والخوف من الله والرجاء لله.

قال: وسمعت أبا عثمان يقول لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في أربعة أشياء: في المنع، والعطاء، والعز والذل.

قال: وسمعت أبا عثمان يقول: أهل العداوة من ثلاثة أشياء: من الطمع في المال، والطمع في إكرام الناس، والطمع في قبول الناس.

قال: وسمعت أبا عثمان يقول: الخوف من الله يوصلك إلى الله، والكبر والعجب في نفسك يقطعك عن الله، واحتقار الناس في نفسك مرض لا يداوى.

وقال أبو عثمان: سرورك بالدنيا أذهب سرورك بالله عن قلبك. وخوفك من غير الله أذهب خوفك من الله عن قلبك. ورجاؤك ممن دونك أذهب رجاؤك له عن قلبك.

وقال أبو عثمان: حق لمن أعزه الله بالمعرفة أن لا يذل نفسه بالمعصية.

وقال أبو عثمان: أصل التعلق بالخيرات قصور الأمل.

وقال أبو عثمان: أنت مسجون ما تبعت مرادك وشهوتك. فإذا فوضت وسلمت استرحت.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: لما تغير الحال على أبي عثمان وقت وفاته مزق ابنه أبو بكر قميصاً كان عليه، ففتح أبو عثمان عينيه، وقال: يا بني خلاف السنة في الظاهر رياء باطن في القلب.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن أحمد الملامتي يقول: سمعت الحسين الوراق يقول: سألت أبا عثمان عن الصحبه فقال: الصحبة مع الله عز وجل بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة. والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته، ولزوم ظاهر العلم. والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والحرمة. والصحبة مع الأهل والولد بحسن الخلق. والصحبة مع الإخوان بدوام البشر والانبساط ما لم يكن إثماً. والصحبة مع الجهال بالدعاء لهم والرحمة عليهم. ورؤية نعمة الله عليك أن عافاك مما ابتلاهم به.

سمعت محمد بن الحسين، يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي، يقول: سمعت محمد بن أحمد بن يوسف يقول: سمعت أبا عثمان يقول: تعززوا بعز الله كي لا تذلوا.

وقال أبو عثمان: العاقل من تأهب للمخاوف قبل وقوعها، والتفويض رد ما جهلت علمه إلى عالمه. والتفويض مقدمة للرضا، والرضا باب الله الأعظم، والذكر الكثير أن تذكره في ذكرك له أنك لم تصل إلى ذكره إلا به وبفضله.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن أحمد بن إبراهيم يقول: سمعت أبا الحسين الوراق يقول: سئل أبو عثمان: كيف يستجير للعاقل أن يزيل اللائمة عمن يظلمه؟ قال: ليعلم أن الله سلطه عليه.

وقال محفوظ: سئل أبو عثمان: ما علامة السعادة والشقاوة؟ فقال: علامة السعادة أن تطيع الله وتخاف أن تكون مردوداً. وعلامة الشقاوة أن تعصي الله وترجو أن تكون مقبولاً.

أسند الحديث، فمن مسانيد حديثه:

صفحة : 1869

اخبرنا محمد بن الحسين، حدثنا سعيد بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل، قال: وجدت في كتاب جدي أبي عثمان بخطه: حدثني أبو صالح حمدون القصار، قال: وجدت في كتاب جدي أبي عثمان بخطه: حدثني أبو صالح حمدون القصار صاحب أبي محمد بن يحيى النيسابوري، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبثر، عن أشعث، عن محمد، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مات وعليه صوم شهر رمضان أطعم عنه وليه كل يوم مسكيناً .

حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا عبدان بن محمد المروزي، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبثر بن القاسم، عن أشعث بن سوار، عن محمد، عن نافع، عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أفطر يوماً من رمضان فمات قبل أن يقضيه فعليه بكل يوم مد لمسكين . قال سليمان: لم يرده عن أشعث إلا عبثر. ومحمد الذي يروي عنه أشعث هذا الحديث: محمد بن سيرين. وقيل: محمد بن أبي ليلى.

أحمد بن عيسى

ومنهم العارف المعروف، الكامل، بالبيان موصوف. له الكتب المذكورة والأجوبة المشهورة. أبو سعيد الخزاز أحمد بن عيسى.

صحب ذو النون ونظراءه. انتشرت بركاته على أصحابه ومتبعيه. سيد من تكلم في علم الفناء والبقاء.

سمعت عثمان بن محمد العثماني يقول: حدثنا العباس بن أحمد الرملي، قال: قال أبو

.سعيد الخزاز: المعرفة تأتي القلب من وجهين: من عين الجود، ومن بذل المجهود

سمعت أبا الحسن علي بن عبد الله الجهضمي، يقول: سمعت يحيى بن المؤمل يقول: سمعت شيخي أبا بكر الدقاق يقول: سمعت أحمد بن عيسى يقول: فارقوا الأشياء على الإحكام والوداع تفرغ قلوبكم لما تستقبلون، فإنه من فارق شيئاً ولم يحكمه فإنه راجع إليه وقتاً لا محالة، لما بقي عليه منه. وفيما تستقبلون شغل عما تخلفون.

سمعت محمد بن موسى يقول: سمعت عمر بن علي الفرغاني يقول: سمعت ابن الكاتب يقول: سمعت أبا سعيد الخزاز يقول: إن الله عجل لأرواح أوليائه التلذذ بذكره، والوصول إلى قربه. وعجل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم، وأجزل لهم نصيبهم من كل كائن، فعيش أبدانهم عيش الجانين، وعيش أرواحهم عيش الربانيين. لهم لسانان، لسان في الباطن يعرفهم صنع الصانع في المصنوع. ولسان في الظاهر يعلمهم علم المخلوقين. فلسان الظاهر يكلم أجسامهم. ولسان الباطن يناجي أرواحهم.

سمعت أبا الفضل الهروي سمعت أبا بكر الدقاق يقول: انتبه يوماً أبو سعيد الخزاز من غفوته، وقال: اكتبوا ما وقع لي في هذه الغفوة: إن الله جعل العلم دليلاً عليه ليعرف. وجعل الحكمة رحمة منه عليهم ليؤلف. فالعلم دليل إلي الله، والمعرفة دالة على الله، فبالعلم تنال المعلومات، وبالمعرفة تنال المعروفات. والعلم بالتعلم، والمعرفة بالتعرف. فالمعرفة تقع بتعريف الحق. والعلم يدرك بتعريف الخلق، ثم تجري الفوائد بعد ذلك.

سمعت أبا الفضل الطوسي يقول: سمعت غلام الدقاق يقول: سمعت أبا سعيد السكري يقول: سمعت أبا سعيد الخزاز يقول: كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت محمد بن علي الكتاني يقول: سمعت أبا سعيد الخزاز يقول: للعارفين خزائن أودعوها علوماً غريبة. وأنباء عجيبة، يتكلمون بها بلسان الأبدية، ويخبرون عنها بعبارة الأزلية.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت علي بن عبد الله يقول: سمعت أبا العباس الطحان يقول: قال أبو سعيد الخزاز: المحب يتعلل إلى محبوبه بكل شيء، ولا يتسلى عنه بشيء، ويتبع آثاره، ولا يدع استخباره، وأنشدنا:

أسائلكم عنها فهل من مـخـبـر ... فما لي بنعم مذ نأت دارها علـم

فلو كنت أدري أين خيم أهلـهـا ... وأي بلاد الله إذ ظعـنـوا أمـوا

إذا لسلكنا مسلك الريح خلـفـهـا ... ولو أصبحت نعم ومن دونها النجم

سمعت عثمان بن محمد العثماني يقول: حدثنا أبو بكر الكتاني وأبو الحسن الرملي قالا:

سألنا أبا سعيد الخزاز فقلنا: أخبرنا عن أوائل الطريق إلى الله، فقال: التوبة وذكر شرائطها، ثم ينقل من مقام التوبة إلى مقام الخوف. ومن مقام الخوف إلى مقام الرجاء، ومن مقام الرجاء إلى مقام الصالحين. ومن مقام الصالحين إلى مقام المريدين، ومن مقام المريدين إلى مقام المطيعين ومن مقام المطيعين إلى مقام المحبين، ومن مقام المحبين إلى مقام المقربين، وذكروا لكل مقام عشر شرائط، إذا عاناها وأحكمها وحلت القلوب هذه المحلة أدمنت النظر في النعمة، وفكرت في الأيادي والإحسان، فانفردت النفوس بالذكر، وجالت الأرواح في ملكوت عزه بخالص العلم به واردة على حياض المعرفة، إليه صادرة، ولبابه قارعة، وإليه في محبته ناظرة. أما سمعت قول الحكيم وهو يقول:

أراعي سواد الليل أنسـاً بـذكـره وشوقاً إليه غير مستكره الصـبـر
ولكن سروراً دائمـاً وتـعـرضـاً وقرعاً لباب الرب ذي العز والفخر فحالهم

أنهم قربوا فلم يتباعدوا، ورفعت لهم منازل فلم يخفضوا، ونورت قلوبهم لكي ينظروا إلي ملك عدن بها ينزلون فتاهوا بمن يعبدون، وتعززوا بمن به يكتنفون، حلوا فلم يظعنوا، واستوطنوا محلته فلم يرحلوا، فهم الأولياء وهم العاملون، وهم الأصفياء وهم المقربون، أين يذهبون عن مقام قرب هم به آمنون؟ وعزوا في غرف هم بها ساكنون، جزاء بما كانوا يعملون، فلمثل هذا فليعمل العاملون.

سمعت أبا عمرو العثماني يقول: سمعت أبا الحسن الرازي يقول: قال أبو سعيد الخزاز: كل ما فاتك من الله سوى الله يسير، وكل حظ لك سوى الله قليل. وقال: الناس في الفرح بالله على أربع طبقات: إنما هو المعطي والمعطي والإعطاء والعطاء، فمن الناس من فرح بالمعطي، ومنهم من فرح بالمعطي –وهو نفسه– ومنهم من فرح بالإعطاء، ومنهم من فرح بالعطاء. فينبغي أن يكون فرحك في العطاء بالمعطي، ولذتك في اللذات بخالق اللذات، وتنعمك في النعم بالمنعم دون النعم لأن ذكر النعمة عند ذكر المنعم حجاب، ورؤية النعمة عند رؤية المنعم حجاب.

أسند الحديث: فمن مسانيده: اخبرنا أبو الفتح يوسف بن عمر بن مسرور القواس، حدثنا علي بن محمد المصري، حدثنا أبو سعيد أحمد بن عيسى الخزاز البغدادي الصوفي، حدثنا عبد الله بن إبراهيم الغفاري، حدثنا جابر بن سليم، عن يحيى بن سعيد، عن محمد ابن إبراهيم، عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سوء الخلق شؤم وشراركم أسوؤكم خلقاً .

أحمد النوري

ومنهم أبو الحسن أحمد بن محمد المعروف بالنوري، أحد الأئمة، له اللسان الجاري،

بالبيان الشافي في أسرار المتوجهين إلى الباري، لقي أحمد بن أبي الحواري وصحب سريا السقطي. يعرف بابن البغوي.

سمعت عبد المنعم بن حيان يحكي، عن أبي سعيد الأعرابي محنته وغيبته عن إخوانه في أيام محنة غلام الخليل، وأنه أقام بالرقة سنين متخلياً عن الإيناس، ثم عاد بعد المدة المديدة إلى بغداد، وفقد أناسه وجلاسه وأشكاله، وانقبض عن الكلام لضعف في بصره وانحلال في جسمه وقوته.

حدثنا عثمان بن محمد العثماني، حدثنا أبو بكر محمد بن حمدان، حدثنا محمد بن أحمد بن سفيان، ومحمد بن علي القحطبي، قالا: قدم أبو الحسين النوري وكان صوفياً متكلماً في بعض قدماته من مكة في غير أوان الحج فخرجنا فاستقبلناه فوق بغداد، فرأينا في وجهه تغيراً، فقلنا: يا أبا الحسين تغير الأسرار من تغير الأبشار، فقال لا إن الحق تحمل كل كل وثقل عن قلوب أوليائه ثم أنشدني:

أخرجني من وطني
صيرني كما ترى
أسكن قفر الدمن
إذا تغيبت بدا
كما ترى صيرني
وإن بدا غيبني
وافقته حتى إذا
وافقني خالفني
وقال لا تشهد ما

تشهد أو تشهدني سمعت أبا الحسن بن مقسم، يقول: رؤي النوري في رجوعه من الحرم ولم يبق منه إلا خاطره، فقال له رجل: هل يلحق الأسرار ما يلحق الصفات؟ فقال: لا، إن الحق أقبل على الأسرار فحملها، وأعرض عن الصفات فمحقها. ثم أنشأ يقول:

أهكـذا صـيرنـي أزعجني عن وطني
غربنـي شـردنـي شردني غربـنـي
حتى إذا غبـت بـدا وإن بدا غـيبـنـي

صفحة : 1871

واصلني حتى إذا واصلته فاصلني
يقول لا تشهد ما تشهد أو تشهدني سمعت عمر البناء –البغدادي بمكة–

يحكي لما كانت محنة غلام الخليل ونسب الصوفية إلى الزندقة أمر الخليفة بالقبض عليهم فأخذ في جملة من أخذ النوري في جماعة، فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم، فتقدم النوري مبتدراً إلى السياف ليضرب عنقه، فقال له السياف: ما دعاك إلى الابتدار إلي القتل من بين أصحابك؟ فقال: آثرت حياتهم على حياتي هذه اللحظة. فتوقف السياف والحاضرون عن قتله، ورفع أمره إلى الخليفة. فرد أمرهم إلى قاضي القضاة –وكان يلي القضاء يومئذ إسماعيل بن إسحاق– فقدم إليه النوري، فسأله عن مسائل العبادات والطهارة والصلاة. فأجابه ثم قال له: وبعد هذا لله عباد يسمعون بالله وينظرون بالله، ويردون بالله، ويأكلون بالله، ويلبسون بالله. فلما سمع إسماعيل كلامه بكى بكاء طويلاً ثم دخل على الخليفة، فقال: إن كان هؤلاء القوم زنادقة فليس على الأرض موحد، فأمر بتخليتهم، وسأله السلطان يومئذ: من أين يأكلون؟ فقال: لسنا نعرف الأسباب التي يستجلب بها الأرزاق، نحن قوم مدبرون، وقال: من وصل إلي برده أنس بقربه، ومن توصل بالوداد فقد اصطفاه من بين العباد.

حدثنا أبو الفضل الهروي قال: حكى لي جعفر بن الزبير الهاشمي أن أبا الحسين النوري دخل يوماً الماء فجاء لص فأخذ ثيابه، فبقي في وسط الماء فلم يلبث إلا قليلاً حتى رجع إليه اللص ومعه ثيابه، فوضعها بين يديه وقد جفت يمينه، فقال النوري: رب قد رد علي ثيابي فرد عليه يمينه. فرد الله عليه يده ومضى.

سمعت أبا الفرج الورثاني يقول: سمعت علي بن عبد الرحيم يقول: دخلت على النوري ذات يوم فرأيت رجليه منتفختين، فسألته عن أمره، فقال: طالبتني نفسي بأكل التمر فجعلت أدافعها فتأبى علي، فخرجت فاشتريت، فلما أن أكلت قلت لها: قومي حتى تصلي فأبت، فقلت: لله على وعلى إن قعدت على الأرض أربعين يوماً فما قعدت.

سمعت محمد بن موسى يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء، يقول: سمعت أبا الحسين النوري، يقول: كان في نفسي من هذه الآيات شيء فأخذت من الصبيان قصبة وقمت بين زورقين، وقلت: وعزتك لئن لم تخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال لأغرقن نفسي. قال: فخرجت لي سمكة فيها ثلاثة أرطال، قال: فبلغ ذلك الجنيد فقال: كان حكمه أن تخرج له أفعى فتلدغه.

سمعت محمد بن موسى يقول: حكى فارس الجمال، عن النوري، قال: كانت المراقع غطاء على الدر، فصارت مزابل على جيف.

سمعت أبا الفضل نصر بن أبي نصر الطوسي يقول: سمعت ابن عبد الله البغدادي، يقول: سمعت فارساً الجمال، يقول: لحق أبا الحسين النوري علة والجنيد علة، فالجنيد أخبر عن وجده، والنوري كتم. فقيل للنوري: لم تخبر كما أخبر صاحبك؟ قال: ما كنا نبتلي ببلوى

:فنوقع عليه الشكوى. ثم أنشأ يقول

إن كنت للسقم أهلا فأنت للشكر أهلا

عذب فلم تبق قلبـا يقول للسقم مهلا فأعيد على الجنيد ذلك، فقال

:الجنيد: ما كنا شاكين، ولكنا أردنا أن نكشف عن عين القدرة فينا. ثم بدأ يقول

أجل ما منك يبـدو

لأنه عـنـك جـلا

وأنت يا أنس قلبـي

أجل من أن تجـلا

أفنيتني عن جميعي

:فكيف أرعى المحلا قال: فبلغ ذلك الشبلي، فأنشأ يقول

محنتي فـيك أنـنـي

لا أبالي بمحـنـتـي

يا شفائي من السقـام

وإن كنت عـلـتـي

تبت دهراً فمذ عرفتك

ضيعت فيك توبـتـي

قربكم مثل بعـدكـم

فمتى وقت راحتـي

صفحة : 1872

سمعت علي بن عبد الله الجهضمي يقول: سمعت علي بن عبيد الله الخياط يقول: سمعت أبا محمد الرتعش يقول: سمعت أبا الحسين النوري يقول –ويوصي بعض أصحابه: عشرة وأي عشرة، احتفظ بهن واعمل عليهن جهدك، فأولى ذلك من رأيته يدعي مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربن منه. والثانية من رأيته يركن إلى غير أبناء جنسه ويخالطهم فلا تقربن منه. والثالثة من رأيته يسكن إلي الرئاسة والتعظيم له فلا تقربن منه، ولا ترتفق به وإن أرفقك ولا ترج فلاحاً، والرابعة. فقير رجع إلى الدنيا إن مت جوعاً فلا تقربن منه ولا ترفق به إن أرفقك، فإن رفقه يقسي قلبك أربعين صباحاً. والخامسة من رأيته مستغنياً بعلمه فلا تأمن جهله. والسادسة من رأيته مدعياً حاله باطنه لا يدل عليها، ولا يشهد عليها حفظ ظاهره فاتهمه على دينه. والسابعة من رأيته يرضى عن نفسه ويسكن عليها حفظ ظاهره فاتهمه على دينه. والسابعة من رأيته يرضى عن نفسه

ويسكن إلى وقته فاعلم أنه مخدوع، فاحذره أشد الحذر. والثامنة مريد يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهية لا ترجون خيره. والتاسعة فقير لا تراه عند السماع حاضراً فاتهمه، واعلم أنه منع بركة ذلك لتشويش سره، وتبديد همه. والعاشرة، من رأيته مطمئناً إلى أصدقائه وإخوانه وأصحابه مدعياً لكمال الخلق بذلك فاشهد بسخافة عقله ووهن ديانته.

سمعت أبا الحسن يقول حدثني عبد الواحد بن بكر حدثني علي بن عبد الرحيم قال: رأيت أبا الحسن النوري قائماً حيال الكعبة يحرك شفتيه كأنه يسأل شيئاً ثم أنشأ يقول:

كفى حزناً أني أناديك دائباً كأني بعيد أو كأنك غائب

واسأل منك الفضل من غير رغبة ولم أر مثلي زاهداً فيك راغب سمعت

عثمان بن محمد العثماني يقول قرأت على أبي محمد عبد الله ابن محمد الرازي –بنيسابور– عن أبي الحسين النوري قال: أعلى مقامات أهل الحقائق انقطاعهم عن الخلائق، وسبل المحبين التلذذ بمحبوبهم، وسبيل الراجين التأميل لما مولهم، وسبيل الفانين الفناء في محبوبهم ومأمولهم، وسبيل الباقين البقاء ببقائه. ومن ارتفع عن الفناء والبقاء فحينئذ لا فناء ولا بقاء. وقال: إن المحبة للمحبوب تتزايد من لطائف المحبوب.

حدثنا عثمان بن محمد العثماني قال: قرأت على أبي محمد عبد الله ابن محمد الرازي قال: أنشدنا النوري:

كادت سرائر سري أن تسر بما أوليتني من سرور لا أسميه

فصاح للسر منك يرقبه كيف السرور بسر دون مبديه

فظل يلحظه سراً ليلحظه والحق يلحظني ألا أراعيه

وأقبل السر يغني الكل عن صفتي وأقبل الحق يغنيني ويغنيه حدثني

عثمان بن محمد قال: أخبرني أحمد بن الحسين، قال: سمعت أبا الحسن القناد يقول: كتبت إلى النوري وأنا حديث:

إذا كان كل الكل في النور فانياً أين لي على أي الوجودين أخبر فأجابني في الحال:

إذا كنت فيما ليس بالوصف فانياً فوقتك في الأوصاف عندي تحير حدثنا

عثمان بن محمد قال: أخبرنا الحسن بن أحمد أبو علي الصوفي قال: كتب النوري إلى الجنيد يسأله عن السر، ووصفه في شعره ثلاثة أوصاف:

يناجيك سر سائل عن ثلاثة سرائرهم كتم وإعلانهم ستر

فتى ضاع كتم السر بين ضلوعه عن ادراكه حتى كان لم يكن سر

فأسبل أستار التخفر صائناً لكل حديث أن يكون هو السر

فكتام سر مدرك الكتم لم ينل سوى حد كتم السر من ظنه ذكر

فكاتمه المكنون ثم تـكـاتـمـت جوانحه فالكل من بثـه صـفـر
ضنين بمـا يهـواه مـا لاح لائح يقاربه إلا احتمى صوبها الفكـر
ومكتتم وافى الضمائر وامتـطـى لموعده جحداً ولـيس بـه غـدر
لامهم تاج الـفـخـار ذكـرتـه ومن شربه في حاله المنهل الغمر فقال
الجنيد: والله ما رميت بسري إلى أحدهما لأفضله على الآخر إلا جذبني إليه، وقد أرجأت أمرهما إلى الله.

صفحة : 1873

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت القناد يقول: سمعت أبا الحسين النوري يقول: رأيت غلاماً جميلاً ببغداد فنظرت إليه، ثم أردت أن أردد النظر فقلت له: لم تلبسون النعال الصرارة وتمشون في الطرقات؟ قال: أحسنت أتحسن العلم. ثم أنشأ يقول:

تأمل بعين الحق إن كنت ناظراً إلى صفة فيها بدائع فـاطـر
ولا تعط حظ النفس منها لما بها وكن ناظراً بالحق قدرة قـادر ومن

مسانيد حديثه فيما أخبرنيه محمد بن عمر بن الفضل بن غالب في كتابه وقد لقيته وسمعت منه في غير شيء.

حدثنا محمد بن عيسى الدهقان، قال: كنت أمشي مع أبي الحسين أحمد بن محمد النوري المعروف بابن البغوي الصوفي فقلت له: ما الذي تحفظ عن السري السقطي؟ فقال: حدثنا السري، عن معروف الكرخي، عن ابن السماك، عن الثوري، عن الأعمش، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: من قضى لأخيه المسلم حاجة كان له من الأجر كمن خدم الله عمره . قال محمد بن عيسى الدهقان: فذهبت إلى السري السقطي فسألته، فقال: سمعت معروف بن فيروز، يقول: خرجت إلى الكوفة فرأيت رجلاً من الزهاد يقال له السماك، فقال: حدثني الثوري، عن الأعمش مثله.

الجنيد بن محمد الجنيد

ومنهم المربي بفنون العلم، المؤيد بعيون الحلم، المنور بخالص الإيقان وثابت الإيمان، العالم بمودع الكتاب، والعامل بحلم الخطاب، الموافق فيه للبيان والصواب، أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد: كان كلامه بالنصوص مربوطاً، وبيانه بالأدلة مبسوطاً. فاق أشكاله بالبيان الشافي، واعتناقه للمنهج الكافي، ولزومه للعمل الوافي.

سمعت أبا الحسن علي بن هارون بن محمد، وأبا بكر محمد بن أحمد المفيد يقولان:

سمعنا أبا القاسم الجنيد بن محمد غير مرة يقول: علمنا مضبوط الكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث مثل أبي عبيد وأبي ثور فأحكم الأصول وصحب الحارث بن أسد المحاسبي وخاله السري بن مغلس فسلك مسلكهما في التحقيق بالعلم واستعماله.

سمعت أبا الحسن أحمد بن محمد بن مقسم، يقول: سمعت أبا محمد الخواص، يقول: سمعت الجنيد بن محمد، يقول: كان الحارث بن أسد المحاسبي يجيء إلى منزلنا فيقول: اخرج معي نصحر. فأقول له: تخرجني من عزلتي وأمني على نفسي إلى الطرقات والآفات ورؤية الشهوات. فيقول: اخرج معي ولا خوف عليك. فأخرج معه فكان الطريق فارغاً من كل شيء لا نرى شيئاً نكرهه. فإذا حصلت معه في المكان الذي يجلس فيه قال لي: سلني. فأقول له: ما عندي سؤال أسألك، فيقول: سلني عما يقع في نفسك فتنثال علي السؤالات فأسأله عنها فيجيبني عليها في الوقت، ثم يمضي إلى منزله فيعملها كتباً. فكنت أقول للحارث كثيراً: عزلتي وأنسي وتخرجني إلى وحشة رؤية الناس والطرقات؟ فيقول لي: كم تقول أنسي وعزلتي؟ لو أن نصف الخلق تقربوا مني ما وجدت بهم أنساً، ولو أن النصف الآخر نأوا عني ما استوحشت لبعدهم.

قرأت على أبي الحسين محمد بن علي بن حبيش الناقد الصوفي صاحب أبي العباس بن عطاء ببغداد –سنة تسع وخمسين وثلاثمائة من كتابه فأقر به– قلت: سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول: إن أول ما يحتاج إليه من عقد الحكمة تعريف المصنوع صانعه، والمحدث كيف كان أحدثه، وكيف كان أوله، وكيف أحدث بعد موته، فيعرف صفة الخالق من المخلوق، وصفة القديم من المحدث، فيعرف المربوب ربه، والمصنوع صانعه، والعبد الضعيف سيده، فيعبده ويوحده، ويعظمه ويدل لدعوته، ويعترف بوجوب طاعته، فإن من لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه، ولم يضف الخلق في تدبيره إلى وليه. والتوحيد علمك وإقرارك بأن الله فرد في أوليته وأزليته، لا ثاني معه ولا شيء يفعل فعله، وأفعاله التي أخلصها لنفسه أن يعلم أن ليس شيء يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، ولا يسقم ولا يبري ولا يرفع ولا يضع، ولا يخلق ولا يرزق، ولا يميت ولا يحيي، ولا يسكن ولا يحرك غيره جل جلاله، فقد سئل بعض العلماء فقيل له: بين التوحيد وعلمنا ما هو. فقال: هو اليقين، فقيل له: بين لنا، فقال: هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونها فعل الله وحده لا شريك له، فإذا فعلت ذلك فقد وحدته.

وتفسير ذلك أنك جعلت الله واحداً في أفعاله، إذ كان ليس شيء يفعل أفعاله، وإنما

اليقين اسم للتوحيد إذا تم وخلص. وإن التوحيد إذا تمت المحبة والتوكل وسمى يقيناً. فالتوكل عمل القلب، والتوحيد قول العبد، فإذا عرف القلب التوحيد وفعل ما عرف فقد تم.

وقد قال بعض العلماء: إن التوكل نظام التوحيد، فإذا فعل ما عرف فقد جاء بالمحبة واليقين والتوكل، وتم إيمانه، وخلص فرضه، لأنك إذا عرفت أن فعل الله لا يفعله شيء غير الله ثم تخاف غيره وترجو غيره لم تأت بالأمر الذي ينبغي فلو عملت ما عرفت لرجوت الله وحده حين عرفت أنه لا يفعل فعله غيره. فالقول فيمن يقصر علم قلبه أنه ناقص التوحيد، لأن القلب مستغل بالفتنة التي هي آفة التوحيد. قلت: ما هو؟ قال: ظنك أن شيئاً يفعل فعل الله، فاسم ذلك الظن فتنة. والفتنة هي الشرك اللطيف. قلت: أوليس الفتنة من أعمال القلب؟ قال: لا ولكنها داخلة عليه ومفسدة له. قلت: وما هي؟ قال: ظنك بالله، إذ ظننت أن من يشاء يفعل فعله، والكلام في هذا يطول، ولكن من يفهم يقنع باليسير.

سمعت الحسين بن موسى يقول: سمعت أبا نصر الطوسي يقول: سمعت عبد الواحد بن علوان يقول: سمعت الجنيد يقول فيما يعظني به: يا فتى الزم العلم ولو ورد عليك من الأحوال ما ورد ويكون العلم مصحوبك، فالأحوال تندرج فيك وتنفد، لأن الله عز وجل يقول: والراسخون في العلم يقولون آمناً به كل من عند ربنا . آل عمران 7 .

اخبرنا جعفر بن محمد بن نصير –فيما كتب إلي– وحدثني عنه محمد ابن إبراهيم قال: رأيت الجنيد في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم. وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار.

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت أبا الحسين بن الدراج يقول ذكر الجنيد أهل المعرفة بالله وما يراعونه من الأوراد والعبادات، بعد ما ألطفهم الله به من الكرامات، فقال الجنيد: العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك.

صفحة : 1875

اخبرني جعفر بن محمد –في كتابه– وحدثني عنه الحسين بن يحيى الفقيه الأسفيعاني، قال: سمعت الجنيد يقول: الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول واتبع سنته، ولزم طريقته، فإن طريق الخيرات كلها مفتوحة عليه. وقرأت على محمد بن علي بن حبيش فقلت: سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول: سألت عن المعرفة وأسبابها، فالمعرفة من الخاصة والعامة هي معرفة واحدة، لأن المعروف بها واحد، ولكن

لها أول وأعلى، فالخاصة في أعلاها، وإن كان لا يبلغ منها غاية ولا نهاية، إذ لا غاية للمعروف عند العارفين، وكيف تحيط المعرفة بمن لا تلحقه الفكرة، ولا تحيط به العقول، ولا تتوهمه الأذهان، ولا تكيفه الرؤية. وأعلم خلقه به أشدهم إقراراً بالعجز عن إدراك عظمته، أو تكشف ذاته لمعرفتهم بعجزهم عن إدراك من لا شيء مثله، إذ هو القديم وما سواه محدث، وإذ هو الأزلي وغيره المبدأ، وإذ هو الإله وما سواه مألوه، وإذ هو القوي من غير مقو، وكل قوي فبقوته قوي، وإذ هو العالم من غير معلم، ولا فائدة استفادها من غيره، وكل عالم فبعلمه علم. سبحانه الأول بغير بداية، والباقي بغير بداية، والباقي إلى غير نهاية، ولا يستحق هذا الوصف غيره، ولا يليق بسواه، فأهل الخاصة من أوليائه في أعلى المعرفة من غير أن يبلغوا منها غاية ولا نهاية. والعامة من المؤمنين في أولها ولها شواهد ودلائل من العارفين على أعلاها، وعلى أدناها. فالشاهد على أدناها الإقرار بتوحيد الله، وخلع الأنداد من دونه، والتصديق به وبكتابه وفرضه فيه ونهيه. والشاهد على أعلاها القيام فيه بحقه واتقاؤه في كل وقت، وإيثاره في جميع خلقه واتباع معالي الأخلاق، واجتناب ما لا يقرب منه. فالمعرفة التي فضلت الخاصة على العامة هي عظيم المعرفة في قلوبهم بعظيم القدر والإجلال، والقدرة النافذة والعلم المحيط، والجود والكرم والآلاء، فعظم في قلوبهم قدره وقدر جلالته وهيبته، ونفاذ قدرته، وأليم عذابه وشدة بطشه، وجزيل ثوابه وكرمه وجوده بجنته وتحننه، وكثرة أياديه ونعمه وإحسانه، ورأفته ورحمته. فلما عظمت المعرفة بذلك عظم القادر في قلوبهم، فأجلوه وهابوه وأحبوه، واستحيوا منه وخافوه ورجوه، فقاموا بحقه واجتنبوا كل ما نهى عنه، وأعطوه المجهود من قلوبهم وأبدانهم. أزعجهم على ذلك ما استقر في قلوبهم من عظيم المعرفة بعظيم قدره وقدر ثوابه وعقابه، فهم أهل الخاصة من أوليائه. فلذلك قيل فلان بالله عارف، وفلان بالله عالم، لما رأوه مجلاً هائباً راهباً راجياً طالباً مشتاقاً ورعاً متقياً باكياً حزيناً خاضعاً متذللاً فلما ظهرت منهم هذه الأخلاق عرف المسلمون أنهم بالله أعرف وأعلم من عوام المسلمين، وكذلك وصفهم الله فقال: إنما يخشى الله من عباده العلماء . فاطر 38 . وقال داود عليه السلام: إلهي ما علم من لم يخشك، فالمعرفة التي فضلت بها الخاصة العامة هي عظيم المعرفة، فإذا عظمت المعرفة بذلك واستقرت ولزمت القلوب صارت يقيناً قوياً فكملت حينئذ أخلاق العبد وتطهر من الأدناس، فنال به عظيم المعرفة بعظيم القدر والجلال، والتذكر والتفكر في الخلق كيف خلقهم، وأتقن صنعتهم، وفي المقادير كيف قدرها فاتسقت على الهيئات التي هيأها، والأوقات التي وقتها. وفي الأمور كيف دبرها على إرادته ومشيئته، فلم يمتنع منها شيء عن المضي على إرادته، والاتساق على مشيئته. وقد قال بعض أهل العلم: إن النظر في القدرة يفتح باب التعظيم لله في القلب. ومر بعض

الحكماء بمالك بن دينار فقال له مالك: عظنا رحمك الله. فقال: بم أعظمك؟ إنك لو عرفت الله أغناك ذلك عن كل كلام، لكن عرفوه على دلالة أنهم لكان نظروا في اختلاف الليل والنهار، ودوران هذا الفلك، وارتفاع هذا السقف بلا عمد ومجاري هذه الأنهار والبحار، علموا أن لذلك صانعاً ومدبراً لا يعزب عنه مثقال ذرة من أعمال خلقه فعبدوه بدلائله على نفسه، حتى كأنهم عاينوه، والله في دار جلاله عن رؤيته، ففي ذلك دليل أنهم بعظيم قدره أعرف وأعلم، إذ هم له أجل وأهيب.

صفحة : 1876

سمعت أبا الحسن علي بن هارون بن محمد السمسار، يقول: سمعت الجنيد بن محمد، يقول: اعلم يا أخي أن الوصول إذا ما سألت عنه مفاوز مهلكة، ومناهل متلفة، لا تسلك إلا بدليل، ولا تقطع إلا بدوام رحيل، وأنا واصف لك منها مفازة واحدة، فافهم ما أنعته لك منها، وقف عندما أشير لك فيها، واستمع لما أقول، وافهم ما أصف: اعلم أن بين يديك مفازة إن كنت ممن أريد بشيء منها، وأستودعك الله من ذلك، وأسأله أن يجعل عليك واقية باقية، فإن الخطر في سلوكها عظيم، والأمر المشاهد في الممر بها جسيم، فإن من أوائلها أن يوغل بك في قبح برزخ لا أمد له إيغالاً، ويدخل لك بالهجوم فيه إدخالاً، وترسل في جويهنته إرسالا. ثم تتخلى منك لك، ويتخلى منك له، فمن أنت حينئذ وماذا يراد بك، وماذا يراد منك؟ وأنت حينئذ في كل محل أمنه روع. وأنسه وحشة، وضياؤه ظلمة، ورفاهيته شدة، وشهادته غيبة، وحياته ميتة، لادرك فيه لطالب، ولا مهمة فيه لسارب، ولا نجاة فيه لهارب، وأوائل ملاقاته اصطلام، وفواتح بدائعه احتكام، وعواطف ممرة احترام. فإن غمرتك غوامره انتسفتك بوادره، وذهب بك في الارتماس، وأغرقتك بكثيف الانطماس، فذهبت سفالاً في الانغماس إلى غير درك نهاية، ولا مستقر لغاية، فمن المستنفذ لك مما هنالك، ومن المستخرج لك من تلك المهالك؟ وأنت في فرط الإياس من كل فرج مشوه بك في إغراق لجة اللجج؟ فاحذر ثم احذر، فكم من متعرض اختطف، ومتكلف انتسف، وأتلف بالغرة نفسه، وأوقع بالسرعة حتفه، جعلنا الله وإياك من الناجين، ولا أحرمنا وإياك ما خص به العارفين. واعلم يا أخي أن الذي وصفته لك من هذه المفاوز وعرضت ببعض نعته إشارة إلى علم لم أصفه، وكشف العلم بها يبعد، والكائن بها يفقد، فخذ في نعته إشارة إلى علم لم أصفه، وكشف العلم بها يبعد، والكائن بها يفقد، فخذ في نعت ما تعرفه من الأحوال، وما يبلغه النعت والسؤال، ويوجد في المقاربين والأشكال، فإن ذلك أقرب بظفرك لظفرك، وأبعد من حظك لحظك، وأحذر من مصادمات ملاقاة الأبطال والهجوم على حين وقت النزال، والتعرض لأماكن أهل الكمال، قبل أن تمات من

حياتك ثم تحيى من وفاتك، وتخلق خلقاً جديداً، وتكون فريداً وحيداً، وكل ما وصفته لك إشارة إلى علم ما أريده.

صفحة : 1877

سمعت علي بن هارون يقول: سمعت الجنيد بن محمد يقول –وقرأه علينا في كتاب كتب به إلى بعض إخوانه: اعلم رضي الله عنك أن أقرب ما استدعي به قلوب المريدين، ونبه به قلوب الغافلين، وزجرت عنه نفوس المتخلفين، ما صدقته من الأقوال جميع ما اتبع به من الأفعال، فهل يحسن يا أخي أن يدعو إلى أمر لا يكون عليه شعاره، ولا تظهر منه زينته وآثاره. وألا يكون قائله عاملاً فيه بالتحقيق، وبكل فعل بذلك القول يليق، وأفك من دعا إلى الزهد وعليه شعار الراغبين، وأمر بالترك وكان من الآخذين، وأمر بالجد في العمل وكان من المقصرين، وحث على الاجتهاد ولم يكن من المجتهدين، إلا قل قبول المستمعين لقيله، ونفرت قلوبهم لما يرون من فعله، وكان حجة لمن جعل التأويل سبباً إلى اتباع هواه، ومسهلاً لسبيل من آثر آخرته على دنياه. أما سمعت الله تعالى يقول وقد وصف نبيه شعيباً وهو شيخ الأنبياء، وعظيم من عظماء الرسل والأولياء، وهو يقول: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه . هود 88 . وقول الله جل ذكره لمحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم: قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله . سبأ 47 . وأمر الله له بالدعاء إليه بقوله عز من قائل: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن . النحل 125 . فهذه سيرة الأنبياء والرسل والأولياء. والذي يجب يا أخي على من فضله الله بالعلم به، والمعرفة له، أن يعمل في استتمام واجبات الأحوال، وأن يصدق القول منه الفعل بذلك أولاً عند الله ويحظي به من اتبعه آخراً. واعلم يا أخي أن لله ضنائن من خلقه أودع قلوبهم المصون من سره، وكشف لهم عن عظيم أثرهم به من أمره، فهم بما استودعهم من ذلك حافظون، وبجليل قدر ما أمنهم عليه علماء عارفون، قد فتح لما اختصهم به من ذلك أذهانهم، وقرب من لطيف إلفهم عنه لما أراده أفهامهم، ورفع إلى ملكوت عزه همومهم، وقرب من المحل الأعلى بالإدناء إلى مكين الإيواء بحبهم، وأفرد بخالص ذكره قلوبهم، فهم في أقرب أماكن الزلفى لديه، وفي أرفع مواطن المقبلين به عليه، أولئك الذين إذا نطقوا فعنه يقولون، وإذا سكتوا فبوقار العلم به يصمتون. وإذا حكموا فبحكمه لهم يحكمون. جعلنا الله يا أخي ممن فضله بالعلم، ومكنه بالمعرفة، وخصه بالرفعة، واستعمله بأكمل الطاعة، وجمع له خيري الدنيا والآخرة.

اخبرني جعفر بن محمد بن نصر –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: قال أبو القاسم الجنيد بن محمد –وسئل عما تنهى الحكمة– فقال: الحكمة تنهى عن كل ما يحتاج

أن يعتذر منه، وعن كل ما إذا غاب علمه عن غيرك أحشمك ذكره في نفسك. فقال له السائل: فبم تأمر الحكمة؟ قال: تأمر الحكمة بكل ما يحمد في الباقي أثره، ويطيب عند جملة الناس خبره، ويؤمن في العواقب ضرره. قال: فمن يستحق أن يوصف بالحكمة؟ قال: من إذا قال بلغ المدى والغاية فيما يتعرض لنعته بقليل القول، ويسير الإشارة، ومن لا يتعذر عليه من ذلك مما يريد، لأن ذلك عنده حاضر عتيد. قال: فبمن تأنس الحكمة وإلى من تستريح وتأوي؟ قال: إلى من انحسمت عن الكل مطامعه، وانقطعت من الفضل في الحاجات مطالبه، ومن اجتمعت همومه وحركاته في ذات ربه، ومن عادت منافعه على سائر أهل دهره.

صفحة : 1878

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول: إن لله عباداً صحبوا الدنيا بأبدانهم، وفارقوها بعقود أيمانهم، أشرف بهم علم اليقين على ما هم إليه صائرون، وفيه مقيمون وإليه راجعون، فهربوا من مطالبة نفوسهم الأمارة بالسوء، والداعية إلى المهالك، والمعينة للأعداء، والمتبعة للهوى، والمغموسة في البلاء، والمتمكنة بأكناف الأسواء، إلى قبول داعي التنزيل، المحكم الذي لا يحتمل التأويل، إذ سمعوه يقول: يا أيها الذين آمنوا استجيبوا الله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم . الأنفال 24 . فقرع أسماع فهومهم حلاوة الدعوة لتصفح التمييز، وتنسموا بروح ما أدته إليهم الفهوم الطاهرة من أدناس خفايا محبة البقاء في دار الغرور، فأسرعوا إلى حذف العلائق المشغلة قلوب المراقبين معها، وهجموا بالنفوس على معانقة الأعمال، وتجرعوا مرارة المكابدة، وصدقوا الله في معاملته، وأحسنوا الأدب فيما توجهوا إليه، وهانت عليهم المصائب، وعرفوا قدر ما يطلبون، واغتنموا سلامة الأوقات وسلامة الجوارح، وأماتوا شهوات النفوس، وسجنوا همومهم عن التلفت إلى مذكور سوى وليهم، وحرسوا قلوبهم عن التطلع في مراقي الغفلة، وأقاموا عليها رقيباً من علم من لا يخفى عليه مثقال ذرة في بر ولا بحر، ومن أحاط بكل شيء علماً وأحاط به خيراً، فانقادت تلك النفوس بعد اعتياصها، واستبقت منافسة لأبناء جنسها، نفوس ساسها وليها وحفظها بارئها، وكلأها كافيها. فتوهم يا أخي إن كنت ذا بصيرة ماذا يرد عليهم في وقت مناجاتهم، وماذا يلقونه من نوازل حاجاتهم، تر أرواحاً تتردد في أجساد قد أذبلتها الخشية، وذللتها الخدمة، وتسربلها الحياء، وجمعها القرب، وأسكنها الوقار، وأنطقها الحذار. أنيسها الخلوة، وحديثها الفكرة، وشعارها الذكر. شغلها بالله متصل، وعن غيره منفصل لا تتلقى قادماً، ولا تشيع ظاعناً. غذاؤها الجوع والظمأ، وراحتها التوكل وكنزها الثقة بالله، ومعولها الاعتماد، ودواؤها

الصبر، وقرينها الرضا. نفوس قدمت لتأدية الحقوق، ورقيت لنفيس العلم المخزون، وكفيت ثقل المحن :لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون . الأنبياء 10 . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم . فصلت 31، 3.

سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول: سمعت الجنيد، يقول: ما من شيء أسقط للعلماء من عين الله من مساكنة الطمع مع العلم في قلوبهم، قال: وسمعت الجنيد يقول: فتح كل باب وكل علم نفيس بذل المجهود.

سمعت عثمان بن محمد العثماني يقول: سمعت أحمد بن عطاء، يقول: قال الجنيد: لولا أن يروي أنه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلمت عليكم.

حدثنا عثمان بن محمد، حدثنا بعض أصحابنا قال: قيل للجنيد: ما القناعة؟ قال: ألا تتجاوز إرادتك ما هو لك في وقتك.

سمعت علي بن عبد الله الجهضمي يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: سمعت محمد بن الحريض يقول: لما قال الجنيد: إن بدت عين من الكرم ألحقت المسيء بالمحسن. قال أبو العباس بن عطاء: من تبدو؟ فقال له الجنيد: هي بادية، قال الله: سبقت رحمتي غضبي.

اخبرنا جعفر بن محمد بن نصير في كتابه، وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: لو أن العلم الذي أتكلم به من عندي لفني، ولكنه من حق بدا وإلى الحق يعود، وربما وقع في قلبي أن زعيم القوم أرذلهم.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا عبد الله الدارمي يقول: سمعت أبا بكر العطوي يقول: كنت عند الجنيد حين مات فختم القرآن ثم ابتدأ من البقرة فقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله.

صفحة : 1879

حدثنا أبو الحسن علي بن هارون، قال: سمعت أبا القاسم الجنيد ابن محمد يقول وسأله جعفر: ما تقول أكرمك الله في الذكر الخفي ما هو الذي لا تعلمه الحفظة، ومن أين زاد عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفاً؟ فأجابه فقال: وفقنا الله وإياكم لأرشد الأمور وأقربها إليه، واستعملنا وإياكم بأرضى الأور وأحبها إليه، وختم لنا ولكم بخير. فأما الذكر الذي يستأثر الله بعلمه دون غيره فهو ما اعتقدته القلوب وطويت عليه الضمائر مما لا تحرك به الألسنة والجوارح، وهو مثل الهيبة لله والتعظيم لله والإجلال لله، واعتقاد الخوف من الله، وذلك كله فيما بين العبد وربه، لا يعلمه إلا من يعلم الغيب. والدليل على ذلك قوله عز وجل: يعلم ما تكنه صدورهم وما يعلنون . القصص 69 . وأشباه ذلك، وهذه

أشياء امتدح الله بها فهي له وحده جل ثناؤه. وأما ما تعلمه الحفظة فما وكلت به وهو قوله: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد . الانفطار 11، 1 . فهذا الذي وكل به الملائكة الحافظون ما لفظ به وما بدا من لسانه. وما يعلنون ويفعلون هو ما ظهر به السعي، وما أضمرته القلوب، مما لم يظهر على الجوارح، وما تعتقده القلوب فذلك يعلمه جل ثناؤه، وكل أعمال القلوب ما عقد لا يجاوز الضمير فهو مثل ذلك والله أعلم. وما روى في الخبر من فضل عمل السر على عمل العلانية وأن علم السر يزيد على عمل العلانية سبعين ضعفاً ، فذلك والله أعلم لأن من عمل لله عملاً فأسره فقد أحب أن ينفرد الله عز وجل بعلم ذلك العمل منه، ومعناه أن يستغنى بعلم الله في عمله عن علم غيره، وإذا استغنى القلب بعلم الله أخلص العمل فيه ولم يعرج على من دونه، فإذا علم جل ذكره بصدق قصد العبد إليه وده وسقط عن ذكر من دونه أثنين ذلك العمل في أعمال الخالصين الصالحين المؤثرين لله على من سواه، وجازاه الله بعلمه بصدقه من الثواب سبعين ضعفاً على من عمل من لا يحل محله، والله أعلم.

حدثنا علي بن هارون، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول –في كتابه إلى أبي العباس الدينوري: من استخلصه الحق بمفرده ذكره وصافاه يكون له ولياً منتخباً مكرماً مواصلاً، يورثه غرائب الأنبياء، ويزيده في التقريب زلفى، ويثبت في محاضر النجوى، ويصطنعه للخلة والاصطفاء، ويرفعه إلى الغاية القصوى، ويبلغه في الرفعة إلى المنتهى، ويشرف به من ذروة الذرى على مواطن الرشد والهدى، وعلى درجات البررة الأتقياء، وعلى منازل الصفوة والأولياء، فيكون كله منتظماً وعليه بالتمكين محتوياً، وبأنبائه خبيراً عالماً، وعليه بالقوة والاستظهار حاكماً، وبإرشاد الطالبين له إليه قائماً، وعليهم بالفوائد والعوائد والمنافع دائماً،ولما نصب له الأئمة من الرعاية لديه به لازماً، وذلك إمام الهداة السفراء العظماء الأجلة الكبراء اللذين جعلهم للدين عمداً وللأرض أوتاداً، جعلنا الله وإياك من أرفعهم لديه قدراً، وأعظمهم في محل عزه أمراً، إن ربي قريب سميع.

سمعت أبي يقول: سمعت أحمد بن جعفر بن هانيء يقول: سألت أبا القاسم الجنيد بن محمد عن قوله :لا أحب الآفلين . الأنعام 76 . قال لا أحب من يغيب عن عياني وعن قلبي، وفي هذا دلالة أني إنما أحب من يدوم لي النظر إليه والعلم به حتى يكون ذلك موجوداً غير مفقود. وكذلك رأينا أن أشد الأشياء على المحبين أن يغيب عنهم من أحبوه وأن يفقدوا شاهدهم.

سمعت أبي يقول: سمعت أحمد بن جعفر يقول: سألت أبا القاسم الجنيد بن محمد عن الإيمان ما هو؟ فقال: الإيمان هو التصديق والإيقان وحقيقة العلم بما غاب عن الأعيان، لأن المخبر لي بما غاب عني إن كان عندي صادقاً لا يعارضني في صدقه ريب ولا شك أوجب

على تصديقي إياه إن ثبت لي العلم بما أخبر به ومن تأكيد حقيقة ذلك أن يكون تصديق الصادق عندي يوجب علي أن يكون ما أخبرني به كأني له معاين، وذلك صفة الصدق في التصديق وقوة الإيقان الموجب لاسم الإيمان.

صفحة : 1880

وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل: اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . فأمره بحالتين إحداهما أقوى من الأخرى، لأني كأني أرى الشيء بقوة العلم به وحقيقة علم موجبة للتصديق، والمعنى الأول أولى وأقوى، والفضل يجمعها على تقديم إحداهما على الأخرى. والعمل بما يحبه ويرضاه، وترك التشاغل عنه بشيء ينقضي عنده حتى أكون عليه مقبلاً، ولموافقته مؤثراً، ولمرضاته متحرياً، لأن من صفة حقيقة علامة الإيمان ألا أوثر عليه شيئاً دونه، ولا أتشاغل عنه بسبب سواه، حتى يكون المالك لسري والحاث لجوارحي بما أمرني من آمنت به، وله عرفت، فعند ذلك تقع الطاعة لله على الاستواء، ومخالفة كل الأهواء، والمجانبة لما دعت إليه الأعداء، والمتاركة لما انتسب إلى الدنيا، والإقبال على من هو أولى، وهذه بعض الشواهد والعلامات فيما سألت عنه، وصفة الكل يطول شرحه. قال وسألته: ما الإيمان؟ فقال: هذا سؤال لا حقيقة له ولا معنى ينبئ عن مزيد من علم، وإنما هو الإيمان بالله جل ثناؤه مجرداً، وحقيقته في القلوب مفرداً، وإنما هو ما وقر في القلب من العلم بالله، والتصديق، وبما أخبر من أموره في سائر سمواته وأرضه مما ثبت في الإيقان، وإن لم أره بالعيان، فكيف يجوز أن يكون للصدق صدق، وللإيقان إيقان، وإنما الصدق فعل قلبي، والإيقان ما استقر من العلم عندي، فكيف يجوز أن يفعل فعلي، وإنما أنا الفاعل، أو يعلم علمي وإنما أنا العالم، والسؤال في الابتداء غير مستقيم، ولو جاز أن يكون للإيمان إيمان وللتصديق تصديق، جاز أن يوالي ذلك ويكرر إلى غاية تكثر في العدد، وجاز أن يكون كما عاد على ثواب إيماني وثواب تصديقي أن يعود على إيمان إيماني ثواب، وعلى تصديق تصديقي جزاء، ولو أردت استقصاء القول في واجب ذلك لا تسع به الكتاب، وطال به الخطاب، وهذا مختصر من الجواب.

اخبرنا جعفر بن محمد بن نصير –في كتابه– وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: أعلم الناس بالآفات أكثرهم بلاء وآفة.

اخبرنا جعفر، وحدثني عنه عثمان قال: كنت أمشي مع الجنيد فلقيه الشبلي فقال له: يا أبا القاسم ما تقول فيمن الحق حسبه نعتاً وعلماً ووجوداً؟ فقال له: يا أبا بكر جلت الألوهية، وتعاظمت الربوبية، بينك وبين أكابر الطبقة ألف طبقة في أول طبقة منها ذهب الاسم.

قال: وسمعت الجنيد يقول: من ظن أنه يصل ببذل المجهود فتمعن، ومن ظن أنه يصل

بغير بذل المجهود فمتمن، ومتعلم يتعلم الحقيقة يوصله الله إلى الهداية، قال صلى الله عليه وسلم: كل ميسر لما خلق له .

سمعت أبا الحسن بن مقسم، يقول: سمعت أبا القاسم المطرز، يقول: سمعت الجنيد بن محمد يقول لرجل وهو يكلمه في شيء :لا تيأس من نفسك وأنت تشفق من ذنبك، وتندم عليه بعد فعلك.

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت أبا الحسن المحلي يقول: سمعت الجنيد يقول: كان التوكل حقيقة واليوم هو علم.

سمعت أبا الحسن بن مقسم، يقول: سمعت أبا محمد الخواص، يقول: سمعت الجنيد، يقول: منذ عشرين سنة ما ناصيت أحداً إلى حق فعاد إلي. وقال الجنيد: إذا أصبت من يصبر على الحق فتمسك به. قال: قلت: وأني به؟ هات من يصبر لي على سماع الحق لا يتعرض إليه.

اخبرني جعفر بن محمد –في كتابه– وحدثني عنه أبو الحسن بن مقسم، قال: سمعت الجنيد يقول: لو بدت عين من الكرم لألحقت المسيئين بالمحسنين، وبقيت أعمال العاملين فضلاً لهم .

سمعت أبا الحسن بن مقسم، يقول: سمعت أبا محمد المرتعش، يقول: سمعت الجنيد يقول: كتب إلي بعض إخواني من عقلاء أهل خراسان: اعلم يا أخي يا أبا القاسم أن عقول العقلاء إذا تناهت تناهت إلى حيرة.

سمعت أبا الحسن بن مقسم، يقول: سمعت أبا القاسم المطرز، يقول: سمعت الجنيد بن محمد يقول: أضر ما على أهل الديانات الدعاوي.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن إسحاق الرازي يقول: سمعت العباس بن عبد الله يقول: سمعت الجنيد بن محمد يقول: عليكم بحفظ الهمة فإن حفظ الهمة مقدمة الأشياء.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن إسحاق الرازي يقول: سمعت العباس بن عبد الله يقول: سمعت الجنيد بن محمد يقول: المروءة امتحان زلل الإخوان.

صفحة : 1881

سمعت أبا الحسن علي بن هارون يقول: سمعت الجنيد بن محمد أبا القاسم يقول، ورأى رويماً وقد تولى القضاء فقال: من أراد أن ينظر إلى من خبأ في سره حب الدنيا عشرين سنة فلينظر إلى هذا.

سمعت أبا الحسن علي بن هارون يقول: أخبرني بعض أصحابنا، عن أبي القاسم الجنيد

قال: إنه وقف على سائل فسألته فقال: حركني فعل لي. فقال الجنيد لا ولكن فعل الله فيك يقتضي منك شكر ما جعله فيك.

سمعت أبا بكر محمد بن أحمد المفيد يقول: حضرت الجنيد يوماً فسأله أصحابه فقالوا: يا أستاذ متى يكون الله عز وجل مقبلاً على عبده؟ فلهى عنهم ولم يجبهم، فألحوا عليه –وكان ظريفاً لا يحب أن يتبشع جوابه على أحد– فالتفت إليهم فقال: واعجباه يقف بين يدي ربه بلا حضور ويقتضي بهذه الوقفة إقبالا.

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت محمد بن سعيد يقول: سمعت الجنيد بن محمد يقول –وسئل عن حقيقة الشكر– فقال: ألا يستعان بشيء من نعمه على معاصيه.

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت أبا بكر بن سعيد وأبا بكر ختن الجنيد يقولان: سمعنا الجنيد يقول: الورع في الكلام أشد منه في الاكتساب، أنشدني أبو الحسن بن مقسم، قال: أنشدني أبو بكر ختن الجنيد، قال: أنشدني الجنيد بن محمد:

تحمل عظيم الجرم ممن تحبه وإن كنت مظلوماً ما فقل أنا ظالم قال: وأنشدني:

أناس أمناهم فنموا حديثنا فلما كتمنا السر عنهم تقولوا

ولم يحفظوا الود الذي كان بيننا ولا حين هموا بالقطيعة أجملوا سمعت أبا الحسن يقول: سمعت أبا المطرز يقول: سمعت الجنيد يقول لا تسكن إلى نفسك وإن رامت طاعتها لك في طاعة ربك.

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت أبا القاسم النقاشي الصوفي يقول: سمعت الجنيد بن محمد يقول: متى أردت أن تشرف بالعلم وتنسب إليه وتكون من أهله قبل أن تعطي العلم ماله عليك احتجب عنك نوره وبقي عليك وسمه وظهوره. ذلك العلم عليك لا لك، وذلك أن العلم يشير إلى استعماله وإذا لم يستعمل العلم في مراتبه رحلت بركاته.

سمعت أبا الحسن، يقول: سمعت أبا القاسم النقاشي، يقول: سمعت الجنيد، يقول: الإنسان لا يعاب بما في طبعه إنما يعاب إذا فعل بما في طبعه.

أنشدني أبو الحسن بن مقسم، قال: أنشدني علي بن الحسن القرشي، قال: أنشدني الجنيد بن محمد:

هل من سبيل إلى حبيب أوقفني موقف العبيد

والله والله لو بداني بكل ضرب من الصدود

ما كان لي من هواه بد ولو تقطعت بالوجود سمعت أبا الحسن بن مقسم، يقول: سمعت أبا القاسم الحفار، يقول: سمعت الجنيد –وقد سأله رجل: كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقال: توبة تحل الإصرار، وخوف يزيل الغرة، ورجاء مزعج إلى

.طريق الخيرات، ومراقبة الله في خواطر القلوب

سمعت أحمد بن جعفر بن مالك يقول: سمعت أبا القاسم الجنيد ابن محمد يقول –وسأله سائل: العناية قبل أم البداية؟ فقال: العناية قبل الطين والماء.

قال: وسمعت أبا القاسم الجنيد يقول: يا من هو كل يوم في شأن اجعلني من بعض شأنك.

اخبرنا جعفر بن محمد –فيما كتبت إلي– قال: سمعت الجنيد، يقول: المريد الصادق غني عن علوم العلماء يعمل على بيان يرى وجهه الحق من وجوه الحق ويتوقى وجوه الشر من وجوه الشر.

قال: وسمعت الجنيد يقول: اعتللت بمكة فقوى على فيها الوجود حتى لم أقدر أن أقول سبحان الله والحمد لله، قال: سمعت الجنيد يقول: مكثت مدة طويلة لا يقدم أحد البلد من الفقراء إلا سلبت حالي ودفعت إلى حاله فأطلبه حتى إذا وجدته تكلمت ببحاله وكنت لا أرى في النوم شيئاً إلا رأيته في اليقظة.

سمعت أبا عمرو العثماني يقول: سمعت أبا الحسن يقول: سمعت الجنيد يقول: ليس يتبشع علي ما يرد على من العالم لأني قد أصلت أصلاً وهو أن الدار دار هم وغم وبلاء وفتنة، وأن العالم كله شر، ومن حكمه أن يتلقاني بكل ما أكره فإن تلقاني بكل ما أحب فهو فضل وإلا فالأصل هو الأول.

سمعت أبا الحسن الجهضمي يقول: سمعت أبا الحسن يقول: سمعت أبا عبد الله الفارسي يقول: وقف أبو عبد الله المغربي على الجنيد وقد سئل عن قوله: سنقرئك فلا تنسى . الأعلى 6 . قال الجنيد: سنقرئك التلاوة فلا تنسى العمل.

صفحة : 1882

وسئل عن قوله: ودرسوا ما فيه . الأعراف 169 . قال: تركوا العمل بما فيه. فقال المغربي: حرجت أمة أنت بين ظهرانيها لا تفوض أمرها إليك. قال: ووقف الشبلي عليه فقال: ما تقول يا أبا القاسم فيمن وجوده حقيقة لا علماً؟ فقال: يا أبا بكر بينك وبين أكابر الناس سبعون قدماً أدناها أن تنسى نفسك.

حدثنا الجهضمي، حدثنا محمد بن الحسن، حدثنا أبو القاسم بردان الهاوندي، قال: سمعت الجنيد يقول: جئت إلى أبي الحسن السدي يوماً فدققت عليه الباب فقال: من هذا؟ فقلت: جنيد. فقال: ادخل. فدخلت فإذا هو قاعد مستوفز، وكان معي أربعة دراهم فدفعتها إليه فقال لي: أبشر فإنك تفلح فإني احتجت إلى هذه الأربعة دراهم. فقلت: اللهم ابعثها إلي على يدي رجل يفلح عندك.

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا منصور بن أحمد، حدثنا جعفر الدئلي، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: البلاء على ثلاثة أوجه على المخلطين عقوبات، وعلى الصادقين تمحيص جنايات، وعلى الأنبياء من صدق الاختيارات.

سمعت عثمان بن محمد العثماني يقول: سمعت حكيم بن محمد يقول: حضر الجنيد أبو القاسم موضعاً فيه قوم يتواجدون على سماع يسمعونه وهو مطرق، قيل له: يا أبا القاسم، ما نراك تتحرك، قال: وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب . النمل 88 .

صفحة : 1883

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن المفيد، قال: سمعت أبا القاسم الجنيد يقول: ينبغي للعاقل ألا يفقد من إحدى ثلاثة مواطن: موطن يعرف فيه على معرفتها، وموطن يستحضر عقله برؤيته مجاري التدبير عليه وكيف تقلب فيه الأحكام في آناء الليل وأطراف النهار. ولن يصفو عقل لا يصدر إلى فهم هذا الحال الأخير إلا بإحكام ما يجب عليه من إصلاح الحالين الأولين. فأما الموطن الذي ينبغي له أن يعرف فيه حاله أمزاد هو أم منتقص فعليه أن يطلب مواضع الخلوة لكي لا يعارضه مشغل فيفسد ما يريد إصلاحه، ثم يتوجه إلى موافقة ما ألزم من تأدية الفرض الذي لا يزكو حال قربه إلا بإتمام الواجب من الفرائض، ثم ينتصب انتصاب عبد بين يدي سيده يريد أن يؤدي إليه ما أمر بتأديته، فحينئذ تكشف له خفايا النفوس المواربة فيعلم أهو ممن أدى ما وجب عليه أم لم يؤد، ثم لا يبرح من مقامه ذلك حتى يوقع له العلم ببرهان ما استكشفه بالعلم، فإن رأى خللاً أقام على إصلاحه ولم يجاوزه إلى عمل سواه. وهذه أحوال أهل الصدق في هذا المحل: والله يؤيد بنصره من يشاء . آل عمران 13 . إن الله لقوي عزيز . الحج 40، 74 . وأما الموطن الذي يخلو فيه بتأديب نفسه ويتقصى فيه حال معرفتها فإنه ينبغي لمن عزم على ذلك وأراد المناصحة في المعاملة فإن النفوس ربما خبت فيها منها أشياء لا يقف على حد ذلك إلا من تصفح ما هنالك في حين حركة الهوى في محبة فعل الخير المألوف، فإن النفس إذا ألفت فعل الخير صار خلقاً من أخلاقها، وسكنت إلى أنها موضع لما أهلت له، وترى أن الذي جرى عليها من فعل ذلك الخير فيها هي له أهل، ويرصدها العدو المقيم بفنائها المجعول له السبيل على مجاري الدم فيها، فيرى هو بكيده خفي غفلتها، فيختلس منها بمساءلة الهوى ما لا يمكنه الوصول إلى اختلاسه في غير تلك الحال، فإن تألم لوكزته منك وعرف طعنته أسرع بالأمانة إلى من لا تقع الكفاية منه إلا به، فاستقصى من نفسه علم الحال التي منها وصل عدوه إليه فحرسها بلياذة اللجأ وإلقاء الكنف وشدة الافتقار وطلب

الاعتصام. كما قال النبي بن النبي ابن النبي الكريم بن الكريم بن الكريم كذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم السلام . وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهم وأكن من الجاهلين . يوسف 33 . وعلم يوسف عليه السلام أن كيد الأعداء مع قوة الهوى لا ينصرف بقوة النفس: فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم يوسف 34 . وأما الموطن الذي يستحضر فيه عقله لرؤية مجاري الأحكام وكيف يقلبه التدبير، فهو أفضل الأماكن وأعلى المواطن، فإن الله أمر جميع خلقه أن يواصلوا عبادته ولا يسأموا خدمته، فقال: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . الذاريات 56 . فألزمهم دوام عبادته وضمن لهم عليها في العاجل الكفاية، وفي الأخرى جزيل الثواب. فقال: يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . الحج 77 . وهذه كلها تلزم كل الخلق. ووقف ليرى كيف تصرف الأحكام وقد عرض لرفيع العلم والمعرفة ألا يعلم أنه قال: كل يوم هو في شأن الرحمن 29 . يعني شأن الخلق، وأنت أيها الواقف أترى أنك من الخلق الذي هو في شأنهم أو ترى شأنك مرضياً عنده؟ ولن يقدر أحد على استحضار عقله إلا بانصراف الدنيا وما فيها عنه، وخروجها من قلبه، فإذا انقضت الدنيا وبادت وباد أهلها وانصرفت عن القلب خلا بمسامرة رؤية التصرف واختلاف الأحكام وتفصيل الأقسام، ولن يرجع قلب من هذا وصفه إلى شيء من الانتفاع بما في هذه التي عنها خرج، ولها ترك، ومنها هرب، ألا ترى إلى حارثة حين تقول: عزفت نفسي عن الدنيا. ثم يقول: وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني بأهل الجنة يتزاورون، وكأني وكأني. وهذه بعض أحوال القوم.

اخبرنا جعفر بن محمد بن نصير في كتابه، وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: كان يعارضني في بعض أوقاتي أن أجعل نفسي كيوسف، وأكون أنا كيعقوب، فأحزن على نفسي لما فقدت منها كما حزن يعقوب على فقده ليوسف، فمكثت أعمل مدة فيما أجده على حسب ذلك.

صفحة : 1884

اخبرنا جعفر في كتابه وحدثنا عنه محمد، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: كنت يوماً عند السري بن المغلس بن الحسين وهو متزر بمئزر –وكنا خاليين– فنظرت إلى جسده كأنه جسد سقيم دنف مضني وأجهد ما يكون. فقال: انظر إلى جسدي هذا فلو شئت أن أقول إن ما بي هذا من المحبة كان كما أقول. كان وجهه يصفر ثم أشرب حمرة حتى تورد ثم اعتل فدخلت عليه أعوده فقلت له: كيف تجدك فقال:

كيف أشكو ما بي إلى طبيبي والذي أصابني من طبيبـي فأخذت المروحة أروحه فقال: كيف يجد روح المروحة من جوفه يحترق من داخل ثم أنشأ يقول:

القلب محترق والدمع مستبـق والكرب مجتمع والصبر مفترق

كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق

يا رب إن كان شيء فيه لي فرج فامنن علي به ما دام لي رمـق حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المفيد، سمعت الجنيد بن محمد يقول: أعلى درجة الكبر وشرها أن ترى بنفسك ودونها، وأدناها في الشر أن تخطر ببالك.

اخبرني محمد بن هارون، قال: سمعت علي بن الحسين الغلاب يقول: قيل للجنيد: هل عاينت أو شاهدت؟ قال: لو عاينت تزندقت. ولو شاهدت تحيرت، ولكن حيرة في تيه وتيه في حيرة.

قال: وسمعت الجنيد بن محمد يقول: حرم الله المحبة على صاحب العلاقة.

قال: وسئل الجنيد عن الدنيا ما هي؟ قال: ما دنا من القلب وشغل عن الله.

اخبرنا جعفر بن محمد في كتابه، وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول: دخلت يوماً على سري السقطي فرأيت عليه هماً، فقلت: أيها الشيخ أرى عليك هماً، فقال: الساعة دق على داق الباب فقلت: ادخل. فدخل علي شاب في حدود الإرادة فسألني عن معنى التوبة فأخبرته، وسألني عن شرط التوبة فأنبأته، فقال: هذا معنى التوبة وهذا شرطها فما حقيقتها؟ فقلت: حقيقة التوبة عندكم أن لا تنسى ما من أجله كانت التوبة. فقال: ليس هو كذلك عندنا. فقلت له: فما حقيقة التوبة عندكم؟ فقال: حقيقة التوبة ألا تذكر ما من أجله كانت التوبة. وأنا أفكر في كلامه. قال الجنيد: فقلت: ما أحسن ما قال. قال فقال لي: يا جنيد وما معنى هذا الكلام؟ فقال: يا أستاذ إذا كنت معك في حال الجفاء ونقلتني من حال الجفاء إلى حال الصفاء فذكرى للجفاء في حال الصفاء غفلة. قال: ودخلت عليه يوماً آخر فرأيت عليه هماً فقلت: أيها الشيخ أراك مشغول القلب. فقال: أمس كنت في الجامع فوقف علي شاب وقال لي: أيها الشيخ يعلم العبد أن الله تعالى قد قبله؟ فقلت لا يعلم. فقال: بلى يعلم. وقال لي ثانياً بلى يعلم. فقلت له: فمن أين يعلم؟ قال: إذا رأيت الله عز وجل قد عصمني من كل معصية ووفقني لكل طاعة علمت أن الله تبارك وتعالى قد قبلني.

أخبرني جعفر بن محمد –في كتابه– وحدثني عنه محمد، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: رأيت بعد أن أديت وردي ووضعت جنبي لأنام كأن هاتفاً يهتف بي: إن شخصاً ينتظرك في المسجد. فخرجت فإذا شخص واقف في سواء المسجد فقال لي: يا أبا القاسم متى تصير النفس داؤها دواؤها؟ قلت: إذا خالفت سواها صار داؤها دواؤها. قال:

قلت هذا لنفسي، فقالت لا أقبل منك حتى تسأل عنه الجنيد. فقلت: من أنت؟ قال أنا فلان الجني، وقد جئت إليك من المغرب.

قال: وسمعت الجنيد بن محمد يقول لا تكون عبد الله بالكلية حتى لا تبقى عليك من غير الله بقية.

قال: وسمعت الجنيد يقول لا تكن عبد الله حقاً وأنت لشيء سواه مسترقاً.

صفحة : 1885

حدثنا أبو نصر محمد بن أحمد بن هارون، قال: سمعت عبد الواحد بن محمد الإصطخري أبا الأزهر يقول: سمعت إبراهيم بن عثمان يقول: سمعت الجنيد بن محمد يقول: دخلت البادية بعقد التوكل في وسط السنة فمضت علي أيام فانتهيت إلى مجمع ماء وخضرة فتوضأت وملأت ركوتي وقمت أركع فإذا بشاب قد أقبل بزي التجار كأنه قد غدا من بيته إلى سوقه أو يرجع من سوقه إلى بيته، فسلم علي فقلت: الشاب من أين؟ فقال: من بغداد. فقلت: متى خرجت من بغداد؟ قال: أمس. فتعجبت منه، وكنت قد مضت أيام حتى بلغت إلى ذلك الموضع، فجلس يكلمني وأكلمه، فأخرج شيئاً من كمه يأكله فقلت له: أطعمني مما تأكل. فوضع في يدي حنظلة فأكلته فوجدت طعمه كالرطب. ومضى وتركني فلما دخلت مكة بدأت بالطواف فجذب ثوبي من ورائي فالتفت فإذا أنا بشاب كالشن البالي عليه قطعة عباء وعلى عاتقه بعضه فقلت له: زدني في المعرفة. فقال: أنا الشاب الذي أطعمتك الحنظل. فقلت له: ما شأنك؟ فقال: يا أبا القاسم ذرءونا حتى أوقعونا قالوا استمسك.

اخبرنا جعفر بن محمد –فيما كتب إلي– وحدثني عنه عثمان بن محمد قال: سئل الجنيد أيما أتم، استغرق العلم في الوجود أو استغراق الوجود في العلم؟ قال: استغراق العلم في الوجود ليس العالمون بالله كالواجدين له.

قال: وسأله الحريري عن قول عيسى عليه السلام: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك . المائدة 116 . قال: هو والله أعلم تعلم ما أنا لك عليه وما لك عندي ولا أعلم ما لي عندك إلا ما أخبرتني وأطلعتني عليه، فهذا معناه.

حدثنا محمد بن أحمد بن هارون، قال: سمعت أبا زرعة الطبري يقول: سمعت الحسين بن يسين يقول: سمعت الجنيد يقول: الأقوات ثلاثة: فقوت بالطعام وهو مولد للأعراض. وقوت بالذكر يشممهم الصفات، وقوت برؤية المذكور، وهو الذي يفني ويبيد. قال: ثم أنشد يقول:

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها فلم تلبث النفس التي أنت قوتها اخبرنا

محمد بن أحمد المفيد –في كتابه– وحدثنا عثمان بن محمد قبل أن لقيته، حدثنا عبد

الصمد بن محمد الجبلي، قال: كتب الجنيد إلى أبي إسحاق المارستاني: يا أخي، كيف أنت في ترك مواصلة من عرضك للتقصير، ودعاك إلى النقص والفتور، وكيف ينبغي أن تكون مباينتك له وهجرانك، وكيف إعراض سرك ونبو قلبك وعزوف ضميرك عنه، حقيق عليك على ما وهبه الله لك وخصمك به من العلم الجليل والمنزل الشريف أن تكون عن المقبلين على الدنيا معرضاً، وأن تكون لهم بسرك وجهرك قالياً. وأن تكون لهم في بلائهم إلى الله شافعاً. فذلك بعض حقك لك، وحري بك أن تكون للمذنبين ذائداً، وأن تكون لهم بفهم الخطاب إلى الله رائداً، وفي استنفاذهم وافداً، فتلك حقائق العلماء وأماكن الحكماء، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله، وأعمهم نفعاً لجملة خلقه. جعلنا الله وإياك من أخص من أخلصه بالإخلاص إليه، وأقربهم في محل الزلفى لديه، أيحسن بالعاقل اللبيب والفهم الأديب الطالب المطلوب المحب المحبوب المكلأ المعلم، المزلف المقرب، المجالس المؤانس أن يعير الدنيا طرفه، أو يوافقها بلحظه؟ وقد سمع سيده ومولاه وهو يقول لأجل أصفيائه وسيد رسله وأنبيائه: ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه . طه 131 . الآية، أفشاهد أنت لفهم الخطاب وإمكان رد الجواب، فترك حظه من الله مما فاته ومصافاته ومكافأته ومكانه منه وموالاته أن يواد من لا يواده أو يألف من لا يوافقه. غض يا أخي بصر سرك وبصيرة قلبك عن الإيماء إلى النظر إليهم دون المواصلة لهم، وصن بالمضمون من ضميرك عن أن تكون لك بالقوم مؤالفة، فوالله لا والى الله من يحاده ولا أقبل على من يبغضه، ولا عظم من يعظم ما صغره وقلله إلا أن ينزع عن ذلك، فكن من ذلك على يقين وكن لأماكن من أعرض عن الحق مستهيناً. وبعد يا أخي فتفضل باحتمالي إن غلظ عليك مقالي، وتجشم الصبر على أن يوافق قلبك ما في كتابي، فإن المناصحة والمفاصحة خير من الإغضاء مع المتاركة، وإني أختم كتابي وأستدعي جوابي بقولي: الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . الأعراف 43 . وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وعلى آله وسلم تسليماً كثيرا.

صفحة : 1886

سمعت أبي يقول: سمعت أحمد بن جعفر بن هانئ يقول سألت أبا القاسم الجنيد بن محمد قلت: متى يكون الرجل موصوفاً بالعقل؟ قال: إذا كان للأمور مميزاً، ولها متصفحاً، وعما يوجبه عليه العقل باحثاً: يبحث يلتمس بذلك طلب الذي هو به أولى، ليعمل به ويؤثره على ما سواه، فإذا كان كذلك فمن صفته ركوب الفضل في كل أحواله بعد إحكام العمل بما قد فرض عليه، وليس من صفة العقلاء إغفال النظر لما هو أحق وأولى ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير، فمن كانت هذه صفته بعد إحكامه لما يجب عليه من عمله ترك

التشاغل بما يزول وترك العمل بما يفني وينقضي، وذلك صفة كل ما حوت عليه الدنيا، وكذلك لا يرضى أن يشغل نفسه بقليل زائل، ويسير حائل، يصده التشاغل به والعمل له عن أمور الآخرة التي يدوم نعيمها ونفعها، ويتصل بقاؤها. وذلك أن الذي يدوم نفعه ويبقى على العامل له حظه وما سوى ذلك زائل متروك مفارق موروث، يخاف مع تركه سوء العاقبة فيه ومحاسبة الله عليه. فكذلك صفة العاقل لتصفحه الأمور بعقله، والأخذ منها بأوفره. قال الله تعالى: الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب . الزمر 18 . كذلك وصفهم الله، وذوو الألباب هم ذوو العقول. وإنما وقع الثناء عليهم بما وصفهم الله به للأخذ بأحسن الأمور عند استماعها وأحسن الأمور وهو أفضلها وأبقاها على أهلها نفعاً في العاجل والآجل، وإلى ذلك ندب الله عز وجل من عقل في كتابه.

حدثنا محمد بن الحسين بن موسى، قال: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا محمد الجريري يقول: سمعت الجنيد بن محمد يقول: ما أخذنا التصوف عن القال والقيل، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات. لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله، وأصله العزوف عن الدنيا، كما قال حارثة: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا محمد الجريري يقول: سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة، فقال الرجل: أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله. فقال الجنيد: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال. وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها، وإنه لأوكد في معرفتي وأقوى في حالي.

أخبرنا جعفر بن محمد في كتابه وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت الجنيد بن محمد، يقول: حاجة العارفين إلى كلاءته ورعايته، قال الله عز وجل: قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن . الأنبياء 4 . ونجح قضاء كل حاجة من الدنيا تركها، وفتح كل باب شريف بذل المجهود. قال: ورأيت الجنيد في المنام فقلت: أليس كلام الأنبياء إشارات عن مشاهدات؟ فتبسم وقال: كلام الأنبياء بناء عن حضور، وكلام الصديقين إشارات عن مشاهدات. قال: وكتب الجنيد إلى بعض إخوانه: من أشار إلى الله وسكن إلى غيره ابتلاه الله وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه، فإنه انتبه وانقطع عمن سكن إليه ورجع إلى من أشار إليه كشف الله ما به من المحن والبلوى، فإن دام نزع الله على سكونه من قلوب الخلق الرحمة عليه، وألبس لباس الطمع لتزداد مطالبته منهم مع فقدان الرحمة

من قلوبهم،فتصير حياته عجزاً وموته كداً ومعاده أسفاً. ونحن نعوذ بالله من السكون إلى غيره. وقال الجنيد: لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله. وقال رجل للجنيد: علام يتأسف المحب؟ قال: على زمان بسط أورث قبضاً أو زمان أنس أورث وحشة، وأنشأ يقول:

قد كان لي مشرب يصفو برؤيتكم فكدرته يد الأيام حـين صـفـا كتب إلى جعفر بن محمد وأخبرني عنه يوسف بن محمد القواس، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: إن الله عز وجل يخلص إلى القلوب من بره حسبما خلصت القلوب به إليه من ذكره، فانظر ماذا خالط قلبك.

كتب إلى جعفر بن محمد، وأخبرني عنه محمد بن عبد الله، قال: سمعت الجنيد يقول: يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه، ويا باديء العارفين بما به عرفوه، ويا موفق العاملين لصالح ما عملوه، من ذا الذي يشفع عندك إلا بإذنك؟ ومن ذا الذي يذكرك إلا بفضلك؟

صفحة : 1887

حدثنا علي بن هارون بن محمد، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول وكتب إلي بعض إخوانه: الحمد لله الذي استخلص لنفسه صفوة من خلقه، وخصهم بالعلم والمعرفة به، فاستعملهم بأحب الأعمال إليه وأقربها من الزلفى لديه، وبلغهم من ذلك الغاية القصوى والذروة المتناهية العليا، وبعد فإني أوصيك بترك الالتفات إلى كل حال ماضية، فإن الالتفات إلى ما مضى شغل عما يأتي من الحالة الكائنة، وأوصيك بترك الملاحظة للحال الكائنة وبترك المنازلة لها بجولان الهمة لملتقى المستقبل من الوقت الوارد بذكر مورده ونسق ذكر موجوده، فإنك إذا كنت هكذا كنت تذكر من هو أولى ولا تضرك رؤية الأشياء، وأوصيك بتجريد الهم وتفريد الذكر ومخالصة الرب بذلك كله، واعمل على تخليص همك من همك لهمك، واطلب الخالص من ذكر الله جل ثناؤه بقلبك، وكن حيث يراك لما يراد لك، ولا تكن حيث يراد لك لما تريد لنفسك. واعمل على محو شاهدك من شاهدك حتى يكون الشاهد عليك شاهداً لك بما يخلص من شاهدك. واعلم أنه إن كنت كلك له كان لك بكل الكل فيما تحبه منه، فكن مؤثراً له بكل من انبسط له منك ومنه بدالك ومنه به يبسط عليك ما لا يحيط به علمك، ولا تبلغ إلى أمانيك وآمالك، وإذا بليت بمعاشرة طائفة من الناس فعاشرهم على مقادير أماكنهم، وكن مشرفاً عليهم بجميل ما آتاك الله وفضلك به. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

سمعت محمد بن علي بن حبيش يقول: سمعت الجنيد بن محمد وسئل عن الرضا فقال: سألتم عن العيش الهنيء وقرة العين. من كان عن الله راضياً. قال بعض أهل العلم: أهنأ

العيش عيش الراضين عن الله. فالرضا استقبال ما نزل من البلاء بالطاقة والبشر، وانتظار ما لم ينزل منه بالتفكر والاعتبار، وذلك أن ربه عنده أحسن صنعاً به وأرحم به وأعلم بما يصلحه، فإذا نزل القضاء لم يكرهه وكان ذلك إرادته، مستحسناً ذلك الفعل من ربه، فإذا عد ما نزل به إحساناً من الله عز وجل فقد رضي، فالرضى هو الإرادة مع الاستحسان أن يكون مريداً لما صنع، محباً راضياً عن الله بقلبه.

سمعت أبا الحسن علي بن هارون بن محمد يقول: سمعت الجنيد ابن محمد يقول، وكتب إلى بعض إخوانه كتاباً يقول فيه: إن الله جل ثناؤه لا يخلى الأرض من أوليائه، ولا يعريها من أحبائه، ليحفظ بهم من جعلهم سبباً لحفظه، ويحفظ بهم من جعلهم سبباً لكونه، وأنا أسأل المنان بفضله وطوله أن يجعلنا وإياك من الأمناء على سره، الحافظين لما استحفظوه من جليل أمره، تجميلاً منه لنا بأعظم الرتب، وإشرافاً بنا على كل ظاهر ومحتجب. وقد رأيت الله تعالى وتقدست أسماؤه زين بسيط أرضه وفسيح سعة ملكه بأوليائه وأولي العلم به وجعلهم أبهج لامع سطع نوره، وعن لقلوب العارفين ظهوره، وهم أحسن زينة من السماء البهجة بضياء نجومها، ونور شمسها وقمرها، أولئك أعلام لمناهج سبيل هدايته، ومسالك طرق القاصدين إلى طاعته، ومنار نور على مدارج الساعين إلى موافقته، وهم أبين في منافع الخليقة أثراً، وأوضح في دفاع المضار عن البرية خيراً من النجوم التي بها في ظلمات السير والبحر يهتدي، وبأثرها عند ملتبس المسالك يقتدي. لأن دلالات النجوم ما بين يفوز بسلامة دينه وبين من يفوز بسلامة دنياه وبدنه.

سمعت عثمان بن محمد العثماني يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد البغدادي يقول: سئل الجنيد ببن محمد عن المحبة: أمن صفات الذات أم من صفات الأفعال؟ فقال: إن محبة الله لها تأثير في محبوبه بن، فالمحبة نفسها من صفات الذات، ولم يزل الله تعالى محباً لأوليائه وأصفيائه. فأما تأثيرها فيمن أثرت فيه فإن ذلك من صفات الأفعال. فاعلم أرشدك الله للصواب.

اخبرنا محمد بن أحمد في كتابه، وحدثني عنه عثمان بن محمد، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: اعلم أنه إذا عظمت فيك المعرفة بالله وامتلأ من ذلك قلبك وانشرح بالانقطاع إليه صدرك وصفاً لذكره فؤادك، واتصل بالله فهمك. ذهبت آثارك وامتحيت رسومك واستضاءت بالله علومك، فعند ذلك يبدو لك علم الحق.

سمعت عبد المنعم بن عمر يقول: سمعت أبا سعيد بن الأعرابي يقول: سمعت أبا بكر العطار يقول: حضرت الجنيد أبا القاسم عند الموت في جماعة من أصحابنا، قال: وكان

قاعداً يصلي ويثني رجله إذا أراد أن يسجد، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله فثقلت عليه حركتها، فمد رجليه فرآه بعض أصدقائه ممن حضر ذلك الوقت، يقال له البسامي، وكانت رجلا أبي القاسم تورمتا فقال: ما هذا يا أبا القاسم؟ قال: هذه نعم الله، الله أكبر. فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريري: يا أبا القاسم لو اضطجعت. .فقال: يا أبا محمد هذا وقت منة. الله أكبر. فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمه الله

قال الشيخ: كان الجنيد رحمه الله ممن أحكم علم الشريعة. فكان عنده اقتباس آثار .الذريعة، وقبوله المدرجة البديعة، وكان القيام بحقائق الآثار يدفعه عن الرواية والآثار

ومن مسانيد حديثه ما: حدثناه أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الحافظ بها قال حدثني بكير بن أحمد الصوفي بمكة، حدثنا الجنيد أبو القاسم الصوفي، حدثنا الحسن ابن عرفة، حدثنا محمد بن كثير الكوفي، عن عمرو بن قيس الملائي، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: احذروا فراسة المؤمن فإنه .ينظر بنور الله وقرأ: إن في ذلك لآيات للمتوسمين . الحجر 75 . قال: للمتفرسين

حدثنا محمد بن عبد الله بن سعيد، حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا عبد الحميد بن بيان، حدثنا محمد بن كثير، حدثنا عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى .الله عليه وسلم مثله

سمعت علي بن هارون بن محمد يقول: سمعت الجنيد بن محمد يدعو بهذا الدعاء فجاءه رجل فشكا إليه الضيق فعلمه وقال قل: اللهم إني أسألك منك ما هو لك، وأستعيذك من كل أمر يسخطك، اللهم إني أسألك من صفاء الصفاء صفاء أنال به منك شرف العطاء، اللهم ولا تشغلني شغل من شغله عنك ما أراد منك إلا أن يكون لك. اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكر من لا يريد بذاكره منك إلا ما هو لك. اللهم اجعل غاية قصدي إليك ما أطلبه منك اللهم أملأ قلبي كل ذكر إلا ذكرك، وكل حب إلا حبك، وكل ود إلا ودك، وكل خوف إلا خوف منك، وكل رغبة إلا إليك، وبك يستعين وإليك يلجأ، وبك يتعزز ولك يصبر، وبحكمك يرضى. اللهم اجعلني ممن يقصد إليك قصد من لا رجوع له إلا إليك، اللهم اجعل رضائي بحكمك فيما ابتليتني في كل وقت متصلاًغير منفصل، واجعل تصبري عما يسخطك فيما نهيتني عنه تصبر من استغنى عن الصبر بقوة العصمة منك له، اللهم واجعلني ممن يستعين بك استعانة من استغنى بقوتك عن جميع خلقك، اللهم واجعلني ممن يلجأ لجأ من لا ملجأ له إلا إليك، واجعلني ممن يتعزى بعزائك ويصبر لقضائك أبداً ما أبقيتني، اللهم وكل سؤال سألته فعن أمر منك لي بالسؤال فاجعل سؤالي لك سؤال محابك، ولا تجعلني ممن .يتعمد بسؤاله مواضع الحظوظ بل يسأل القيام بواجب حقك

اخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني، قال: سمعت عبد الرحمن بن أحمد يقول: سمعت الجنيد ابن محمد يقول وهو يدعو بهذا الدعاء: الحمد لله إلهي حمداً كإحصاء علمك، حمداً يرقى إليك على الألسنة الطاهرة مبرأ من زيغ وتهمة، معرى من العاهات والشبهات، قائماً في عين محبتك بحنين صدق إخلاصه، ليكون نور وجهك العظيم غايته، وقدس عظمتك نهايته، لا يستقر إلا عند مرضاتك، خالصاً بوفاء إرادتك نصب إرادتك، حتى يكون لمحامدك سائقاً قائداً، إلهي ليس في أفق سمواتك ولا في قرار أرضك في فسحات أقاليمها من يحب أن يحمد غيرك إذ أنت منشئ المنشآت لا تعرف شيئاً إلا منك وكيف لا تعرفك الأشياء ولم يقر الخلق إلا لك وبدؤه منك وأمره إليك وعلانيته وسره محصي في إرادتك؟ فأنت المعطي والمانع وقضاؤك الضار والنافع، وحلمك يمهل خلقك وقضاؤك يمحو ما تشاء من قدرك، تحدث ما شئت أن تحدثه وتستأثر بما شئت أن تستأثره وتخلق ما أنت مستغن عن صنعه، وتصنع ما يبهر العقول من حسن حكمته لا تسأل عما تفعل، لك الحجة فيما تفعل. وعندك أزمة مقادير البشر وتصاريف الدهور، وغوامض سر النشور، ومنك فهم معرفة الأشخاص الناطقة بتفريدك لا يغيب عنك ما في أكنة سرائر الملحدين، ولا يتوارى عن علمك اكتساب خواطر المبطلين ولا يهيم في قضائك إلا الجاهلون، ولا يغفل عن ذكرك وشكرك إلا الغافلون، ولا تحتجب عنك وساوس الصدور ولا وهم الهواجس ولا إرادة الهمم ولا عيون الهمم التي تخرج بصائر القلوب. إلهي فكيف أنظر إن نظرت إلا إلى رحمتك، وإن غضضت فعلى نعمك تعم جميع خلقك، فهب لي من لدنك ما لا يملك غيرك مما تعلمه يا وهاب يا فعال لما يريد. واجعلني من خاصة أوليائك يا خير مدعو وأكرم راحم إنك أنت على كل شيء قدير.

سمعت أبا الحسن علي بن هارون يقول: سمعت الجنيد بن محمد يقول: اعلم أن المناصحة منك للخلق والإقبال على ما هو أولى بك فيك وفيهم أفضل الأعمال لك في حياتك وأقربها إلى أوليائك في وقتك. واعلم أن أفضل الخلق عند الله منزلة وأعظمهم درجة في كل وقت وزمن وفي كل محل ووطن أحسنهم إحكاماً لما عليه في نفسه، وأسبقهم بالمسارعة إلى الله فيما يحبه، وأنفعهم بعد ذلك لعباده، فخذ بالحظ الموفر لنفسك وكن عاطفاً بالمنافع على غيرك، واعلم أنك لن تجد سبيلاً تسلكه إلى غيرك وعليك بقية مفترضة من حالك. واعلم أن المؤهلين للرعاية إلى سبيل الهداية والمرادين لمنافع الخليقة والرمتبين للنذارة والبشارة أيدوا بالتمكين وأسعدوا براسخ علم اليقين، وكشف لهم غوامض معالم الدين وفتح لهم في فهم الكتاب المستبين، فبلغوا ما أنعم به عليهم من فضله وجاد به من عظيم أمره إحكام ما به أمروا، والمسارعة إلى ما إليه ندبوا والدعاية

إلى الله بما به مكنوا. وهذه سيرة الأنبياء صلوات الله عليهم فيمن بعثوا إليهم من الأمم وسيرتهم في تأدية ما علموه من الحكم. وسيرة المتبعين لآثارهم من الأولياء والصديقين وسائر الدعاة إلى الله من صالحي المؤمنين.

كتب إلى جعفر بن محمد وقال: أنشدني الجنيد بن محمد:

سرت بأناس في الغيوب قلوبهم وجالوا بقرب الماجد المتفضل
ونالوا من الجبار عطفاً ورأفة وفضلاً وإحساناً وبراً يعجل
أولئك نحو العرش هامت قلوبهم وفي ملكوت العز تأوي وتنزل أنشدني

عثمان بن محمد العثماني قال: أنشدني الحسين بن أحمد بن منصور الصوفي للجنيد بن محمد:

تريد مني اختبار سري وقد علمت المراد مني
فليس لي من سواك حظ فكيفما شئت فامتحني
كل بلاء على مني يا ليتني قد أخذت عني

صفحة : 1890

كتب إلى جعفر بن محمد بن نصير الخلدي، وسمعت أبا طاهر المحتسب يقول: قرأت على أبي محمد جعفر بن محمد بن نصير وهو يسمع قال: كان الجنيد بن محمد يدعو بهذا الدعاء على مر الأيام: الحمد لله حمداً دائماً كثيراً طيباً مباركاً موفوراً لا انقطاع له ولا زوال ولا نفاذ له ولا فناء كما ينبغي لكريم وجهك وعز جلالك وكما أنت أهل الحمد في عظيم ربوبيتك وكبريائك ولك من كل تسبيح وتقديس وتمجيد وتهليل وتحميد وتعظيم ومن كل قول حسن زاك جميل ترضاه مثل ذلك. اللهم صل على عبدك المصطفى المنتخب المختار المبارك سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أشياعه وأتباعه وأنصاره وإخوانه من النبيين. وصل اللهم على أهل طاعتك أجمعين من أهل السموات والأرضين، وصل على جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان ومالك. اللهم وصل على الكروبيين والروحانيين والمقربين والسياحين والحفظة والسفرة والحملة، وصل على ملائكتك وأهل السموات وأهل الأرضين وحيث أحاط بهم علمك في جميع أقطارك كلها صلاة ترضاها وتحبها وكما هم لذلك كله أهل. وأسأل اللهم بجودك ومجدك وبذلك وفضلك وطولك وبرك وإحسانك ومعروفك وكرمك وبما استقل به العرش من عظم ربوبيتك أسألك يا جواد يا كريم مغفرة كل ما أحاط به علمك من ذنوبنا والتجاوز عن كل ما كان منا وأد اللهم مظالمنا وقم بأودنا في تبعاتنا جوداً منك ومجداً وبذلاً منك وطولاً، وبدل قبيح ما كان منا حسناً يا من يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. أنت كذلك لا كذلك غيرك،

اعصمنا فيما بقي من الأعمار إلى منتهى الآجال عصمة دائمة كاملة تامة، وكره إلينا كل الذي تكره، وحبب إلينا كل الذي ترضاه وتحبه، واستعملنا به على النحو الذي تحب، وأدم ذلك لنا إلى أن تتوفانا عليه أكد على ذلك عزائمنا واشدد عليها نياتنا وأصلح لها سرائرنا وابعث لها جوارحنا وكن لي ولي توفيقنا وزيادتنا وكفايتنا. هب لنا اللهم هيبتك وإجلالك وتعظيمك ومراقبتك والحياء منك، وحسن الجد والمسارعة والمبادرة إلى كل قول زكي حميد ترضاه، وهب لنا اللهم ما وهبت لصفوتك وأوليائك وأهل طاعتك من دائم الذكر لك وخالص العمل لوجهك على أكمله وأدومه وأصفاه وأحبه إليك. وأعنا على العمل بذلك إلى منتهى الآجال. ولا تجعله يوم ندم ولا يوم أسى وأوردنا من قبورنا على سرور وفرح وقرة عين، واجعلنا رياضاً من رياض جنتك وبقاعاً من بقاع كرامتك ورأفتك ورحمتك، لقنا فيها الحجج وآمنا فيها من الروعات واجعلنا آمنين مطمئنين إلى يوم تبعثنا يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه، لا ريب في ذلك اليوم عندنا، آمنا من روعاته وخلصنا من شدائده واكشف عنا عظيم كربه واسقنا من ظمئه واحشرنا في زمرة محمد المصطفى الذي انتخبته واخترته وجعلته الشافع لأوليائك المقدم على جميع أصفيائك، الذي جعلت زمرته آمنة من الروعات، أسألك يا من إليه لجؤنا وإليه إيابنا وعليه حسابنا أن تحاسبنا حساباً يسيراً لا تقريع فيه ولا تأنيب ولا مناقشة ولا مواقفة، عاملنا بجودك ومجدك كرماً واجعلنا من السرعان المغبوطين وأعطنا كتبنا بالأيمان وأجزنا الصراط مع السرعان وثقل موازيننا يوم الوزن ولا تسمعنا لنار جهنم حسيساً زفيراً، وأجرنا منها ومن كل ما يقرب إليها من قول وعمل، واجعلنا بجودك ومجدك وكرمك في دار كرامتك وحبورك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، واجمع بيننا وبين آبائنا وأمهاتنا وأمهاتنا وقرابتنا في دار قدسك ودار حبورك على أفضل حال وأسرها، وضم إلينا إخواننا الذين هم على إلفتنا والذين كانوا على ذلك من كل ذكر وأنثى، بلغهم ما أملوه وفوق ما أملوه وأعطهم فوق ما طلبوه واجمع بينا وبينهم في دار قدسك ودار حبورك على أفضل حال وأسرها، وعم المؤمنين والمؤمنات جميعاً برأفتك ورحمتك الذين فارقوا الدنيا على توحيدك، كن لنا ولهم ولياً كالئاً كافياً وارحم جفوف أقلامهم ووقوف أعمالهم وما حل بهم من البلاء، والأحياء منهم تب على مسيئتهم واقبل توبتهم وتجاوز عن المسرف منهم وانصر مظلومهم واشف مريضهم وتب علينا وعليهم توبة نصوحاً ترضاها فإنك الجواد بذلك المجيدبه القادر عليه، وكن اللهم للمجاهدين منهم ولياً وكالئاً وكافياً وناصراً وانصرهم على عدوهم نصراً عزيزاً، واجعل دائرة السوء على أعدائك وأعدائنا أسفك الله دماءهم وأبح

حريمهم واجعلهم فيئاً لإخواننا من المؤمنين، وأصلح الراعي والرعية، وكل من وليته شيئاً من أمور المسلمين صلاحاً باقياً دائماً، اللهم أصلحهم في أنفسهم وأصلحهم لمن وليتهم عليهم، وهب لهم العطف والرأفة والرحمة بهم وأدم ذلك لنا فيهم ولهم في أنفسهم. اللهم اجمع لنا الكلمة واحقن الدماء وأزل عنا الفتنة وأعذنا من البلاء كله. تول ذلك لنا بفضلك من حيث أنت به أعلم وعليه أقدر ولا ترنا في أهل الإسلام سيفين مختلفين، ولا ترنا بينهم خلافاً، اجمعهم على طاعتك وعلى ما يقرب إليك فإنك ولي ذلك وأهله، اللهم إنا نسألك أن تعزنا ولا تذلنا وترفعنا ولا تضعنا وتكون لنا ولا تكون علينا وتجمع لنا سبيل الأمور كلها أمور الدنيا التي هي بلاغ لنا إلى طاعتك ومعونة لنا على موافقتك. وأمور الآخرة التي فيها أعظم رغبتنا وعليها معولنا وإليها منقلبنا فإن ذلك لا يتم لنا إلا بك ولا يصلح لنا إلا بتوفيقك. اللهم وهب لنا هيبتك وإجلالك وتعظيمك وما وهبت لخاصتك من صفوتك من حقيقة العلم والمعرفة بك، من علينا بما مننت به عليهم من آياتك وكرامتك واجعل ذلك دائماً لنا يا من له ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير. اللهم وهب لنا العافية الكاملة في الأبشار وجميع الأحوال وفي جميع الإخوان والذريات والقرابات وعم بذلك جميع المؤمنين والمؤمنات، أجر علينا من أحكامك أرضاها لك وأحبها إليك وأعونها على كل مقرب من قول وعمل يا سامع الأصوات ويا عالم الخفيات ويا جبار السموات، صل على عبدك المصطفى محمد وعلى آل محمد أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً واسمع واستجب وافعل بنا ما أنت أهله يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين. واجعلهم فيئاً لإخواننا من المؤمنين، وأصلح الراعي والرعية، وكل من وليته شيئاً من أمور المسلمين صلاحاً باقياً دائماً، اللهم أصلحهم في أنفسهم وأصلحهم لمن وليتهم عليهم، وهب لهم العطف والرأفة والرحمة بهم وأدم ذلك لنا فيهم ولهم في أنفسهم. اللهم اجمع لنا الكلمة واحقن الدماء وأزل عنا الفتنة وأعذنا من البلاء كله. تول ذلك لنا بفضلك من حيث أنت به أعلم وعليه أقدر ولا ترنا في أهل الإسلام سيفين مختلفين، ولا ترنا بينهم خلافاً، اجمعهم على طاعتك وعلى ما يقرب إليك فإنك ولي ذلك وأهله، اللهم إنا نسألك أن تعزنا ولا تذلنا وترفعنا ولا تضعنا وتكون لنا ولا تكون علينا وتجمع لنا سبيل الأمور كلها أمور الدنيا التي هي بلاغ لنا إلى طاعتك ومعونة لنا على موافقتك. وأمور الآخرة التي فيها أعظم رغبتنا وعليها معولنا وإليها منقلبنا فإن ذلك لا يتم لنا إلا بك ولا يصلح لنا إلا بتوفيقك. اللهم وهب لنا هيبتك وإجلالك وتعظيمك وما وهبت لخاصتك من صفوتك من حقيقة العلم والمعرفة بك، من علينا بما مننت به عليهم من آياتك وكرامتك واجعل ذلك دائماً لنا يا من له ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير. اللهم وهب لنا العافية الكاملة في الأبشار وجميع الأحوال وفي جميع الإخوان والذريات والقرابات وعم بذلك جميع المؤمنين والمؤمنات، أجر علينا من أحكامك أرضاها

لك وأحبها إليك وأعونها على كل مقرب من قول وعمل يا سامع الأصوات ويا عالم الخفيات ويا جبار السموات، صل على عبدك المصطفى محمد وعلى آل محمد أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً واسمع واستجب وافعل بنا ما أنت أهله يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين.

محمد بن يعقوب

ومنهم العارف بالأصول العازف عن الفضول، له القلب الخاشع، والأذن السامع، أحكم على الآثار وأتقنها، وألف في المعاملات والأحوال وأوضحها، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن الفرجي.

صحب الحارث بن أسد المحاسبي وطبقته، له مصنفات في معاني الصوفية. كتاب الورع ، وكتاب صفات المريدين . كان من الأئمة في علوم النساك، يرفع من الفقراء وينصرهم ويضع من المدعين ويزري عليهم.

كتب إلى جعفر بن محمد بن نصير فيما أذن لي، قال: سمعت المرتعش يقول: قال أبو جعفر بن الفرجي: مكثت عشرين سنة لا أسأل عن مسألة إلا ومنازلتي فيها قبل قولي. وقال: إذا صح الود سقطت شروط الأدب.

صفحة : 1892

وحكى عبد المنعم بن عمر، عن أبي سعيد بن الأعرابي أنه قيل لأبي جعفر بن الفرجي: إنك تنكر الزعقة والصيحة، فقال: إنما أنكرها على الكذابين. وقال: ما زعقت من عمري إلا ثلاث زعقات: فإني انتهيت ببغداد يوماً إلى الجسر وأخرج رجل من الشطاحين من السجن يضرب ثم رد إلى السجن والناس يتعجبون من صبره على الجلد فجئت إليه فقلت مسألة، فقال: أوسعوا له، ما مسألتك؟ قلت: أسهل ما يكون الضرب عليكم أي وقت؟ قال: إذا كان من ضربنا له يرانا. قال: فصحت ولم أملك السكوت.

قال أبو سعيد بن الأعرابي: أخبرني عمي يحيى بن أحمد، قال: أخبرني ابن المرزبان الصقيل قال: أردت الخروج إلى مكة فرافق الجمال بيني وبين إنسان لا أعرفه فقلت له بعد أن رافقني: نحتاج من الزاد كذا وكذا ومن الزيت كذا وكذا، فقال: قد اشتريت جميع ذلك فلا تشتر شيئاً، وظننت أنه يحاسبني عليه كما يفعل الرفقاء، وكان في الطريق يسرف ويوسع النفقة، فأقول في نفسي كل هذا يحاسبني به فكنت أحتشمه أن أقول له أقصر واحتمله، فلما صرت بمكة عزم على المقام بمكة فقلت له: الحساب فقال: سبحان الله تذكر مثل هذا؟ وأقبل ينكر على ذلك فقلت: لابد منه فأبى ذلك، وقال: ومن يفعل ذلك؟ فسألت عنه فإذا هو الفرجي.

وروي عن أبي جعفر محمد بن الفرجي. قال: خرجت من الشام على طريق المفازة فوقعت في التيه فمكثت فيه أياماً حتى أشرفت على الموت: قال: فينا أنا كذلك إذا أنا براهبين يسيران كأنهما خرجا من مكان قريب يريدان ديراً لهما قريباً، فقمت إليهما فقلت: أين تريدان؟ قالا لا ندري. قلت: أتدريان أين أنتما؟ قالا: نعم، نحن في مكة ومملكته وبين يديه. فأقبلت على نفسي أوبخها وأقول لها راهبان يتحققان بالتوكل دونك؟ فقلت لهما: أتأذنان في الصحبة؟ قالا: ذلك إليك. فاتبعتهما فلما جن الليل قاما إلى صلاتهما وقمت إلى صلاتي فصليت المغرب بتيمم فنظرا إلي وقد تيممت، فضحكا مني فلما فرغا من صلاتهما بحث أحدهما الأرض بيده فإذا بماء قد ظهر وطعام موضوع فبقيت أتعجب من ذلك فقالا: مالك، أدن فكل واشرب. فأكلنا وشربنا وتهيأت للصلاة ثم نضب الماء فذهب، فلم يزالا في الصلاة وأنا أصلي على حدة حتى أصبحنا وصلينا الصبح ثم أخذنا في المسير فمكثنا على ذلك إلى الليل، فلما جننا الليل تقدم الآخر فصلى بصاحبه ثم دعا بدعوات وبحث الأرض بيده فنبع الماء وحضر الطعام. فلما كانت الليلة الثالثة قالا: يا مسلم هذه نوبتك الليلة فاستخر الله، قال: فتعبت فيها واستحيت ودخل بعضي في بعض قال: فقلت اللهم إني أعلم أن ذنوبي لم تدع لي عندك جاهاً ولكن أسألك ألا تفضحني عندهما ولا تشمتهما بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبأمة نبيك. فإذا بعين خرارة وطعام كثير فأكلنا من ذلك الطعام وشربنا ولم نزل كذلك حتى بلغتني النوبة الثانية ففعلت كذلك فإذا بطعام اثنين وشراب، فكففت يدي وأريهما أني آكل ولم آكل فسكتا عني. فلما كانت النوبة الثالثة أصابني كذلك فقالا لي: يا مسلم ما هذا؟ قلت لا أدري. فلما كان من جوف الليل غلبتني عيناي فإذا بقائل يقول: يا محمد أردنا بك الإيثار الذي اختصصنا به محمداً صلى الله عليه وسلم من بين الأنبياء والرسل فهي علامته علامته وكرامتك وكرامة أمته من بعده إلى يوم القيامة. قال: فبلغت نوبتي وكان الأمر على هذه الصورة فقال لي: يا مسلم ما هذا ما لنا نرى طعامك ناقصاً؟ قلت: أو لا تعلمان ما هذا؟ قالا: لا، قلت: هذا خلق خص الله به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وخص به أمته، إن الله عز وجل يريد به الإيثار فقد آثرتكما. فقالا: نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. لقد صدقت قولك هذا خبر نجده في كتبنا خص الله به محمداً صلى الله عليه وسلم وأمته، فأسلما. فقلت لهما في الجمعة والجماعة قالا: ذلك الواجب؟ قلت: نعم قالا: فاسأل الله أن يخرجنا من هذا التيه إلى أقرب الأماكن من الشام قال فبينا نحن نسير إذ أشرفنا على بيوتات بيت المقدس.

ومما أسند:

حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن يعقوب بن الفرجي الرملي، حدثنا إبراهيم بن المنذر المجذمي، حدثنا عبد الله بن وهب، حدثنا قرة بن عبد الرحمن، عن يزيد بن أبي حبيب، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن أبي حميد الساعدي قال: استسلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل تمراً فلما جاءه يتقاضاه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس عندنا اليوم، فإن شئت أخرت عنا حتى يأتينا فنقضيك فقال الرجل: واعذراه، فتذمر عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعه يا عمر فإن لصاحب الحق مقالاً، انطلقوا إلى خولة بنت حكيم الأنصارية فالتمسوا لنا عندها تمراً فانطلقوا فقالت والله ما عندي إلا تمر ذخرية فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: خذوه فاقضوه، فلما قضوه أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: قد استوفيت؟ قال: نعم قد أوفيت وأطبت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن خيار عباد الله الموفون المطيبون .

قال سليمان تفرد به قرة، عن يزيد.

حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم ومحمد بن أحمد بن شبويه قالا: حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن حكيم، حدثنا محمد بن يعقوب الفرجي، حدثنا محمد بن عبد الملك بن قريب الأحمر قال حدثني أبي، حدثنا أبو معشر، عن سعد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سرعة المشي تذهب بهاء المؤمنين .

اخبرنا أبو مسعود محمد بن إبراهيم بن عيسى المقدسي في كتابه، حدثنا محمد بن يعقوب الفرجي، حدثنا خالد بن يزيد، حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع .

حدثنا عبد المنعم بن عمر، حدثنا أبو سعيد الأعرابي، حدثنا محمد ابن يعقوب الفرجي، حدثنا علي بن المديني، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن سفيان الثوري، عن أبي سلمة، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بشر أمتي بالسناء والرفعة والتمكين وأن من عمل عمل الآخرة يريد به الدنيا فليس له في الآخرة من نصيب .

حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن عمرو بن جابر، حدثنا محمد بن يعقوب الفرجي، حدثنا أحمد بن عيسى أبو طاهر، حدثنا ابن أبي فديك، حدثنا ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المغفر .

عمرو بن عثمان المكي

ومنهم العارف البصير والعالم الخبير، له اللسان الشافي، والبيان الكافي، معدود في

الأولياء محمود في الأطباء، أحكم الأصول وأخلص في الوصول. أبو عبد الله عمر ابن عثمان المكي. ساح في البلاد، وباح بالوداد، وصحب الأصفياء من العباد.

صفحة : 1894

سمعت أبا محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر يقول: سمعت أبا عبد الله عمرو بن عثمان المكي وأملي علي في الجواب مسألة سئل عنها يخاطب السائل: أقم على نفسك الموازنة بعقلك في تفقد حالك ومقامك هذا إن كل ما عارضك من الأشغال من كل شيء أعني من حق أو باطل أزالك عن مقامك هذا بانصراف اليسير من عقلك فذلك كله عذر، فاهرب وافزع إلى الله عند اعتراض الخواطر وسورة العوارض وحيرة الهوى إلى مولاك وسيدك ومن بين يديه ضرك ونفعك الذي خلصت في نفسك وحدانيته وقدرته وتفريد سلطانه وتفريد فعل ربوبيته إذ لا قابض ولا باسط ولا نافع ولا ضار ولا معين ولا ناصر ولا عاصم ولا عاضد إلا الله وحده لا شريك له في سمائه وأرضه. وهذا أول مقام قامه أهل الإيمان من تصحيح القدرة في إخلاص تفريد أفعال الربوبية، وهو أول مقام قامه المؤمنون وأول مقام قامه المخلصون وأول مقام قامه المتوكلون في تصحيح العلم المعقود بشرط التوكل في الأعمال قبل الأعمال. واعلم رحمك الله أن كل ما توهمه قلبك أو رسخ في مجاري فكرتك أو خطر في معارضات قلبك من حسن أو بهاء أو إشراف أو جمال أو شبح ماثل أو شخص متمثل فالله بخلاف ذلك كله، بل هو تعالى أعظم وأجل وأكمل. ألم تسمع إلى قوله تعالى: ليس كمثله شيء . الشورى 11 . وقوله عز وجل: ولم يكن له كفوا أحد . الصمد 4 . أي لا شبه ولا نظير ولا مساوي ولا مثل. وقف عند خبره عن نفسه مسلماً مستسلماً مذعناً مصدقاً بلا مباحثة التنفير ولا مفاتشة التفكير جل الله وعلا الذي ليس له نظير ولا يبلغ كنه معرفته خالص التفكير ولا تحويه صفة التقدير، السموات مطويات بيمينه والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، الظاهر على كل شيء سلطاناً وقدرة والباطن لكل شيء علماً وخبرة، خلق الأشياء على غير مثال ولا عبرة ولا تردد ولا فكرة تعالى وتقدس أن يكون في الأرض زلا في السماء، وجل عن ذلك علواً كبيراً، أقام لقلوب الموقنين مدى يمسكه التسليم عن التيه في بحور الغيوب المضروبة دون ذي الجلال والكبرياء. فشكر لهم تسليمهم واعترافهم بالجهل بما لا علم لهم به، وسمى ذلك منهم رسوخاً وربانية أو إيماناً لقوله تعالى: والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلمن عند ربنا . آل عمران 7 . وما خبر عن ملائكته إذ قالوا :لا علم لنا إلا ما علمتنا . البقرة 3 . عجزت الملائكة المقربون أن تحد أحسن الخالقين أو تكليف صفة رب العالمين، فهم خشوع خضوع خنوع في حجرات سرادقات العرش محبوسون أن يتأملوا ساطع النور

الأوهج، فهم يضجون حول عرشه بالتقديس ضجيجاً ويعجون بالتسبيح عجيجاً باهتون راهبون خائفون مشفقون وجلون لما بدا لهم من عظيم القدرة ولما أيقنوا به وسلموا له من شموخ الرفعة، فكيف تطمع يا أخي نفسك أو تطلق فكرك في شيء من الاحتواء على صفة من هذا وصفه. وقانا الله تعالى وإياك اعتراض الشكوك، وعصمنا وإياك في كنف تأييده من التخطي بالأفهام إلى اكتناه من لا تهجم عليه الظنون ولا تلحقه في العاجلة العيون، جل وتعالى عن خطرات الهفوات وعن ظنون الشبهات علوا كبيرا. فبهذا فاعرف ربك ومولاك ومن لا تأخذه سنة ولا نوم، فيكون سلاحك وعظم عدتك ومجاهدتك وجنتك من عدوك عند من يلقى إليك في خالقك. فهذا الذي وصفت لك فإليه فالتجئ وبه فاستمسك ثم عد إليه بملق اللوذان، واستكانة الخضوع أن يعصمك الله ويثبتك فهو المثبت لقلوب أوليائه بصحة اليقين من الزوال كما أمسك أرضه بالجبال من الزلزال، والسلام.

صفحة : 1895

سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد يقول: سمعت عمرو بن عثمان يقول: إن الله جعل الاختبار موصولا بالاختيار، والإجابة مؤداة إلى الأبرار، بتوفيق هدايته وابتداء رأفته، وجعل رحمته مفتاحاً لكل خير في أرضه وسمائه. فكان مما اختار لنفسه عباداً اتخذهم لنفسه ورضيهم لعبادته واصطنعهم لخدمته واجتباهم لمحبته ونصبهم لدعوته وأبرزهم لإجابته واستعملهم بمرضاته، فألطف لهم في الدعوة باختصاص المنة، فأظهر دعوته في قلوبهم بإظهار صنعه وصنعائه، وما غذاهم به من لطفه وألطافه وبره ونعمائه، فوطأ لهم الطريق، وكشف عن قلوبهم فسارعت قلوبهم بإجابة التحقيق، وذلك لما عرفوا واستبانوا مما به الله دانوا مما تعرف به إليهم من البر والتحف، والكرامات والطرف، والفوائد السنية والمواهب الهنية، فسارعت لإجابته بخالص موافقته والإعراض عن مخالفته والعطف على كل ما عطف به عليها، والإقبال على كل ما دعاها إليه بلا تثبط في مسير ولا التفات في جد ولا تشمير، فوصلوا الغدو بالتبكير وقطعوا فيها العلائق وانفردوا به دون الخلائق، فساروا سير متقدمين، وجدوا جد معتزمين، وحثوا حث مبادرين، وداموا مداومة ملازمين، وانتصبوا انتصاب خائفين للفوت والحرمان، وخوف السلب لما تقدم إليهم من الإحسان، فعبدوه بأبدان خفاف، وعاملوه بفطن لطاف، وقصدوه بإرادات صادقة، وهمم خالصة ورغبات طامحة، وقلوب صافية، فابتدءوا من معاملة الله فيما به ابتدأهم حين دعاهم إذ يقول تعالى: يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم . الأنفال 24 . فطلبوا طيب الحياة بإخلاص الإجابة، وعملوا في الظفر بالحياة إذا دعاهم الله إليها، ونبههم بلطفه عليها، فجعلوا إقامتهم وإرادتهم وأملهم ومناهم الظفر بالحياة فعملوا في

.تحقيق موجباتها في الأحوال الواردة بهم عليها

صفحة : 1896

سمعت أبا محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر يقول: سمعت عمرو ابن عثمان المكي يقول في وصف سياسة النفوس قال: يبتدئ بعد الإجابة بتوفيق النفوس لما كان منها من مخالفة الملك ومعصية الجبار، فألزمها التوبة والتنصل والاعتذار وتكرير الاستغفار والاجتهاد في حل الإصرار باللجأ والاستئجار والاعتصام بمليكهم الجبار، فوافقوها موافقة على موازنة، وعاتبوها معاتبة على محاضرة، ووبخوها بما فرط منها من الجهل والتضييع والشرور والتمادي والتمرد في ركوب المعاصي، فوبخوها بين يديه وعاتبوها معاتبة من قد عرض عليه، وقرروها تقرير مناقشة الحساب، وجرعوها ما توعده الله من أليم العذاب وشديد العقاب، ثم أقاموها مقام الخزي فأبدلوها بحال الرفاهات القشف والتقشف والضر والتخفف. فأبدلوها بالشبع جوعا، وبالنوم سهراً وبالراحة تعباً، وبالقعود نصباً وبطيب المطاعم الخبيث وبلين الملابس الخشن الجافي، وبأمن الوطن خوف البيات. ثم أزعجوها عن توطن ما به ألزموها فمنعوها استواء الأوقات في بذل الاجتهاد، وأخذوها بدائم الازدياد على سبيل الموازنة، وأقاموها مقام التصفح والتفتيش والمحاسبة والتوقيف على كل لحظة وخطرة وهمة ولفظة وفكرة وأمنية وشهوة وإرادة ومحبة، فهذا أبداً دأبهم، وفي هذه أبدا حالهم على هذه السياسة بشرط هذه المجاهدة وانتصاب هذه المكابدة وإحاطة هذه المراوضة. ومع هذا فالهرب إلى الله فيها، والاعتضاد بالله عليها، والتأوى إلى الله منها، والاستعاذة بالله من شرها. والاستعانة بالله على كيدها والصراخ إلى الله عند شرودها. واستغث بالملك الأعلى الذي هو صريخ الأخيار ومنجأ الأبرار وملتجأ المتقين وناصر الصالحين؛ لأن الله تعالى إذا شكر لوليه عظيم ما جاهد وجسيم ما كابد ومشقة ما احتمل وجهد ما انتصب تولاه بالنصرة والتأييد والعز والتأييد. ومن نصره لم يخذل، ومن أعزه لم يقهر، ومن تولاه لم يذل. فروحها روح اليقين وأضاء لها علامات التصديق من الله بالقبول، وأنارت لها علامات التحقيق وتوالت عليها مداومة المزيد وعادت عليها تكرار التحف والبر والكرامات، وعطفت عليها عواطف الفضل بالرحمة والبذل، لأن الله تعالى المبتدئ عبده بما ابتدأ به العبد من بذل في قربة أو من اجتهاد في وسيلة أو من منافسة في فضيلة أو من مسارعة إلى خدمة أو من إخلاص في نية أو من تكامل في رغبة أو من تحقيق في محبة. فالله المبتدئ لها بذلك بما به أقامها وبما به إليها دعاها. فهذه كلها صفة الحياة ومشاربها وانبجاس أحوالها وتشعب مذاقاتها بكل ما وصفناه من غم وسرور وراحة وجهد، ورفاهة وتعب، وموافقة ونصب، وبكاء وحزن، وخوف وكمد، فذلك كله من صفة

الحياة التي دعا الله إليها ونبه قلوبهم عليها بقوله سبحانه وتعالى: :استجيبوا لله وللرسول . إذا دعاكم لما يحييكم . الأنفال 24
سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد يقول: سمعت عمرو بن عثمان يقول: المخلصون من الورعين هم الذين تفقدوا قلوبهم بالأعمال والنيات في كل أحوالهم وأعمالهم وحركاتهم وسكونهم مواظبين للاستقامة المفترضة على طاعة الله، وله محافظين، ومن دخول الفساد عليهم مشفقين، فأورثهم الله مراقبته، فهنالك تنتصب قلوبهم بمداومة المحافظة لنظر الله إليهم ونظره إلى سرائرهم وعلمه بحركاتهم وسكونهم فهنالك تقف القلوب بعلم الله بهم في ذلك، فلم تبرز حركات الضمير إلى تحريك الجوارح إلا بالتحصيل والتمييز لقوله تعالى: إن الله كان عليكم رقيباً . النساء 1 . ولقوله سبحانه: وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه . يونس 61 . فإذا انتصب المراقبة بدوام انتصاب القلوب بها فهنالك يكون تمام الإخلاص والحيطة في العمل، وهنالك يورثهم الله الحياء، فدوام المراقبة يفشي الحياء ويمده ويزيد فيه. والحياء يعمر القلوب بدوام الطهارة ويخرج من القلوب حلاوة الماء ثم حلاوة الشهوات ودوام الحياء يوجب على القلوب إعظام حرمات الله بإعظام مقام الله حياء من جلال الله، لأن إجلال حرمات الله في القلوب وتصغر الأشياء فيها، وتقوى حركات اليقين بصفاء النظر إلى الموعود، فيوصلها بالمعروف ويرجع عليها اليقين بالتوبيخ في إعظام الدنيا والسعي لها ولجمعها.

صفحة : 1897

سمعت أبا محمد يقول: سمعت عمرو بن عثمان يقول: اعلم أن حد الشكر في القلوب خارج من الاشتغال بالفرح على النعم والاشتغال ببهجتها بما يغلب على النفوس من شرها عليها وعظيم حظها فيها، فالشكر خارج من ذلك فإذا ما حل بالقلوب زهرات النعم ورونق صفوها، وخفض العيش فيما هاج في القلوب ذكر المنعم بها والمتولي للامتنان بها، فاتصل فرحهم بشكره وأوصلتهم النعمة إلى الابتهاج بالمنعم والذكر له والثناء عليه. فهذا حد الشكر فيما ذاقته القلوب. فلما صرفت الأفراح عن حظوظ النفوس إلى مواضع الشكر ابتهاجاً بالمنعم دون حظ النفوس بالنعمة، خلصت تلك الأفراح رضاء عن الله، وبشاشة القلوب لما يرضاه، واختلاف الأحكام بمخالفة المحاب والسرور بمر القضاء، ويكون السرور مقروناً بالمحبة لله التي هي معقودة في عقود الإيمان، وموجودة في أصل العرفان، لأنه لا يصبح إلا بثلاث حالات: إخلاص لتوحيده، ورضي به أنه رب، ومحبة له على كل شيء. إذ هو إلهه ومالك ضره ونفعه ورفعه ووضعه وحياته وموته، فولهت القلوب إليه

بضر الفاقة، فهذا معنى المحبة المفترضة في عقود الإيمان كفرض الإيمان.

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: كان عمرو بن عثمان رحمه الله تعالى حظوظه في فنون العلم غزيرة، وتصانيفه بالمسانيد والروايات شهيرة.

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن عيينة، عن ابن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وكل على خير، واحرص على ما ينفعك ولا تعجز، فإن فاتك شيء فقل كذا قدر وكذا كان، وإياك ولو فإنها مفتاح عمل الشيطان .

غريب من حديث ابن عيينة عن ابن عجلان.

رويم بن أحمد

ومنهم الفطن المكين، له البيان والتبيين، والرأي المتين، رويم بن أحمد أبو الحسن الأمين. كان بالقرآن عالما، وبالمعاني عارفا، وإلى الحقائق عاكفا، قلد بفصل الخطاب، ولم تؤثر فيه العلل والأسباب. كان سمى جده رويم بن يزيد المقرئ الراوي عن ليث بن سعيد وإسماعيل بن يحيى التميمي.

اخبرني جعفر بن محمد بن نصير في كتابه وحدثني عنه الحسين بن يحيى الفقيه الأسفيدفاني، قال: سمعت رويماً يقول: الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك والفتوة أن تعذر إخوانك في زللهم ولا تعاملهم بما يحوجك إلى الاعتذار منهم.

اخبرني عبد الواحد بن بكر، قال: سمعت أحمد بن فارس يقول: حضرت رويماً وسأله أبو جعفر الحداد: أيهما أفضل الصحو أو السكر? فانزعج رويم كالمغضب فقال لا والله أوتهدأ هدو الصخر في قعور البحار، فإن هدأت استودعك، وإن انزعجت طالبك، أما سمعته يقول: فمستقر ومستودع . الأنعام 98 . وسأله بعض الناس أن يوصيه بوصية فقال: ليس إلا بذل الروح وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية فإن أمرها هذا مبني على الأصول.

سمعت أبا الحسين محمد بن علي بن حبيش يقول: كان رويم يقول: السكون إلى الأحوال اغترار. وكان يقول: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين.

صفحة : 1898

اخبرنا جعفر بن محمد بن نصير في كتابه، وحدثني عنه أبو عمرو العثماني، قال: سمعت رويم بن أحمد المقرئ يقول: لما رأيت الطالبين قد تحيروا والمريدين قد فتروا والمتعبدين والعلماء بما غلب عليهم من سلطان الهوى قد سكروا لما رأوا المنتسبين إلى علم المعرفة على طبقات مختلفة ومقامات متفاوتة من استصغار الأحوال وأهلها، والتراخي

عن الأعمال والإعراض عنها، تسوروا على ذرى قصرت عنها مقاماتهم عجزاً عن بلوغها، واغتراراً بما سمعوه من علوها، احتجت أن أعلم السبب الذي أوقعهم في هذه الشبهة، وأوقفهم في هذه المنزلة قبل أوانها، والاستحقار للنزول فيها قبل حينها، فرأيته سببين كل سبب منهما على أصلين، أحدهما استعجال المنزلة قبل وقتها عجزاً عما عمل فيه الصادقون، وبذله المحققون والآخر الجهل بطريق السالكين إليها وإغفال التقوى عما لها وعليها. رضي منهم باسم لا حقيقة تحته تأويهم، ولا مكاناً منه يغنيهم. فلما رأيت ذلك من أمرهم دعاني داع إلى التبيين لأمورهم، والنداء لمن سمع منهم، والكشف عن سببهم، والتحذير عن مثل غرتهم، ومن أين أتوا وعلى ماذا عولوا، وبما تعلقوا فيما إليه ذهبوا، فنقبت عن سرائرهم بالمساءلة لكبرائهم، والمباحثة لأئمتهم في تكوين المكونات على اختلافهم في الأصول والمقامات أصلين عظيمين تمسك كل فرقة منهم بأصل. ففرقة قالت: لما رأيت كل حادثة تحت الكون من الأفعال وغيرها من الأجسام والأعراض لا تخلو من أحد أمرين: إما محدث ظهر إلى الكون بغير علة ولا سبب جعله مقدماً لإجرائه فيكون ذلك المحدث عنه أو يكون، حدوثها ظهر عن علة وسبب تقدمها، فرأيت مدار قول هذه الفرقة فيما به تعلقت وإليه رجعت أن المخترعات أفعالها وأقوالها لله الواحد القهار، فلم أدفع الأصل فيما إليه أشارت ودخلت الشبهة عليهم، إذ لم يفرقوا بين ما أحدثه المحدث من الخير والشر والهدى لمن اهتدى والغي لمن غوى، فدخلت عليهم هذه العلة الجامعة من المختلفات من أفعاله المحدثات بين ذواتها وهيئاتها، والعذب الفرات والملح الأجاج والحسن والقبيح والعدل والجور والخبيث والطيب. وما فرق بين ذلك إذ يقول: وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج . الفرقان 53 . وقال: هل يستوي الأعمى والبصير . الأنعام 50 . وقال: أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها . الأنعام 12 . وقال: مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا . هود 24 . وقال :لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث . المائدة 100 . فرأيت الله وإن كان هو منشئ الأشياء بسبب وغير سبب، قد فضل خلقه بين منشآته، وبين ذلك في آياته فذهب على هذه الفرقة ما فضل الله به بعض الأشياء على بعض، وكل ذلك بأمره قد نفذ فيه حكمه، وبرئ من عاره وإثمه، وغاب عنها إحداث الله للخلق على طبائع مختلفة، ودواع متباينة. إذ طبع النفوس أرضية بشرية مطالبة بحاجتها وشهواتها، وطبع الروح نزهة تطالب بصفائها وتقتضي شرف علوها. وجعل العقل سراجاً بينهما كل ينازعه ويجذبه ليستعين به فيما يطلبه من حظه، فمن غلب عليه منها أداه ذلك إلى ملك القلب، فمتى ملك القلب أحدهما فإن كان ذلك تأثير العقل انقادت له الجوارح. ثم رأيت النفس وإن كان طبعها

العاجلة في فعل ذلك بها تأثيراً لها وما طبع عليه من قبول الانفعال. وكذلك للروح تأثير انفعالها فيما فعل فيه. ورأيت سلطان النفس الهوى، ووزيرها الجهل وفعلها الجور. ورأيت ذلك كله وإن كان في قبضة التدبير وسلطان القهر خارجاً من الجبر ممكناً من النظر والتصفح والإقدام والإحجام، سبباً للبلاء ومجري للاختبار الموجب للولاية المظهر للعداوة. ثم رأيت المقامات في ذلك مختلفة، والأحوال متباينة، والمعارف متفاوتة. فمن بين مقصر قد أحاطت به رؤية التقصير واعترف بتخلفه وأزرى على نفسه، وبين سابق قد بذل في العبادة لله جهده فلم يبلغ من ذلك إربه، متعلق بعبادته ناظر إلى مجاهدته وتحصيل محاسبته لنفسه. وآخر مع جهده مأخوذ عن أحواله، وقد وصل به آماله وصدقه في أعماله وأخلص في قصده واستفرغ جهده، فبلغ من ذلك حظه، فأعرضت عن ذكر هؤلاء أجمعين.

صفحة : 1899

وفرقة أخرى من العارفين أشرفت على عجائبهم في مقاماتهم وعظيم طرقهم في سيرهم وسيرهم، وقطع مفاوزهم في تيه مضلة العقول، وتنسم عقاب الحيرة، وقطع لجة الهلكة وصراط الاستقامة، فرأيتهم بعين لا يستتر عنها متوار في حجابه، قد خدع المغرور منهم بمكانه، فمن بين صريع تحت إشارته في بحر عميق بين علم الجمع والتفريق. فرأيته أسوأ حالاً ممن خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق.
وفرقة أخرى قد أنس بالفناء في مكانه، واستبطن البقاء مع أهل زمانه، فلا هو بعلم الفناء يقوم، ولا على روح البقاء يدوم، فعمه في طغيانه، ولم تختلف عليه أحكامه، ولم يعرف الحق من الباطل، ولا فرق بين المخلوق والخالق، ولا الفاعل والمفعول، ولا الفعل من الانفعال، ولا تميز له الظاهر من الباطن، ولا العاجز من القادر، فكان كمن اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله .
وفرقة منهم رأت أنه ممكن في مقامه ولاحت له الأحكام فلم يكن عنده لها مكان إلا ما علق منها على الخلق، وإنما كانت الأحكام عندهم معلقة على الخلق لرؤية آثارهم وحضور إراداتهم واختلاف أحوالهم والمشاهدة منهم في أنفسهم من بين عقل متين وهوى مائل، فلذلك علق عليهم لأمره عندهم، وقصدوا بالنهي وبعثت إليهم الرسل فتمكن منهم الجهل واستوثق منهم العجب، فلم يمكن فيها علاج العلماء، ولم يصل إليها لطيف حكمة الحكماء. لتعلقهم بفقد من الوجد ولو حلت من وجود الحق هذا المحل لأجرت الأحكام مجاريها، وسلمت من سكرة المعرفة ودواهيها.
وأما الفرقة التي علت بها الإشارة إلى علم التوحيد فهم الذين صحبوا الأحوال في أوقاتها

بالوفاء، والأعمال بالإخلاص والصفاء، فلم يرتقوا إلى مقام قبل إحكام المقام قبله، ولم يتعلقوا بعلم لم يحلوا منه مقام أهله، وينزلوه نزول المتحققين له حتى يعلو إلى غاية الأحوال الزاكية، وتفقهوا بعلمها إلى أن أداهم ذلك إلى علم المعرفة فأذعنوا لله إذعان المحققين، وهم في ذلك كله خالون منها بعلاقة الحق التي عنها نشأت العلوم الزاكية، غلبت عليهم الحقيقة في كل ما أثبته عليهم من الأفعال فلم يحلوا منها من مقام رفيع ونفس مختلسة وطبع منتزع، إلا بعلاقة الحقيقة الأزلية والعين الألوهية والعلوم الربانية، بما منحت في ذلك من القوة، وأعطيت فيه من الصفوة وتجديد الوحدانية، وفناء البشرية، فكانت العلوم فيه والاختيارات بتلك العلاقة المبدية لتلك الحقيقة التي أبدعت الحق فألحقت الحق وأبطلت الباطل وبذلك أخبر الله أولياءه إذ يقول: ليحق الحق ويبطل الباطل . الأنفال 8 . وقال تعالى: بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق . الأنبياء 18 . فلم يتجرد الحق على حقيقة لولي من أوليائه، ولا صفي من أصفيائه، إلا ظهر به على كل باطل فقره ودفعه، وإن كان الحق أبدعه واخترعه، فلم يكن الحق في مكان فيبقى فيه أثر لباطل أو سلطان، لأن من أفنى الحق حركاته البشرية ونفسه الطبيعية وأهواءه النفسانية وأوهامه الآرائية استولى عليه من الحقيقة التي عنها وبها كان التصرف والاختيار والإقدام والإحجام، والسكون والحركات، فله علامة موجبة بصحة مقامه وعلو شأنه لا يختلف عليه من الأفعال ولا تضطرب عليه الأقوال ولا تتفاوت منه الأفعال كاختلافها على من بقيت عليه آثاره في أفعاله، وغلب هواه بهاءه فأسر عقله جهله، فهو مغرور بما تعلق من اعتقاد علوم لم يسعه بالنزول في حقائقها، ولا تلحظ مثقال ذرة مما روى منها أهلها من علم التوحيد ومذاق التجريد وهو غير موحد، وطمع في التجريد وهو غير مجرد. قد اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم. طمعاً فيما لم يسعد به بحقيقة. هيهات إن أهل هذه الإشارة ناس لم تبق لهم همة تومئ إلى ذكر فعل مذموم دون أن يجري ذلك عليهم بعلم من العلوم، إذ كانت حركاتهم عن الحق بالحق في جميع الأحكام لا تعترضها خواطر البشرية ولا يليق فيها فعل الأفعال الطبيعية، لا يقولون إلا بالحق ولا ينطقون عن الهوى. بذلك أخبرنا عن المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال: وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى . النجم 3: 5 .

صفحة : 1900

فأما الفرقة التي اغترت بما لم تؤت ولم تفارق العلل المستولية عليهم من حركات طباعهم الداعية إلى حاجتها وشهواتها فأولئك مثلهم كما قال الله تعالى: ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون

. الزخرف 36، 37 . وقوله: فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء . الأنعام 93 . فهم رهائن أعمالهم لزم كل عبد منهم طائره في عنقه إذ يقول: وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه . الإسراء 13 . الآية، وقال: كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين . المدثر 38، 39 . جعلنا الله وإياكم من أصحاب اليمين، وهم أهل القوة.

وفيما كتب إلى جعفر وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت رويماً يقول: الصبر ترك الشكوى، والرضاء استلذاذ البلوى، واليقين المشاهدة، والتوكل إسقاط رؤية الوسائط، والتعلق بأعلى الوثائق، والأنس أن تستوحش من سوى محبوبك.

وسئل عن المحبة فقال: الموافقة في جميع الأحوال، وأنشد:

ولو قلت لي مت مت سمعاً وطاعة وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحبا

وقيل له: كيف حالك؟ فقال: كيف يكون حال من دينه هواه وهمته شقاؤه ليس بصالح نقي ولا عارف تقي.

قال الشيخ: ذكرنا لجده حديثاً مسنداً لموافقة اسمه اسمه: حدثنا محمد بن جعفر بن الهيثم، حدثنا جعفر ببن محمد الصائغ، حدثنا رويم بن يزيد المقرئ، حدثنا إسماعيل بن يحيى التميمي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن جابر قال: رأى النبي صلى الله عليه وسلم أبا الدرداء يمشي قدام أبي بكر فقال: يا أبا الدرداء أتمشي قدام رجل ما طلعت الشمس على رجل مسلم خير منه .

قال: فما رؤي أبو الدرداء بعد هذا يمشي إلا خلف أبي بكر.

حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن العباس الأخرم، حدثنا الحسن بن ناصح المخرمي، حدثنا رويم بن يزيد، حدثنا إسماعيل، عن ابن جريج مثله.

أحمد بن محمد بن عطاء

ومنهم العامل الظريف والكامل النظيف، كان مودع القرآن شعاره، وظاهر البيان دثاره، له اللسان المبسوط والبيان بالحق مربوط. أوقف على مراتب المأسورين ومقامات أهل البلاء من المأخوذين فتمنى ما خصوا به من الصفاء والاعتلاء فعومل بما تمنى من المحن والابتلاء، أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء.

سمعت أبا الحسين محمد بن علي بن حبيش –صاحب الجنيد بن محمد– يقول: صحبت أبا العباس بن عطاء عدة سنين متأدباً بآدابه، وكان له كل يوم ختمة وفي كل شهر رمضان في كل يوم وليلة ثلاث ختمات، وبقي في ختمه يستنبط مودع القرآن بضع عشرة سنة يستروح إلى معاني مودعها فمات قبل أن يختمها.

وسمعته يقول في قوله عز وجل: إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة . آل عمران 96 .

فقال في البيت مقام إبراهيم وفي القلب آثار رب إبراهيم، والبيت أركان وللقلب أركان، فأركان البيت الصم من الصخور وأركان القلب معادن النور.

سمعت أبا سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن نصير الرازي –بنيسابور صاحب يوسف بن الحسين– يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء، يقول: من ألزم نفسه آداب السنة غمر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بآدابه قولاً وفعلاً ونية وعقداً.

سمعت محمد بن علي بن حبيش يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: قرن ثلاثة أشياء بثلاث، قرنت الفتنة بالمنية وقرنت المحنة بالاختيار وقرنت البلوى بالدعاوي. وسئل: إلا ما تسكن قلوب العارفين؟ قال: إلى قوله: بسم الله الرحمن الرحيم، لأن في بسم الله هيبتة، وفي اسمه الرحمن عونه ونصرته، وفي اسمه الرحيم مودته ومحبته: ثم قال: سبحان من فرق بين هذه المعاني في لطافتها في هذه الأسامي في غوامضها.

سمعت أبي يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: إذا كانت نفسك غير ناظرة لقلبك فأدبها بمجالسة الحكماء، فمن أراد أن يستضيء بنور الحكمة فليلاق بها أهل الفهم والعقل. وسمعته يقول: القلب إذا اشتاق إلى الجنة أسرعت إليه هدايا الجنة وهي المكروه لأن المكاره هدايا الجنة إلى أبدان الصادقين ومن فر بنفسه إلى حض المكروه رحلت شهوات الطمع عن قلبه وقال من علامة الصدق رضى القلب بحلول المكروه.

صفحة : 1901

سمعت أبا الحسن أحمد بن محمد بن مقسم يقول: قال أبو العباس ابن عطاء: من تأدب بآداب الصالحين فإنه يصلح لبساط الكرامة، ومن تأدب بآداب الأولياء فإنه يصلح لبساطة القربة، ومن تأدب بآداب الأنبياء فإنه يصلح لبساط الأنس والانبساط.

وسمعته يقول: قال أبو العباس بن عطاء: لم تزل الشفقة بالمؤمن حتى أوفدته على خير أحواله، ولم تزل الغفلة بالفاجر حتى أوفدته على شر أحواله.

سمعت محمد بن علي بن حبيش يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: أدن قلبك من مجالسة الذاكرين لعله ينتبه عن غفلته، وأقم شخصك في خدمة الصالحين لعله يتعود ببركتها طاعة رب العالمين.

قال: وسئل أبو العباس وأنا حاضر، عن أقرب شيء إلى مقت الله والعياذ بالله. فقال: رؤية النفس وأفعالها، وأشد من ذلك مطالبة الأعواض عن أفعالها.

قال: وسمعته يقول: من علامات الأولياء أربعة: صيانة سره فيما بينه وبين الله. وحفظ جوارحه فيما بينه وبين الله، واحتمال الأذى فيما بينه وبين خلق الله، ومداراته مع الخلق

.على تفاوت عقولهم

سمعت أحمد بن محمد بن مقسم يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: من شاهد الحق بالحق انقطعت عنه الأسباب كلها، وما دام ملاحظاً لشيء فهو غير مشاهد لحقيقة .الحق، وهذا مقام من صفت له الولاية فلم يحجب عنه المنتهى والغاية

وسئل عن قوله تعالى: تتجافى جنوبهم عن المضاجع . السجدة 16 . فقال المضطجعون على مراتب: مضطجع على فراشه، ومضطجع في نفسه، ومضطجع في دنياه. فالمضطجع على فراشه فهو الظالم متى انتبه ذكر الله تعالى أعطى ثوابه عشرة أمثالها. والمضطجع في دنياه فهو المقتصد متى انتبه وجل من مطالعة الدنيا واستغفر أعطى ثوابه سبعمائة ضعف. وأما المضطجع في نفسه فهو السابق متى شاهد نفسه ورأى ضلالتها ظن أنه من الهالكين. حينئذ يفتقر إلى الله بطلب السلامة من نفسه فهذا ممن ثوابه: فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين . السجدة 17 . قال أبو العباس: ذكر .الثواب عن ذكر الله غفلة عن الله

:أنشدني محمد بن علي بن حبيش، قال: أنشدني أحمد بن سهل بن عطاء

بالله أبلغ ما أسعى وأدركه لأبي ولا بشفيع إلى الناس

إذا يئست وكاد اليأس يقلقني جاء الغنى عجباً من جانب اليأس قال ابن :حبيش: فزدته ثالثاً بين يديه

أعود في كل أمر جل مطلبه عندي إلى كاشف الضر والبأس قال: :وأنشدني ابن عطاء

دبوا إلى المجد والساعون قد بلغوا جهد النفوس وشدوا نحوه الأزرا

وساوروا المجد حتى مل أكثرهم وعانق المجد من وافى ومن صبرا

لا تحسب المجد تمراً أنت تأكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا قال :وأنشدني رحمه الله

ذكرك لي مؤنس يعارضني يوعدني عنك منك بالظفر

فكيف أنساك يا مدى هممي وأنت مني بموضع النظر وسئل: ما .العبودية؟ قال: ترك الاختيار، وملازمة الافتقار

.وقال: إياك أن لاحظ مخلوقاً وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلا

قال الشيخ: كان كثير الحديث: حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا أبو العباس بن عطاء الصوفي، حدثنا يوسف بن موسى القطان، حدثنا الحسن بن بشر البلخي، حدثنا الحكم بن عبد الملك، عن قتادة، عن أبي مليح، عن واثلة بن الأسقع، قال: قال رسول الله صلى الله . عليه وسلم: يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم

حدثنا محمد بن علي، حدثنا أبو العباس بن عطاء، حدثنا الفضل بن زياد، حدثنا ابن أبي ليلى قال حدثني أبي، عن الحكم بن مقسم، عن ابن عباس، قال: قضم الملح في جماعة خير من أكل الفالوذج في فرقة .

ذكر جماعة من أعلام البغداديين

صفحة : 1902

قال الشيخ: ذكر جماعة من أعلام البغداديين كان المفزع إلى أدعيتهم عند المحن والنوازل لصفاء أحوالهم، ووفاء أقوالهم، فكانت آثارهم في الإجابة مشهورة، وأوقاتهم بالمشاهدة والمسامرة معمورة، صحبوا بشر بن الحارث الحافي وأصحاب معروف الكرخي. حماهم الحق عن التبدل، وحلاهم بخلوة الذكر والاشتهار. لقينا أصحابهم وكانوا على سمتهم مشتهرين بالذكر شاهدين مغتنمين للوقت مجاهدين: منهم إبراهيم بن السري السقطي. وبدر بن المنذر المغازلي، وأبو أحمد القلانسي، وخير النساج، وأبو بكر بن مسلم بن حمزة البصري، عداده في البغداديين.

إبراهيم بن السري

سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى يقول: سمعت إبراهيم بن السري السقطي يقول: سمعت أبي يقول: عجبت لمن غدا أو راح في طلب الأرباح وهو مثل نفسه نواح لا يربح أبدا.

سمعت إبراهيم بن محمد يقول: سمعت أبا العباس يقول: سمعت إبراهيم بن السري يقول: سمعت أبي يقول: لو أشفقت هذه النفوس على أبدانها شفقتها على أولادها للاقت السرور في معادها.

بدر المغازلي

وأما بدر المغازلي فأطبقت الألسنة من الحنبلية وأصحاب الحديث أنه كان يعد من البدلاء، عرف له أحوال عجيبة.

حدثنا عنه أبو بكر بن خلاد، حدثنا بكر بن المنذر أبو بكر المغازلي الشيخ الصالح، حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا زهير بن معاوية، عن العلاء بن المسيب أن سهيلاً بن أبي صالح حدثه، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا أحب الله عبداً قال لجبريل: إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل: ثم يقول لأهل السماء: إن الله يحب عبده فلاناً فأحبوه. فيحبه أهل السماء. ثم يوضع له القبول . قال العلاء: فقلت: ما القبول? قال: المودة في الأرض.

القلانسي

قال الشيخ: وأما أبو أحمد القلانسي فمخصوص بالتواضع والفتوة والاحتمال وطيبة القلب والابتذال. صحب أبا حمزة وتخرج عليه.

سمعت عمر بن أحمد بن شاهين يقول: سمعت علي بن محمد المصري يقول: سمعت عمرو بن سعيد القلانسي يقول: سمعت يحيى بن الحسن القلانسي يقول: رأيت ربي عز وجل في النوم فقلت: يا رب اغفر لي ما مضى، قال: إن أردت أن أغفر لك ما مضى فأصلح لي ما بقى. قال قلت: يا رب فأعني عليه.

سمعت عبد المنعم بن عمر يقول: قال أبو سعيد بن الأعرابي سمعت الكتاني يقول: قال منية البصري: سافرت مع أبي أحمد القلانسي فجعنا جوعاً شدداً، ففتح علينا بشيء من طعام فآثرني به، وكان معنا سويق، فقال لي كالمازح: تكون جملي؟ فقلت: نعم. فكان يوجرني ذلك السويق يحتال بذلك أن يؤثرني على نفسه. وكان قد صحب أبا محمد الرباطي المروزي وسلك معه البادية، وورث عنه هذه الأخلاق الحميدة، وذلك أن أبا محمد اشترط عليه أن يكون هو الأمير في سفرهما. فحكى عنه أنه كان يطعمه ويجوع، ويسقيه ويعطش، ويؤثره بأسباب الرفق. وذكر أن مطراً أصابهما في رياح وظلمة شديدة بالبادية، فقال: يا أحمد اطلب الميل، فلما صرنا إلى الميل أقعدني في أصله ووضع يده عليه وهو قائم، وجللني بكساء كان معه فوق ظهره وعلى رأسه، حتى صرت كأني في بيت لا يصيبني المطر ولا الرياح. فكلما قلت له قال لا تعترض علي وأنا الأمير. وكان أبو حمزة وابن وهب وجماعة المشايخ يكرمونه ويقدمونه على غيره. قال أبو سعيد بن الأعرابي: ولقد صحبته إلى أن مات فما رأيته قط يبيت ذهباً ولا فضة، كان يخرجه من الليل ويذهب مذهب شقيق في التوكل. وكان يقول: بناء مذهبنا على شرائط ثلاث لا نطالب أحداً من الناس بواجب حقنا، ونطالب أنفسنا بحقوق الناس، ونلزم أنفسنا التقصير في جميع ما نأتي به.

خير النساج

وأما أبو الحسن خير النساج. كان من أهل سامرا، سكن بغداد وصحب أبا حمزة والسري السقطي. له الحظ الجسيم في الكرامات.

سمعت علي بن هارون –صاحب الجنيد– يحكي عن غير واحد من أصحابه ممن حضر موته قال: غشي عليه صلاة المغرب ثم أفاق فنظر إلى ناحية من باب البيت فقال: قف عافاك الله، فإنما أنت عبد مأمور، ما أمرت به لا يفوتك، وما أمرت به يفوتني، فدعني أمضي لما أمرت به ثم امض أنت لما أمرت به. فدعا بماء فتوضأ للصلاة وصلى ثم تمدد وغمض عينيه وتشهد فمات رحمه الله، فرآه بعض أصحابه في المنام فقال له: ما فعل الله

.بك? قال لا تسألني عن هذا ولكن استرحت من دنياكم الوضرة

صفحة : 1903

اخبرنا جعفر بن محمد بن نصير في كتابه قال: سألت خيرا النساج: أكان النسج حرفتك? قال لا. قلت: فمن أين سميت به? قال: كنت عاهدت الله واعتقدت أن لا آكل الرطب أبدا، فغلبتني نفسي يوماً فأخذت نصف رطل، فلما أكلت واحدة إذا رجل نظر إلي وقال: يا خير يا آبق هربت مني? –وكان له غلام هرب اسمه خير– فوقع علي شبهه وصورته، فخنقني فاجتمع الناس فقالوا: هذا والله غلامك خير. فبقيت متحيراً وعلمت بماذا أخذت، وعرفت جنايتي. فحملني إلى حانوته الذي فيه كان ينسج غلمانه وقالوا: يا عبد السوء تهرب من مولاك? ادخل واعمل عملك الذي كنت تعمل. وأمرني بنسج الكرباس، فدليت رجلي على أن أعمل فأخذت بيدي آلته، فكأني كنت أعمل من سنين، فبقيت معه شهراً أنسج له، فقمت ليلة فتمسحت وقمت إلى صلاة الغداة، فسجدت وقلت في سجودي: إلهي لا أعود إلى ما فعلت. فأصبحت وإذا الشبه ذهب عني وعدت إلى صورتي التي كنت عليها، فأطلقت فثبت علي هذا الاسم، فكان سبب النسج اتباعي شهوة عاهدت الله عز وجل أن لا آكلها، فعاقبني الله بما سمعت. وكان يقول لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله بيده فلم يعصمه، ولا علم أرفع من علم من علمه الله الأسماء كلها فلم تنفعه في وقت جريان القضاء عليه، ولا عبادة أتم ولا أكثر من عبادة إبليس فلم ينجه ذلك من أن صار إلى ما سبق له من الله تعالى: وقال توحيد كل مخلوق ناقص بقيامه بغيره، وحاجته إلى غيره قال الله تعالى: يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، المحتاجون إليه في كل نفس، والله هو الغني عنكم وعن توحيدكم وأفعالكم، الحميد . فاطر 15 . الذي يقبل منك ما لا يحتاج إليه ويثبت على ما تحتاج إليه.

اخبرني الحسن بن جعفر قال أخبرني عبد الله بن إبراهيم الجريري، قال: قال أبو الخير الديلمي: كنت جالساً عند خير النساج فأتته امرأة وقالت: أعطني المنديل الذي دفعته إليك. قال: نعم. فدفعه إليها. فقالت: كم الأجرة? قال: درهمان. قالت: ما معي الساعة شيء، وأنا قد ترددت إليك مراراً ولم أرك، آتيك به غداً إن شاء الله، فقال لها خير: إن أتيتني به ولم ترني فارم به في الدجلة فإني إذا رجعت أخذته. فقالت المرأة: كيف تأخذ من الدجلة? فقال خير: التفتيش فضول منك. افعلي ما أمرتك. فقالت: إن شاء الله. فمرت المرأة. قال أبو الخير: فجئت من الغد –وكان خير غائباً– فإذا بالمرأة جاءت ومعها خرقة فيها درهمان، فلم تر خيراً فقعدت ساعة ثم قامت ورمت بالخرقة في الدجلة، فإذا بسرطان قد تعلقت بالخرقة وغاصت، فبعد ساعة جاء خير وفتح باب حانوته وجلس على

الشط يتوضأ، وإذا بسرطان خرجت من الماء تمشي نحوه والخرقة على ظهرها. فلما قربت من الشيخ أخذها. فقلت له: رأيت كذا وكذا. فقال: أحب أن لا تبوح به في حياتي، فأجبته إلى ذلك.. وقلت: نعم.

بكر بن مسلم

وأما بكر بن مسلم فمن المستأنسين بالله لا ينفك عن مشاهدته ومذاكرته. كان الجنيد من تلامذته.

اخبرني جعفر بن محمد بن نصير –في كتابه– قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: عبرت يوماً إلى أبي بكر بن مسلم في نصف النهار فقال لي: ما كان لك في هذا الوقت عمل يشغلك عن المجيء إلي? قلت: إذا كان مجيئي إليك العمل فما أعمل.

سمعت أبا عمرو العثماني يقول: سمعت أبا الحسن محمد بن أحمد يقول: سمعت الحسن بن علي بن خلف البربهاري يقول: مرض أبو بكر بن مسلم فعاده المروزي في خلق من الناس، فكأن أبا بكر بن مسلم كره ذلك لأجل الجماعة الذين جاءوا معه، فكتب إليه يعاتبه على ذلك. وكتب في آخر الرقعة:

يا من يريد بزعمه الإجمالا ... إن كان حقاً فاستعد خصالا
أترك التذاكر والمجالس كلها ... واجعل خروجك للصلاة خيالا
بل كن بها حياً كأنك ميت ... لا ترتجي عند القريب وصالا
وأنس بربك واعلمن بأنه ... عون المريد يسدد العمالا
من ذا يريد مع الحبيب مؤانساً? ... من ذا يريد بغيره أشغالا
لا تأنسن مع الحياة بغيره ... وابذل قواك وقطع الأوصالا
فلئن سلمت لأنت أكرم من يشا ... ولئن هلكت فما ظلمت خلالا
من ذاق كأس الخوف ضاق بذرعه ... حتى ينال مراده إن نالا

صفحة : 1904

حاشا مؤمل سيدي من بخسه ... جل الجواد إلهنا وتعالى

سمنون بن حمزة

قال الشيخ: ومنهم سمنون بن حمزة أبو الحسن الخواص. وقيل أبو بكر بصري، سكن بغداد ومات قبل الجنيد، سمى نفسه سمنون الكذاب، وكان سبب ذلك أبياته التي قال فيها:

فليس لي في سواك حظ ... فكيف ما شئت فامتحني فحصر بوله من

.ساعته، فسمى نفسه سمنون الكذاب

اخبرني عبد المنعم، عن أبي بكر الواسطي، قال: قال سمنون: يا رب قد رضيت بكل ما تقضيه علي. فاحتبس بوله أربعة عشر يوماً، فكان يلتوي كما تلتوي الحية على الرمل يتقلب يميناً وشمالاً، فلما أطلق بوله قال: يا رب تبت إليك، وأنشدت عن جعفر، عن سمنون:

أنا راض بطول صدك عني ليس إلا لأن ذاك هـواكـا

فامتحن بالجفاء صبري على الود ودعني معلقاً برجاكـا ومن أبياته التي امتحن فيها ما: حدثناه عثمان بن محمد العثماني، قال: أنشدني علي بن عبد الله بن سويد، قال: أنشدنا محمد بن أحمد، أن ابن الصباح قال: أنشدنا علي بن غياث البزاز، قال: أنشدنا سمنون أبو الحسن أو أبو بكر البصري:

أفديك بل قـل أن يفـديك ذو دنـف هل في المذلة للمشتاق مـن عـار

بي منك شوق لو أن الصخر يحمله تفطر الصخر عن مستوقد الـنـار

قد دب حبك في الأعضاء من جسدي دبيب لفظي من روحي وإضماري

ولا تنفست إلا كنت مع نـفـسـي وكل جارحة من خاطري جـاري قال:

وأنشدنا أيضاً سمنون لنفسه:

شغلت قلبي عن الدنيا ولذتـهـا فأنت والقلب شيء غير مفترق

وما تطابقت الأحداق من سـنة إلا وجدتك بين الجفن والحـدق وأنشدني عثمان بن محمد، قال: أنشدني أبو علي الحسن بن أحمد الصوفي لسمنون:

ولو قيل طأ في النار أعلـم أنـه رضي لك أو مدن لنا من وصالكا

لقدمت رجلي نحوها فوطئتـهـا سروراً لأني قد خطرت ببالكـا وأنشدني عثمان، قال: أنشدني علي بن عبد الله بن سويد، قال: حدثني محمد بن حمدان، قال: رأيت سمنوناً وقد أدخل رأسه في زر ناقته وعليه جربان من أدم ثم أخرج رأسه بعد ساعة وزفر، وقال:

تركت الفؤاد علـيلاًيعـاد وشردت نومي فما لي رقاد وأنشدني محمد بن الحسين بن موسى، قال: أنشدنا محمد بن عبد الله بن عبد العزيز، قال: أنشدنا أبو جعفر الفرغاني، قال: أنشدنا سمنون البصري:

أحن بأطراف النهار صبـابة وبالليل يدعوني الهوى فأجيب

وأيامنا تفنى وشـوقـي زائد كأن زمان الشوق ليس يغيب سمعت محمد بن الحسين، يقول: سمعت أبا بكر الرازي، يقول: سمعت أبا بكر العجان، يقول: سمعت سمنوناً، يقول: إذا بسط الجليل غدا بساط المجد دخل ذنوب الأولين والآخرين في حاشية

.من حواشيه، وإذا أبدي عيناً من عيون الجود ألحق المسيء بالمحسن

أخبرت عن عمر بن رفيل –وقد لقيته بجرجوايا– قال: سمعت أبا القاسم الهاشمي يقول: كنت في المقدس في برد شديد وعلي جبة وكساء وأخذ البرد والثلج يسقط، فرأيت شاباً عليه خرقتان في صحراء يمشي، فقلت: يا حبيبي لو استترت ببعض هذه الأروقة فتكنك من البرد، فقال لي: يا أخي سمنون:

ويحسن ظني أنني في فنائه وهل أحد في كنه يجد القرا اخبرني جعفر

بن محمد بن نصير –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: قال أبو أحمد القلانسي: فرق رجل ببغداد على الفقراء أربعين ألف درهم فقال لي سمنون: يا أبا أحمد ما ترى ما أنفق هذا وقد عمله، نحن ما نرجع إلى شيء ننفقه، فامض بنا إلى موضع نصلي فيه بكل درهم أنفقه ركعة فذهبنا إلى المدائن فصلينا أربعين ألف ركعة وزرنا قبر سلمان وانصرفنا. وكان يقول: أول وصل العبد هجرانه لنفسه وأول هجران العبد للحق تعالى مواصلته لنفسه. وكان يقول: مضى الوقت فصار الوقت مقتاً، وقتك خراب وقلبك في المحراب، ومن كانت عبادته عناء كانت ثمرته ضناء.

ومنهم المشهورين بالنسك والتعبد السالكون مسلك أوليائهم من المتعبدين، الذين تخرجوا على المتحققين، وراضوا أنفسهم رياضة العلماء المتقين، كعلي بن الموفق، وأبي عثمان الوراق، وأيوب الحمال، وأبي عبد الله الجلاء، رحمهم الله.

صفحة : 1905

كانت بواطنهم بالمشاهدة عامرة، وظواهرهم عن المناظرة والمذاكرة شاغلة، فلم ينقل عنهم غير الأحوال المكينة اللطيفة.

علي بن الموفق

حدثنا إبراهيم بن محمد النيسابوري، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبدويه العبدي قال: حدثني أبو عمر عبد الرحمن بن أبي قرصافة العسقلاني، قال: سمعت أبا القاسم البزاز يقول: قال لي علي بن الموفق: حججت نيفاً وخمسين حجة فجعلت ثوابها للنبي صلى الله عليه وسلم، ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ولأبوي. وبقيت حجة فنظرت إلى أهل الموقف بعرفات وضجيج أصواتهم، فقلت: اللهم إن كان في هؤلاء أحد لم تقبل منه حجته فقد وهبت له هذه الحجة، ليكون ثوابها له. قال: فبت تلك الليلة بالمزدلفة فرأيت ربي عز وجل في المنام، فقال لي: يا علي بن الموفق علي تتسخى؟ قد غفرت لأهل الموقف ومثلهم وأضعاف ذلك، وشفعت كل رجل منهم في أهل بيته وخاصته

وجيرانه، وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة.

وحكى لي عن أبي عبد الله الخواص المصري، قال: سمعت علي بن الموفق يقول: خرجت يوم الجمعة إلى الرواح فسألتني أهلي حاجة فخرجت وأنا مغموم بها، فهتف بي هاتف: يا ابن الموفق تحزن وأنا لك؟ سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: يحكي عن العباس بن يوسف الشكلي، قال: سمعت علي بن الموفق يقول: حججت سنة من السنين في محمل فرأيت رجاله فأحببت المشي معهم، فنزلت وأقعدت واحداً في محملي ومشيت معهم، فتقدمنا إلى البريد وعدلنا عن الطريق فنمنا فرأيت في منامي جواري معهن طسوت ذهب وأباريق فضة يغسلن أرجل المشاة، فبقيت أنا، فقالت إحداهن لصاحبتها: ليس هذا منهم، هذا له محمل. فقالت: بل هو منهم لأنه أحب المشي معهم. فغسلن رجلي فذهب عني كل تعب كنت أجده.

أبو عثمان الوراق

وأما أبو عثمان الوراق فله العبادة المشهورة. كان الإمام أحمد بن حنبل يحمد سيرته. كان للفقر معتنقاً ولا يرى الإمساك والادخار. يتبع آثار ما درج عليه الصدر الأول من صفوة الصحابة وأهل الصفة، ويقول بالإيثار والمواساة. أكثر نجوم البغداديين به تخرجوا، وعنه أخذوا التجرد وسياسة النفوس ورياضتها. كان يجمع المتعبدين في مسجده يقرئهم القرآن ويعلمهم الأحكام، ويحثهم على الورع والتقلل، ويواخي بين أصحابه فيضيف الضعيف إلى القوي، ويؤاخي بين المتكسب ومن لا حرفة له، وبين البصير والضرير، وبين القارئ وبين من لا يقرأ ليعلمه ويلقنه، لا يمنع المكتسب من الكسب. فإذا كان الليل اجتمع أمرهم واحد فأكلوا موضعاً واحداً، وهو كأحدهم، إن كان عنده شيء أحضره، كان لا يبيت شيئاً، كان إذا سافر وغزا هو وأصحابه ينزلون المساجد لا يحضرون الدعوات والاجتماع إن فتح عليهم في المسجد قبلوه وبذلوه، وكان يصون أصحابه عن التعرض والمسألة، فإن جاءه ممن تسكن إليه نفسه قبله لهم. كانت طريقته طريقة السلف المرضية.

أبو أيوب الحمال

وأما أبو أيوب الحمال فمن المجتهدين ومن الأسخياء، له كرامات عجيبة.

اخبرني جعفر بن محمد بن نصير –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: أخبرني محمد بن وهب، عن بعض أصحابه أنه حج مع أبي أيوب الحمال. قال: فلما دخلنا البادية وسرنا منازل إذا بعصفور تحوم حولنا، فرفع أيوب رأسه إليه وقال له: قد جئت إلى ههنا؟ فأخذ كسرة خبز ففته في كفه فانحط العصفور وقعد على كفه يأكل منها، ثم صب له ماء فشربه. ثم قال: اذهب الآن. فطار العصفور،

فلما كان من الغد رجع العصفور ففعل أبو أيوب مثل فعله في اليوم الأول، فلم يزل كل يوم يفعل به ذلك إلى آخر السفر، ثم قال أبو أيوب: تدري ما قصة هذا العصفور؟ كان يجيئني في منزلي كل يوم فكنت أفعل به ما رأيت، فلما خرجنا تبعنا يقتضي مني ما كنت أفعل به في المنزل.

وحكى جعفر بن محمد، عن محمد بن خالد، قال: سمعت أبا أيوب يقول: عقدت على نفسي أن لا أمشي غافلاً ولا أمشي إلا ذاكراً، فمشيت مشية غفلة فأخذتني عرجة فعلمت من أين أتيت، فبكيت واستغثت فتبت فزالت العلة والعرجة فرجعت إلى الموضع الذي غفلت فيه فرجعت إلى الذكر فمشيت سليماً.

أبو عبد الله الجلاء

صفحة : 1906

وأما أبو عبد الله الجلاء أحمد بن يحيى فهو بغدادي سكن الرملة. صحب ذا النون وأبا تراب وأباه يحيى الجلاء. له النكت اللطيفة. أحد أئمة القوم. لم يكن بالشام في حاله له شبيه مذكور. تخرج به جماعة من المذكورين.

سمعت والدي يذكر، عن بعض أصحابه أنه كان يقول: يحتاج العبد أن يكون له شيء يعرف به كل شيء، وكان يقول: من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد، ومن حافظ على الفرائض في أول مواقيتها فهو عابد. ومن رأى الأفعال كلها من الله فهو موحد.

سمعت محمد بن الحسن بن علي اليقطيني يقول: حضرت أبا عبد الله فقيل له: هؤلاء الذين يدخلون البادية بلا عدة ولا زاد يزعمون أنهم متوكلة فيموتون. قال: هذا فعل رجال الحق، فإن ماتوا فالدية على القاتل.

سمعت محمد بن الحسن بن موسى يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت أحمد بن علي يقول: سئل أبو عبد الله الجلاء عن الحق، فقال: إذا كان الحق واحدا يجب أن يكون طالبه واحداني الذات. وقال: سمت همم المريدين إلى طلب الطريق إليه فأفنوا نفوسهم في الطلب. وسمت العارفين إلى مولاهم فلم تعطف على شيء سواه.

سمعت محمد بن الحسين، يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي، يقول: سمعت أبا عمرو الدمشقي، يقول: سمعت أبا عبد الله الجلاء، يقول: الحق استصحب أقواماً للكلام واستصحب أقواماً للخلة، فمن استصحبه الحق لمعنى ابتلاه بأنواع المحن، فليحذر أحدكم طلب رتبة الأكابر.

وكان يقول: من بلغ بنفسه إلى رتبة سقط عنها، ومن بلغ به ثبت عليها.

وكان إذا سئل عن المحبة قال: ما لي وللمحبة، أنا أريد أن أتعلم التوبة.

وسئل كيف تكون ليالي الأحباب فأنشأ يقول:

من لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف كيف تفتت الأكباد حدثنا محمد بن الحسين، قال: سمعت محمد بن عبد العزيز الطبري يقول: سمعت أبا عمرو الدمشقي يقول: سمعت ابن الجلاء يقول: قلت لأبي وأمي: أحب أن تهباني لله. قالا: قد وهبناك لله. فغبت عنهما مدة فرجعت من غيبتي وكانت ليلة مطيرة– فدققت عليهما الباب، فقالا: من؟ قلت: ولدكما، قالا: كان لنا ولد فوهبناه لله، ونحن من العرب لا نرجع فيما وهبنا. وما فتحا لي الباب.

ابن أبي الورد

وأما محمد بن محمد بن أبي الورد، وقيل أحمد، فمن جلة المشايخ وكبارهم. صحب بشراً الحافي والحارث بن أسد المحاسبي، وسريا السقطي. محله في الورع محل شيوخه وأئمته.

أخبرني جعفر بن محمد بن نصير –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: قال ابن أبي الورد: بساط المجد بسط للأولياء ليأنسوا به، وليرفع عنهم حشمة بديهة المشاهدة. وبساط الهيبة بسط للأعداء ليستوحشوا من قبائح أفعالهم ولا يشاهدوا ما يستريحون إليه في المشهد الأعلى.

وقال أحمد بن أبي الورد: وصل القوم بخمس: بلزوم الباب، وترك الخلاف، والنفاذ في الخدمة، والصبر على المصائب، وصيانة الكرامات.

وقال: إن ولي الله إذا زاد ثلاثة أشياء زاد منها ثلاثة أشياء، إذا زاد جاهه زاد تواضعه، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده.

وكان يقول: طرح الدنيا إلى المقبلين عليها والإعراض عنها وعن المقبلين عليها من عمل الأكياس، لأن من عزفت نفسه عن محبة الدنيا أحبه أهل الأرض، ومن أعرض بقلبه عن محبة الدنيا أحبه أهل السماء.

سمعت محمد بن الحسين اليقطيني يقول: سمعت علي بن عبد الحميد يقول: سمعت ابن أبي الورد يقول: آفة الخلق في حرفين: اشتغال بنافلة وتضييع فريضة، وعمل جوارح بلا مواطأة القلب، وإنما منعوا الوصول بتضييع الأصول.

أسند الكثير عن بشر بن الحارث وغيره.

حدثنا أبو أحمد الغطريفي –من أصله– حدثنا أبو إسحاق بن يزيد الهاشمي، حدثنا محمد بن محمد بن أبي الورد العابد، قال: سمعت بشر بن الحارث الحافي، يقول: حدثنا المعافي بن عمران، عن إسرافيل، عن مسلم، عن حبة العوفي، عن علي، قال: قال رسول الله

. صلى الله عليه وسلم: كل الثوم نيئاً فلولا أن الملك يأتيني لأكلته

صفحة : 1907

حدثنا أحمد، حدثنا أبو إسحاق بن يزيد -إملاء- حدثنا محمد ابن أبي الورد، قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: رحلت إلى عيسى بن يونس ماشياً على قدمي فأكرمني وأدناني وقال لي: ما الذي أقدمك؟ قلت: أحببت لقاءك والنظر إليك. قال: يا أخي ومن أنا وأي شيء عندي، وما أحسن؟ قال: معك شيء تسأل عنه؟ قلت: نعم، حديثان: حديث عبد الله بن عراك بن مالك، وحديث الحسن، عن عائشة أم المؤمنين. فقال عيسى: نعم حدثنا عبد الله بن عراك بن مالك، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة . ثم قال عيسى: حدثنا عمرو بن عبيد المحدث المذموم، عن الحسن، عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله هل على النساء قتال؟ فقال: نعم جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة .

حدثنا علي بن محمد بن إسماعيل الطوسي -بمكة- حدثنا علي بن عبد الحميد الجرجاني، حدثنا محمد بن محمد بن أبي الورد قال حدثني سعيد بن منصور، حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء أن قل لفلان العابد: أما زهدك في الدنيا فتعجلت راحة نفسك وأما انقطاعك إلى فتعززت بي، فلماذا عملت فيما لي عليك؟ قال: يا رب ومالك علي؟ قال: هل واليت لي ولياً، أو عاديت لي عدواً .

صدقة المقابري

وأما صدقة المقابري فمن أقران المتقدمين كبشر بن الحارث وطبقته وكان من التحقق والتحفظ بالمحل العالي.

سمعت أبا الفضل نصر بن أبي نصر الطوسي يحكي، عن بعض مشايخه قال: كان صدقة المقابري من المبالغين في التحقيق، كان يقول: أتى علي عشرون سنة لم أكلم أحداً حتى أومر بكلامه، ولا تركت بكلامي أحداً حتى أومر بترك كلامه.

حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن مقسم، حدثنا عبد الله بن إسحاق، حدثنا سعدان، قال: قال صدقة المقابري لرجل كان يواخيه ويصحبه: كيف تجدك؟ فقال إن الذي بي من البلاء أقل مما أصبت من لذة الهوى، ولو أصابني من البلاء بقدر ما نلت من لذة الهوى إذاً لاجتمع على جميع البلاء.

وكان كثيراً ينشد أبياتاً للثقفي:

أما ترى الموت مختطفاً من كل ناحية نفساً فيحويها
قد نغصت أملاً كانت تؤمله وقام في الحي ناعيها وباكيها
وأسكنوا الترب تبلى فيه أعظمهم بعد النضارة ثم الله يحييها
وصار ما جمعوا منها وما دخروا من الأقارب يحويه أدانيها
فامهد لنفسك في أيام مدتها واستغفر الله ما أسلفته فيها

طاهر المقدسي

.ومنهم طاهر المقدسي: صاحب ذا النون وأعلام النساك من الشاميين وغيرهم

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا القاسم الدمشقي، يقول: سمعت طاهراً المقدسي، يقول –وسئل لم سميت الصوفية بهذا الاسم?– فقال: لاستتارها عن الخلق بلوائح الوجد، وانكشافها بشمائل القصد، وكان يقول: حد المعرفة التجرد من النفوس وتدبيرها في ما يجل أو يصغر. وكان يقول لا يطيب العيش إلا لمن وطئ بساط الأنس .بالقدس، والقدس بالأنس ثم غاب عن مشاهدتها بمطالعة القدوس

سمعت محمد بن الحسين، قال: أنشدني عبد الله بن محمد الدمشقي، قال: أنشدني :طاهر المقدسي لبعضهم

أراعي النجوم ولا علم لي بعد النجوم بحيث الظلام
وكيف ينام فتى لا ينام إذا نام عنه عيون الحمام
أسير يسير إليه هواه فيضحى الأسير قتيل الغرام
فلم يبق منه سوى إسمه يقال له عاشق والسلام
بفرط النحول وحب القليل وحزن مذيب يطول السقام وقال طاهر:

المفاوز عنه منقطعة، والطريق إليه منطمسة، توق من علالاته، واحذر أماكن الاتصال فإنها :خدع، وقف حيث وقف القوم تسلم. وأنشد

وكذبت طرفي فيك والطرف صادق وأسمعت أذني فيك ما ليس تسمع
ولم أسكن الأرض التي تسكنونها لكي لا يقولوا: إنني بك مولع
فلا كبدي ولا لك رحمة ولا عنك إقصار ولا فيك مطمع

صفحة : 1908

سمعت محمداً يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر الفارسي، يقول: سمعت علي بن الحسين بن حمدان، يقول: سمعت أبي يقول: قال طاهر المقدسي: لو عرفت الناس قدر .أنوار العارفين لاحترقوا في أنوارهم، ولو بدا لأهل الأحوال لاحترقت أحوالهم

سمعت عثمان بن محمد العثماني يقول: سمعت أبا الحسن محمد بن أحمد، يقول: قال

أبو عبيد البسري: سألت رجلاً باللكام: ما الذي أجلسك في هذا الموضع؟ قال: وما سؤالك عن شيء إن طلبته لم تدركه، وإن لحقته لم تقع عليه؟ قلت: تخبرني ما هو؟ قال: علمي بأن مجالستي مع الله تستغرق نعيم الجنان كلها. ثم قال: أوه، قد كنت أظن أن نفسي قد ظفرت، ومن الخلق هربت، فإذا أنا كذاب في مقامي، لو كنت محباً له صادقاً ما اطلع علي أحد. فقلت: أما علمت أن المحبين خلفاء الله في أرضه مستأنسون بخلقه يبعثونهم على طاعته؟ قال: فصاح بي صيحة، وقال: يا مخدوع لو شممت رائحة الحب وعاين قلبك ما وراء ذلك من القرب ما احتجت أن ترى فوق ما رأيت. ثم قال: يا سماء ويا أرض اشهدا علي أنه ما خطر على قلبي ذكر الجنة والنار قط، إن كنت صادقاً فأمتني. قال: فوالله ما سمعت له كلاماً بعدها وخفت. فخفت أن يسبق إلى الظن من الناس في قتله فتركته ومضيت، فبينا أنا كذلك إذا بجماعة فقالوا: ما فعل الفتى؟ فكنيت عن ذلك فقالوا: ارجع فإن الله قد قبضه. فصليت معهم عليه، فقلت لهم: من هذا الرجل ومن أنتم؟ قالوا: ويحك، هذا رجل كان به يمطر المطر، قلبه على قلب إبراهيم الخليل، أما رأيته يخبر عن نفسه أن ذكر النار ما خطر على قلبه قط، فهل كان أحد هكذا إلا إبراهيم عليه السلام؟ قلت: فمن أنتم؟ قالوا: نحن السبعة المخصوصون من الأبدال، قلت: علموني شيئاً. قالوا: لا تحب أن تعرف ولا تحب أن يعرف أنك ممن لا يحب أن يعرف.

قال الشيخ: كذا حدثناه العثماني عن البسري. ورأيت من رواية بعضهم عن طاهر المقدسي: سمعت أبي يقول: سمعت أحمد بن جعفر يقول: قال طاهر: إن الانقطاع إلى الله لا يكون بمشاركة الدنيا، ومن ألجأ نفسه إلى الانقطاع إليه اتخذ أنس الناس وحشة عندما أنس بالانقطاع إلى نفسه.

حدثنا عثمان بن محمد، حدثنا محمد بن أحمد البغدادي، حدثنا عباس بن يوسف، عن طاهر، قال: خرجت من عسقلان أريد غزة في طلب البدلاء، فإذا أنا بفتى عليه أطمار رثة ماراً على ساحل البحر، قال: فكأني لم أعبأ به، فالتفت إلي فقال:

لا تنأ بـأن تـرى خـلـقـي فإنما الدر داخل الـصـدف

علمي جديد وملبسي خـلـق ومنتهى اللبس منتهى الصدف

نصر بن الصامت

ومنهم المبالغ في الرياضة، المتابع في السياسة قمع هواه، وكفى عناه، العابد القانت، المعروف بنصر الصامت.

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المعدل، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا إسحاق بن سفيان، حدثنا نصر بن الحريش الصامت، قال: حججت أربعين حجة ما كلمت فيها أحداً، فسمي الصامت.

أسند الحديث الكثير: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا الحسن بن علي بن الوليد الفسوي، حدثنا نصر بن الحريش الصامت، حدثنا المشمعل بن ملحان، عن الحسن بن دينار، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير ويفتتح القراءة بالحمد لله رب العالمين .

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد، حدثنا أبو الحسن بن أبان، حدثنا إسحاق بن سنين، حدثنا نصر بن الحريش الصامت، حدثنا المشمعل بن ملحان، عن سويد بن عمر، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صلوا على من قال لا إله إلا الله وصلوا خلف من قال لا إله إلا الله .

محمد بن إبراهيم البغدادي

ومنهم المتوكل السابح، والمتجرد الرائح، كان لفنون العلم جامعاً وكلامه للقلوب نافعاً، شيخ القوم ولسانهم في المحبة والشوق والأنس والقرب وموارد القلوب ومعاني الخطوب، وصفاء الذكر ونقاء السر، يحث على تصحيح الأعمال والتخفف عن الأثقال.

جالس الإمام أحمد بن حنبل وبشر بن الحارث، وكان يقول لا يكون الصوفي صوفياً حتى لا يسمع له صوت ولا يوطأ له عقب ولا تكون له رئاسة. أبو حمزة بن إبراهيم البغدادي. كان مولى عيسى بن أبان القاضي، عرف له آيات وكرامات، تقدم له ذكر.

صفحة : 1909

حدثنا أحمد بن محمد بن مقسم، حدثني أبو بكر الخياط الصوفي، قال: سمعت أبا حمزة يقول: سافرت سفرة على التوكل، فبينا أنا أسير ذات ليلة والنوم في عيني إذ وقعت في بئر فرأيتني قد حصلت فيها فلم أقدر على الخروج لبعد مرتقاها وطولها فجلست فيها. فبينا أنا جالس إذ وقف على رأسها رجلان، فقال أحدهما لصاحبه لا نجوز ونترك هذه في طريق السابلة والمارة. فقال الآخر: فما نصنع؟ قال: نطمها، قال: فبدرت نفسي أن تقول أنا فيها فتوقفت فنوديت تتوكل علينا وتشكو بلاءنا إلى سوانا؟ فسكت، فمضيا ثم رجعا ومعهما شيء جعلاه على رأسها غطوها به، فقالت لي نفسي: أمنت طمها، ولكن حصلت مسجوناً فيها فمكثت يومي وليلتي، فلما كان الغد ناداني شيء يهتف بي ولا أراه: تمسك بي شديداً، فظننت أنه جني فمددت يدي ألتمس ما أريد أن أتمسك به فوقعت يدي على شيء خشن فتمسكت فعلاها وطرحني فتأملت فوق الأرض فإذا هو سبع، فلما رأيته لحق نفسي من ذلك ما يلحق من مثله، فهتف بي هاتف: يا أبا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء، وكفيناك ما تخاف.

قال الشيخ: هذه الحكاية قد تقدمت فيما رويته عن عمرو بن نفيل، عن الشبلي وأعدتها لأن رواية ابن مقسم أعلى.

اخبرني جعفر بن محمد بن نصير في كتابه، قال: حدثني أبو بكر الكتاني، قال: قال أبو الأزهر وجماعة من إخواننا: اجتمع نفر على باب يفتحونه فلم ينفتح، فقال لهم أبو حمزة: تنحوا، فأخذ الغلق بيده فحركه، وقال كذا إلا فتحته فانفتح.

وكان يقول: اللهم إنك تعلم أني من أفقر خلقك إليك فإن كنت تعلم أن فقري إليك بمعنى هو غيرك فلا تسد فقري. وكان يقول: إذا صاح المحب للدنيا فإنما ذاك شيطان يصيح في جوفه.

وحكى لي عبد الواحد بن بكر، قال: حدثني محمد بن عبد العزيز، قال: سمعت أبا عبد الله الرملي يقول: تكلم أبو حمزة في جامع طرسوس فقبلوه فبينا هو ذات يوم يتكلم إذ صاح غراب على سطح الجامع فزعق أبو حمزة، وقال: لبيك لبيك. فنسبوه إلى الزندقة. وقالوا: حلولي زنديق فشهدوا وأخرج وبيع فرسه بالمناداة على باب الجامع. هذا فرس الزنديق.

فذكر أبو عمرو البصري قال: ابتعته والناس وراءه يخرجونه من باب الشام فرفع رأسه إلى السماء وقال:

لك من قلبي المكان المصون كل صعب علي فيك يهون

وأخبرني جعفر بن محمد بن نصير في كتابه، عن أبي بكر الكتاني، قال: سمعت أبا حمزة يقول: لولا الغفلة لمات الصديقون من روح ذكر الله.

وحكى عنه خير النساج، قال: قال أبو حمزة: إني لأستحي من الله أن أدخل البادية على شبع وأنا معتقد للتوكل فيكون شبعي زاداً تزودته.

وسئل عن الأنس فقال: ضيق الصدر من معاشرة الخلق. وكان يقول: من استشعر الموت حبب إليه كل باق وبغض إليه كل فان. ومن استوحش من نفسه أنس قلبه بموافقة مولاه.

وقال لبعض أصحابه: خف سطوة العدل وارج دقة الفضل، ولا تأمن مكره وإن أنزلك الجنان، ففي الجنة وقع لأبيك آدم عليه السلام ما وقع، وقد يقطع بقوم فيها فيقال لهم: كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية . الحاقة 24 . فشغلهم عنه بالأكل والشرب، ولا مكر فوق هذا ولا حسرة أعظم منه.

وسئل: أيفزع المحب إلى شيء سوى محبوبه؟ فقال لا إنه بلاء دائم وسرور منقطع وأوجاع متصلة لا يعرفها إلا من باشرها وأنشد:

يلاقي الملاقي شجوه دون غيره وكل بلاء عند لاقيه أوجع

وكان يقول: من نصح لنفسه كرمت عليه، ومن تشاغل عن نصيحتها هانت عليه، ومن خصه الله بنظر شفقة فإن تلك النظرة تنزله من منازل أهل السعادة، وتزينه بالصدق ظاهراً وباطناً،

والعازف يخاف زوال ما أعطى، والخائف يخاف نزول ما وعد، والعارف يدافع عيشه يوماً بيوم ويأخذ عيشه ليوم.

حسن المسوحي

ومنهم حسن المسوحي، كان من العاملين بالتحقيق والقائمين بالتصديق أحكم علم الأصول وسهل له سبيل الوصول.

صفحة : 1910

سمعت أبا عمرو العثماني ذكر أنه كان يتكلم على الناس ولم يكن يجاوز علم الأصول في العبادات والأصول. وحكى عن الجنيد بن محمد بن مسروق أنه لم يكن له منزل يأوي إليه. وكان يأوي باب الكناس في مسجد يكنه من الحر والبرد. وحكى عنه أنه استلقى يوماً في مسجده فكظه الحر فغلبته عيناه فرأى كأن سقف المسجد انشق فنزلت منه جارية عليها قميص فضة يتخشخش، ولها ذؤابتان، فجلست عند رجلي فقبضت رجلي عنها فمدت يدها ومست رجلي فقلت لها: يا جارية أنت لمن؟ قالت: أنا لمن دام على مثل ما أنت عليه.

أبو عبد الله البراثي

ومنهم أبو عبد الله البراثي، صاحب النكت المضرية والأحوال الزكية، من كبار المشايخ ومتقدميهم.

اخبرني أبو بكر محمد بن أحمد المفيد فيما كتب إلي وحدثني عنه العثماني، حدثنا أحمد بن مسروق حدثني البرجلاني، قال: سمعت أبا عبد الله البراثي يقول: حملتنا المطامع على أسوأ الصنائع، نذل لمن لا يقدر لنا على ضر ولا نفع، ونخضع لمن لا يملك لنا رزقاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا، فكيف أزعم أني أعرف ربي حق معرفته، هيهات هيهات، للمعرفة تحقيق، ولكن المؤمن على جملة معرفة التوحيد. وأهل التحقيق للمعرفة هم المجتهدون المجدون لله في طاعته.

اخبرنا محمد في كتابه، حدثنا أحمد بن مسروق، حدثنا محمد بن الحسين حدثني حكيم بن جعفر، قال: سمعت أبا عبد الله البراثي يقول: بالمعرفة هانت على العاملين عبادتهم، وبالرضا عن تدبيره زهدوا في الدنيا ورضوا لأنفسهم بتدبيره، وكان يقول: كرمك سيدي أطعمنا في عفوك، وجودك أطعمنا في فضلك وذنوبنا تؤنسنا من ذلك وتأبى قلوبنا لمعرفتها بك أن تقطع رجاءها منك، فتفضل بها يا كريم وجد بعفوك يا رحيم. وكان يقول: أما بينك وبين ملاقاة السرور ومجالسة الأبرار في كل لذة وحبور، إلا أن تخرج نفسك من بين جبنيك والمولى عنك راض. ثم يبكي ويقول: وأني لنا بالرضا ونحن نعلم ما عندنا من

الخطايا والآثام، ثم يبكي.

أبو شعيب البراثي

ومنهم أبو شعيب البراثي ذو الأحوال العالية من متقدمي شيوخ بغداد.
اخبرني جعفر بن محمد بن نصير –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: كان أبو شعيب البراثي أول من سكن براثي في كوخ يتعبد فيه فمرت بكوخه جارية من بنات الكبار من أبناء الدنيا، كانت ربيت في قصور الملوك فنظرت إلى أبي شعيب فاستحسنت حاله وما كان عليه، فصارت كالأسير له، فعزمت على التجرد عن الدنيا والاتصال بأبي شعيب، فجاءت إليه وقالت: أريد أن أكون لك خادماً. فقال لها: إن أردت ذلك غيري من هيئتك وتجردي عما أنت فيه حتى تصلحي لما أوردت. فتجردت عن كل ما تملكه ولبست لبسة النساك وحضرته فتزوجها، فلما دخلت الكوخ رأت قطعة خصاف وكان يجلس عليها أبو شعيب تقية من الندى. فقالت: ما أنا بمقيمة فيها حتى تخرج ما تحتك لأني سمعتك تقول: إن الأرض تقول: يا ابن آدم تجعل اليوم بيني وبينك حجاباً وأنت غداً في بطني فما كنت لأجعل بيني وبينها حجاباً. فأخذ أبو شعيب الخصاف ورمى به فمكثت معه سنين كثيرة يتعبدان أحسن عبادة وتوفيا على ذلك متعاونين.

بنان البغدادي

ومنهم بنان البغدادي وقيل واسطي سكن مصر، كان بالمعروف أمارا وللديان ذكارا، أمر أمير مصر ابن طولون بمعروف فوجد عليه فأغراه أبو عبد الله القاضي عليه حتى ضربه سبع درر وألقاه إلى السبع فدعا على أبي عبيد الله فحبسه ابن طولون بدل كل درة سنة.
سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت الحسين بن أحمد الرازي يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: كان سبب دخولي مصر حكاية بنان، وذلك أنه أمر ابن طولون بالمعروف فأمر أن يلقى بين يدي السبع فجعل السبع يشمه ولا يضره، فلما أخرج من بين يدي السبع قيل له: ما الذي كان في قلبك حين شمك السبع؟ قال: كنت أتفكر في اختلاف الناس في سؤر السبع ولعابها. واحتال عليه أبو عبيد الله القاضي حتى ضرب سبع درر فقال: حسبك الله بكل درة سنة، فحبسه ابن طولون سبع سنين.
وحكى أبي، عن أبي علي الروذباري، قال: سمعت بناناً يقول: دخلت بادية تبوك فاستوحشت فهتف بي هاتف: نقضت العهد لم تستوحش أليس حبيبك معك؟ سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت بناناً يقول: الحر عبد ما طمع، والعبد حر ما قنع.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول: سمعت الحسين بن عبد الله القرشي يقول: سمعت بنانا يقول: من كان يسره ما يضره متى يفلح.

سمعت أحمد بن عمران الهروي يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت بنانا يقول: إن أفردته بالعبودية أفردك بالعناية، والأمر بيدك إن نصحت صافوك، وإن خلطت خلوك. وإن كانت رؤية الأسباب على الدوام قاطعة عن مشاهدة المسبب، والإعراض عن الأسباب جملة تؤدي بصاحبه إلى ركوب الفواضل.

أسند الحديث: حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا إسحاق بن سلمة الكوفي، حدثنا بنان –بمصر– حدثنا محمد بن الحكم من ولد سعيد بن العاص قال: حدثني محمد بن خفتان، حدثنا يحيى بن أبي بكر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في سعد: اللهم سدد رميته وأجب دعوته .

حدثنا محمد بن عبيد الله بن المرزبان، حدثنا علي بن سعيد، حدثنا بنان الصوفي، حدثنا عبيد الله بن عمرو الجشمي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثنا يحيى بن أبي كثير قال: خطب أبو بكر الصديق فقال: أين الوضأة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم؟ أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب: تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور... الوحا الوحا ثم النجاة النجاة .

إبراهيم الخواص

ومنهم المتبتل المتوكل، تبتل عن الخلق وتوكل على الحق، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص. له في التوكل الحال المشهور والذكر المنشور.

سمعت أبا محمد بكر بن أحمد بن المفيد يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبيد الله الأنصاري يقول: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص يقول: من لم يصبر لم يظفر، وإن لإبليس وثاقين ما أوثقوا بنو آدم بأوثق منهما: خوف الفقر والطمع.

وسمعت أبا بكر يقول: سمعت محمدا يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: من صفة الفقير أن تكون أوقاته مستوية في الانبساط لفقره صائناً له محتالاً لا تظهر عليه فاقة ولا تبدو منه حاجة، أقل أخلاقه الصبر والقناعة، راحته في القلة وتعذيبه في الكثرة، مستوحش من الرفاهات متنعم بالخشونات، فهو بضد ما فيه الخليقة يرى ما هو عليه معتمده وإليه مستراحه، ليس له وقت معلوم ولا سبب معروف، فلا تراه إلا مسرورا بفقره فرحا بضره، مؤنته على نفسه ثقيلة وعلى غيره خفيفة، عز الفقر ويعظمه، ويخفيه بجهده ويكتمه، حتى عن أشكاله يستره. قد عظمت من الله تعالى عليه فيه المنة، وجل قدرها في قلبه من

نعمة، فليس يريد بما اختار الله له بدلا ولا يبغي عنه حولا، فمن نعوتهم اثنتا عشرة خصلة: أولها أنهم كانوا بوعد الله مطمئنين. والثانية من الخلق آيسين. والثالثة عداوتهم للشياطين. والرابعة كانوا من حيث الحق في الأشياء خارجين. والخامسة كانوا على الخلق مشفقين. والسادسة كانوا لأذى الناس محتملين. والسابعة كانوا لمواضع العداوة لا يدعون النصيحة لجميع المسلمين. والثامنة كانوا في مواطن الحق متواضعين. والتاسعة كانوا بمعرفة الله مشتغلين. والعاشرة كانوا الدهر على الطهارة. والحادية عشرة كان الفقر رأس مالهم. والثانية عشرة كانوا في الرضا فيما قل أو كثر وأحبوا أو كرهوا عن الله واحدا. فهذه جملة من صفاتهم، يقصر وصف الواصفين عن أسبابهم. وكان يقول: أربع خصال عزيزة: عالم مستعمل لعلمه. وعارف ينطق عن حقيقة فعله، ورجل قائم لله بلا سبب، ومريد ذاهب عن الطمع. وقال: الحكمة تنزل من السماء فلا تسكن قلباً فيه أربعة: الركون إلى الدنيا، وهم غد، وحب الفضول، وحسد أخ. قال: ولا يصح الفقر للفقير حتى تكون فيه خصلتان: إحداهما الثقة بالله، والأخرى الشكر لله فيما زوى عنه مما ابتلى به غيره من الدنيا. ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له في المنع أفضل من نظره له في العطاء. وعلامة صدقه في ذلك أن يجد للمنع من الحلاوة ما لا يجد للعطاء، لا يعرفه غير بارئه الذي خصه بمعرفته وأياديه، فهو لا يرى سوى مليكه، ولا يملك إلا ما كان من تمليكه، فكل شيء له تابع، وكل شيء له خاضع. قال: وسمعت أبا إسحاق يقول: من أراد الله لله بذل له نفسه وأدناه من قربه، ومن أراده لنفسه من جنانه وأرواه من رضوانه. وقال:

عليل ليس يبرئه الـدواء طويل الضر يفنيه الشفاء
سرائره بواد ليس تـبـدو خفيات إذا برح الخفـاء

صفحة : 1912

اخبرني محمد بن نصير في كتابه وأخبرني عنه أبو الفضل الطوسي قال: بت ليلة مع إبراهيم، فانتبهت فإذا هو يناجي إلى الصباح وهو يقول:

برح الخفاء وفي التلاقي راحة هل يشتفي خل بغير خلـيلـه قال: وسمعت إبراهيم بن أحمد يقول: من لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة له.

سمعت محمد بن أحمد يقول: سمعت أبا بكر الأنصاري يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: علم العبد بقرب قيام الله على العبد يوحشه من الخلق ويقيم له شاهد الأنس بالله. وعلم العبد بأن الخلق مسلطون مأمورون يزيل عنه خوفهم ويقيم في قلبه خوف المسلط لهم.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول:

سمعت الأزدي يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين. وقال إبراهيم: على قدر إعزاز المؤمن لأمر الله يلبسه الله من عزه ويقيم له العز في قلوب المؤمنين، فذلك قوله تعالى: ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين . المنافقون 8 .

وقال إبراهيم: عقوبة القلب أشد العقوبات، ومقامها أعلى المقامات، وكرامتها أفضل الكرامات، وذكرها أشرف الأذكار، وبذكرها تستجلب الأنوار عليها وقع الخطاب وهي المخصوصة والتنبيه والعتاب.

سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول: سمعت محمد بن عبيد الله الأنصاري يقول: سمعت إبراهيم بن أحمد الخواص يقول: الفقير يعمل على الإخلاص وجلاء القلب وحضوره للعمل، والغني يعمل على كثرة الوساوس وتفرقة القلب في مواضع الأعمال. والفقير ضعف بدنه في العمل قوة معرفته وصحة توكله، والفقير يعمل على إدراك حقيقة الإيمان وبلوغ ذروته، والغني يعمل على نقصان في إيمانه وضعف من معرفته. والفقير يفتخر بالله عز وجل ويصول به، والغني يفتخر بالمال ويصول بالدنيا، والفقير يذهب حيث شاء، والغني مقيد مع ماله، والفقير يكره إقبال الدنيا والغني يحب إقبالها، والفقير فوق ما يقول والغني دون ما يقول. والناس رجلان رجل وعبد، فالرجل مهموم بتدبير نفسه متعوب بالسعي في مصلحته، والعبد طرح نفسه في ظل الربوبية وكان من حيث العبودية، وعلى قدر حسن قبول العبد عن الله تكون معونة الله له. والمتوكلون الواثقون بضمانه غابوا عن الأوهام وعيون الناظرين، فعظم خطر ما أوصلهم إليه وجل قدر ما حملهم عليه، وعظمت منزلتهم لديه. فيا طيب عيش لو عقل، ويا لذة وصل لو كشف، ويا رفعة قدر لو وصف، وفي ذلك يقول:

معطلة أجسامهم لا عيونهم ... ترى ما عليهم من قضاياه قد يجري

جوارحهم عن كل لهو وزينة ... محجبة ما أن تمر إلى أمر

فهم أمناء الله في أهل أرضه ... ملوك كرام في البراري وفي البحر

رؤوسهم مكشوفة في بلادهم ... وهم بصواب الأمر أسبابهم تجري

عدول ثقات في جميع صفاتهم ... أرق عباد الله مع صحة السر

هنيئاً لمغبوط يصول بسيد ... يعادل قرب الأمر والبعد في الفكر

فيا زلفة للعبد عند مليكه ... فصار كمن في المهد ربي وفي الحجر

ويا حسرة المحجوب عن قدر ربه ... بأدناسه في نفسه وهو لا يدري

قال: والعارف بالله يحمله الله بمعرفته، وسائر الناس تحملهم بطونهم، ومن نظر الأشياء بعين الفناء كانت راحته في مفارقتها ولم يأخذ منها إلا لوقته. قال: والرزق ليس فيه توكل

إنما فيه صبر حتى يأتي الله به في وقته الذي وعد، وإنما يقوى صبر العبد على در معرفته بما صبر له أو لمن صبر، والصبر ينال بالمعرفة وعلى الصابر حمل مؤونة الصبر حتى يستحق ثواب الصابرين، لأن الله تعالى جعل الجزاء بعد الصبر قال الله تعالى: وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما . البقرة 124 . فالجزاء إنما وقع له عليه السلام بعد ما أتم البلوى.

صفحة : 1913

قال: وسمعت أبا إسحاق يقول: الحركة للمريدين طهارة ولسائر الناس إباحة، وللمخصوصين عقوبة لهم إذا مالوا إلى ما فيه الحظ لأنفسهم، لأن الأسباب إنما تبطئ على العارفين، وتمتنع عن الحركة إليهم لما فيهم من الحركة إليها فإذا فنيت آثارها تحركت إليهم، وأقبل الملك بكليته عليهم. وكفى بالثقة بالله مع صدق الانقطاع إليه حياطة من العبد لنفسه وأهله وولده. وكل مريد يتوجه إلى الله وهموم الأرزاق قائمة في قلبه لا يفلح ولا ينفذ في توجهه.

قال: وسمعت أبا إسحاق يقول: علامة حقيقة المعرفة بالقلب خلع الحول والقوة، وترك التملك مع الله في شيء من ملكه، ودوام حضور القلب بالحياء من الله وشدة انكسار القلب من هيبة الله، فهذه الأحوال دلائل المعارف والحقيقة، فمن لم يكن على هذه الأحوال فإنما هو على الأسماء والصفات.

قال: وسمعته يقول: التوكل على ثلاث درجات: على الصبر والرضى والمحبة، لأنه إذا توكل وجب عليه أن يصبر على توكله لمن توكل عليه، وإذا صبر وجب عليه أن يرضى بجميع ما حكم عليه، وإذا رضي وجب عليه أن يكون محباً لكل ما فعل به موافقة له.

قال الشيخ: كان أبو إسحاق من المحققين في التوكل، المنخلعين من حظوظهم، التاركين لأحكام نفوسهم. فكان الحق يحملهم ويلطفهم بلطائف لطفه؛ من ذلك ما: اخبرنيه عبد الواحد بن بكر حدثني محمد بن عبد العزيز، قال: سمعت أبا بكر الحربي، يقول: قلت لإبراهيم الخواص: حدثني بأحسن شيء مر عليك فقال: خرجت من مكة عن طريق الجادة واعتقدت فيما بيني وبين الله تعالى إلا أذوق شيئاً أو أنظر إلى القادسية، فلما صرت بالربذة إذ أنا بأعرابي يعدو وبيده السيف مسلول وبيده الأخرى قعب لبن، فصاح بي: يا إنسان. فلم ألتفت إليه، فلحقني فقال: اشرب هذا وإلا ضربت عنقك. فقلت: هذا شيء ليس له فيه شيء فأخذت فشربته فلا والله ما عارضني بشيء بعد ذلك إلى أن بلغت القادسية.

وفيما حدث به عبد الواحد بن همام بن الحارث، قال: سمعت إبراهيم الخواص يقول:

ركبت البحر، وكان معي في المركب رجل يهودي فتأملته أياماً كثيرة لا أراه يذوق شيئاً ولا يتحرك ولا ينزعج من مكانه ولا يتطهر ولا يشتغل بشيء وهو ملتف بعباء مطروح في زاوية ولا يفاتح أحداً ولا ينطق، فسألته وكلمته فوجدته مجرداً متوكلاً يتكلم فيه بأحسن كلام ويأتي بأكمل بيان. فلما أنس بي وسكن إلي قال لي: يا أبا إسحاق إن كنت صادقاً فيما تدعيه فالبحر بيننا حتى نعبر إلى الساحل –وكنا في اللجج– فقلت في نفسي: واذلاه إن تأخرت عن هذا الكافر، فقلت له: قم بنا، فما كان بأسرع بأن زج بنفسه في البحر ورميت بنفسي خلفه فعبرنا جميعاً إلى الساحل، فلما أن خرجنا قال: يا إبراهيم، نصطحب على شريطة ألا نأوي المساجد ولا البيع ولا الكنائس ولا العمران فنعرف. فقلت: لك ذلك، حتى أتينا مدينة فأقمنا على مزبلة ثلاثة أيام فلما كان يوم الثالث أتاه كلب في فمه رغيفان فطرحهما بين يديه وانصرف فأكل ولم يقل لي شيئاً، ثم أتاني شاب ظريف نظيف حسن الوجه والبزة طيب الرائحة ومعه طعام نظيف في منديل فوضعه بين يدي وقال لي: كل، وغاب عني فلم أر له أثراً، فقلت لليهودي: هلم. فلم يفعل، ثم أسلم وقال لي: يا إبراهيم أصلنا صحيح إلا أن الذي لكم أحسن وأصلح وأظرف. وحسن إسلامه وصار أحد أصحابنا المتحققين بالتصوف.

حدثنا عبد الواحد، حدثنا أحمد بن العلاء، قال: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت إبراهيم الخواص وقد سأله بعض أصحابنا وهو يتأوه: ما هذا التأوه؟ فقال: أوه، كيف يفلح من يسره ما يضره؟ ثم أنشأ يقول:

تعودت مس الضر حتى ألفته وأحوجني طول البلاء إلى الصبر
وقطعت أيامي من الناس آيساً لعلمي بصنع الله من حيث لا أدري

وذكر خير النساج، قال: قال لي إبراهيم الخواص: عطشت عطشاً شديداً بالحاجز فسقطت من شدة العطش، فإذا أنا بماء قد سقط على وجهي وجدت برده على فؤادي ففتحت عيني فإذا أنا برجل ما رأيت أحسن منه قط على فرس أشهب عليه ثياب خضر وعمامة صفراء وبيده قدح –أظنه قال من ذهب أو من جوهر– فسقاني منه شربة وقال لي: ارتدف خلفي، فارتدفت، فلم يبرح من مكانه حتى قال لي: ما ترى؟ قلت: المدينة. قال: انزل واقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام وقل له: أخوك رضوان يقرأ عليك السلام.

صفحة : 1914

يحكى عن أبي إسحاق لطائف من صنع الله للمتحققين المخلصين في التوكل اقتصرنا منها على ما ذكرنا. ومن وثق بالله وسكن إلى ضمانه فيما ضمن من الكفاية فالألطاف

.عنه لا تنقطع، ومواد نعمه عليه غير ممتنع

أبو عبد الله خاقان

ومنهم من يسبى بسره الفتيان، ويجذب بدعوته من الخسران إلى الرجحان، وكان ذا بيان وبرهان،، أبو عبد الله خاقان.

سمعت والدي، قال: سمعت جعفر الحذاء الشيرازي يقول –وذكر خاقان– فقال: إنه كان صاحب آيات وكرامات. وذكر أن ابن فضلان الرازي قال: كان أبي أحد الباعة ببغداد، وكنت على سرير حانوته جالساً فمر إنسان فظننت أنه من الفقراء البغداديين –وأنا حينئذ لم أبلغ الحلم– فجذب قلبي وقمت إليه وسلمت عليه، ومعي دينار فدفعته إليه فتناوله ومضى ولم يقبل علي، فقلت في نفسي: ضيعت الدينار، فإنه مهوس، فتبعته حتى انتهى إلى مسجد الشونيزية، فرأى فيه ثلاثة من الفقراء فدفع الدينار إلى أحدهم واستقبل هو القبلة يصلي، فخرج الذي أخذ الدينار وأنا أتبعه وراءه أراقبه، فاشترى طعاماً وحمله، فأكله الثلاثة، والشيخ مقبل على صلاته يصلي. فلما فرغوا أقبل عليهم فقال: أتدرون ما حبسني عنكم? قالوا: لا، أستاذ، قال: شاب ناولني الدينار فكنت أسأل الله أن يعتقه من رق الدنيا، وقد فعل. فلم أتمالك أن قعدت بين يديه وقلت: صدقت يا أستاذ. فلم أرجع إلى والدي إلا بعد حجتين، وكان هذا الشيخ خاقان.

إبراهيم المارستاني

.ومنهم المعلم المفهم، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المارستاني

كان الجنيد له مؤاخياً، وعليه حامياً وحانياً. وذلك أن الجنيد بلغه أن بعض المتأولين زين له تأويلاً فمال إليه فكتب إليه الجنيد رسالة :

صفحة : 1915

اخبرنا بها أبو بكر محمد بن أحمد بن المفيد وحدثنا بها عنه أبو عمرو العثماني، حدثنا عبد الصمد بن محمد الجبلي قال: كتب الجنيد إلى إبراهيم بن أحمد المارستاني رسالة فيها: يا أبا إسحاق، لا ضيع الله ميلي إليك، ولا إقبالي عليك، أنا عليك عاتب واجد، ولما تقدم من فعلك غير حامد، أرضيت أن تكون لبعض عبيد الدنيا عبداً? أو يكون بطاعتك له عليك مهيمناً ورباً، يتخولك ببعض ما يعطيك، ويمتهنك بيسير ما يزريك، مبتذلاً لك، ثم يدنسك بأوساخ وضره، ويجتذبك بمأثور ضرره? فسبحان من بسط إليك به رحمته ورأفته فاستنقذك بذلك من وبال ما اخترته لنفسك وملت إليه، لقد كدت أن تغرق في خلجان بحرها، أو تهلك في بعض مفاوزها. ولقد أوجب علي من الشكر لما جدد من النعمة عليك

ووهب لي من السلامة فيك، مالا أقوم به عجزاً عن واجب حقه إلا أن يقوم به لي عني، وأنا أسأل المنان المتطول بفضله المبتدي بكرمه وامتنانه، أن يقوم لي عني بما قصر له بي شكري، بادئاً في ذلك بالحمد والجود كما هو أهله، بل ما لا أحصيه من نعمه، فليت شعري أبا إسحاق كيف معرفتك بما جدد لك من نعمه وآلائه، وزوى عنك من عطب فرط بلائك، وكيف علمك بعد معرفتك فيما ألزمك المنعم عليك والمنان بفضله وإحسانه فيما أسدي إليك. ألك ليل ترقده، أم نهار تمهده، أم مستراح عن الجد تجده، أم طعام تعهده، أم سبب من الأسباب دون ذلك تقصده؟ على أن ذلك غير نائب عنك في وجوب حق النعمة عليك فيما جدد به من عتيد البر لديك، لكنه الغاية الممكنة من فعلك، والاجتهاد في بلوغ الأجر من عملك، فكن له بأفضل ما هيأ لك عاملاً، فإن ذلك يسير من كثير وجب له عليك. وعد، يا أخي فاحذر ميل التأويل عن الحقائق، وخذ لنفسك بأحكم الوثائق. فإن التأويل كالصفاء الزلال الذي لا تثبت عليه الأقدام، وإنما هلك من هلك من المنسوبين إلى العلم والمشار إليهم بالفضل بالميل إلى خطأ التأويل واستيلاء ذلك على عقولهم، وهم في ذلك على وجوه شتى، وإني أعيذك بالله وأستعينه لك، وأعيذك به من ذلك كله، وأسأله أن يجعل عليك جنة من جنته، وواقية من واقيته وإحسانه. وبعد يا أخي، كيف أنت في ترك مواصلة من عرضك للتقصير ودعاك إلى النقص والفتور؟ وكيف ينبغي أن تكون مباينتك له وهجرانك، وكيف إعراض سرك ونبو قلبك وعزوف ضميرك عنه؟ وحقيق عليك ما وهبه الله لك وخصك به من العلم الجليل والمنزل الشريف أن تكون عن المقبلين على الدنيا معرضاً، وأن تكون في بلائهم إلى الله شافعاً، فذلك بعض حقك لك، وحري بك أن تكون للمذنبين ذائداً، وأن تكون لهم بفهم الخطاب إلى الله رائداً، وفي استنقاذهم وافداً، فتلك حقائق العلماء، وأماكن الحكماء. وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعباده، وأعمهم نفعاً لجملة خلقه. جعلنا الله وإياك من أخص من أخلصه بالإخلاص إليه وأقربهم في محل الزلفى لديه.

سمعت أبا الحسن بن مقسم يحكي، عن أبي محمد الجريري، قال: سمعت أبا إسحاق المارستاني يقول: رأيت الخضر عليه السلام فعلمني عشر كلمات –وأحصاها بيده– اللهم إني أسأل الإقبال عليك، والإصغاء إليك، والفهم عنك، والبصيرة في أمرك، والنفاذ في طاعتك، والمواظبة على إرادتك، والمبادرة في خدمتك، وحسن الأدب في معاملتك، والتسليم والتفويض إليك.

أبو جعفر المجذوم

ومن الأتقياء الأبرياء، والضعفاء الأقوياء، الأخفياء الأولياء المجذوم أبو جعفر. كان مسكيناً خاضعاً، فكان الحق له معيناً صانعاً.

سمعت أبا الفضل أحمد بن عمران الهروي يقول: سمعت منصور ابن عبد الله يقول: سمعت أبا الحسين الدراج يقول: كان يصحبني كل سنة حججت جماعة من المشاة من الفقراء وغيرهم –لمعرفتي بالطرق والمياه– فكنت أتولى القيام بأمرهم فعزمت سنة من السنين أن أحج منفرداً لا يصحبني أحد ولا أصحب أحداً فخرجت فدخلت مسجد القادسية فرأيت رجلاً مجذوماً مبتلى في المحراب فسلم علي وقال: يا أبا الحسين عزمت الحج فأجبته مغتاظاً عليه فقلت: نعم. فقال لي: فالصحبة فقلت في نفسي: هربت من الأصحاء الأقوياء أبتلي بمجذوم مبتلي، فقلت لا. فقال لي: افعل، فقلت: والله لا فعلت. فقال لي: يصنع الله للضعيف حتى يتعجب القوي. فقلت نعم –كالمنكر عليه– فتركته فصليت العصر ومشيت نحو المغيثة فبلغتها من الغد ضحوة فدخلت مسجدها فإذا الشيخ جالس في المحراب فسلم علي وقال لي: يا أبا الحسين، يصنع الله بالضعيف حتى يتعجب القوي. فاعترضني الوسواس في أمره ولم أجلس وغدوت ماشياً حتى بلغت القرعاء مع الصبح فدخلت المسجد فإذا بالشيخ قاعد فقال لي: يا أبا الحسين يصنع الله بالضعيف حتى يتعجب القوي. قال: فبادرت إليه ووقعت على وجهي بين يديه، وقلت: المعذرة إلى الله وإليك. فقال لي: مالك؟ قلت: أخطأت. قال: وما هو؟ قلت؟ الصحبة، قال: قد حلفت وأكره أن أحنثك. قلت: فأراك في كل منزل؟ قال: هذا نعم. قال: فطار عني ما كان من التعجب والجزع، وما كان بي إلا أن يجمعني وإياه المنازل، فكنت ألقاه في المنازل إلى أن بلغت الدمينة فغاب عني فلم أره، فلما قدمت مكة ذكرت ذلك لمشايخنا أبي بكر الكتاني وأبي الحسن المزين وغيرهما، فاستحمقوني وقالوا: ذاك أبو جعفر المجذوم، ما منا أحد إلا ويسأل الله رؤيته ولقاءه منذ كذا. فقلت: قد كان ذاك، فقالوا: إن لقيته فتلطف له وأعلمنا لعلنا نراه. فقلت: نعم. فطلبته بمنى وعرفات فلم أره، فلما كان يوم النحر وأنا أرمي الجمرة جذبني إنسان وقال: السلام عليك أبا الحسين. فنظرت فإذا هو، فلحقني من رؤيته أن صحت وغشى علي وسقطت فذهب، فقصدت مسجد الخيف وأخبرت أصحابي فعاتبوني. فكنت أصلي يوم الوداع خلف المقام ركعتين رافعاً يدي فجذبني إنسان من خلفي فالتفت فقال: يا أبا الحسين عزمت عليك أن لا تصيح. فقلت: نعم، لكن أسألك الدعاء لي. فقال: سل ما شئت. فسألت الله ثلاثاً فأمن على دعائي وغاب عني فلم أره. قال منصور: فسألت أبا الحسين الدراج عن سؤالاته قال: أحدها قلت: رب حبب إلي الفقر. فليس شيء أحب إلي منه، والثاني قلت: اللهم لا تجعلني أبيت عندي ما أدخره لغد، فأنا من تلك السنة أبيت وليس لي شيء أدخره. والثالثة قلت: اللهم إذا أذنت لأوليائك في النظر إليك فارزقني ذلك واجعلني منهم. فأنا أرجو أن يمن الله على بالثالثة إن شاء الله.

أبو عبد الله المغربي

ومنهم أبو عبد الله المغربي. كان من المعمرين. صحب علي بن رزين، قيل إنه توفي عن مائة وعشرين سنة وقبره بجبل طور سينا، عند قبر أستاذه علي بن رزين. كان من المحققين له النكت الوثيقة والاستغاثة على الطريقة.

سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد بن دينار الدينوري –بمكة– يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: سمعت أبا عبد الله المغربي يقول: أهل الخصوص مع الله على ثلاث منازل: قوم ضن بهم عن البلاء لكيلا يستغرق البلاء صبرهم فيكرهون حكمه ويكون في صدورهم حرج من قضائه. وقوم صب عليهم البلاء صبا فصبرهم ورضاهم، فازدادوا بذلك له حباً ورضى بحكمه. وله عباد منحهم نعماً تجدد عليهم وأسبغ عليهم باطن العلم وظاهره وأحمل ذكرهم. وكان يقول: أفضل الأعمال عمارة الأوقات في الموافقات. وكان يقول: الفقير الذي لا يرجع إلى مستند في الكون غير الالتجاء إلى من إليه فقره ليغنيه بالاستغناء به كما عززه بالافتقار إليه. وقال: أعظم الناس ذلا فقير داهن غنياً أو تواضع له. وأعظم الخلق عزاً غني تذلل لفقير أو حفظ حرمته. وقال: الراضون بالفقر هم أمناء الله في أرضه، وحجته على عباده، بهم يدفع البلاء عن الخلق.

وأنشدني محمد بن الحسين قال: أنشدني الورثاني لأبي عبد الله المغربي:

يا من يعد الوصال ذنبا ... كيف اعتذاري من الذنوب

إن كان ذنبي إليك حبي ... فإنني منه لا أتوب

عبد الرحيم بن عبد الملك

صفحة : 1917

ومنهم عبد الرحيم بن عبد الملك: كان من المحققين الواثقين. صحب المتقدمين من أصحاب السري وبشر.

ذكر لي أبو بكر المفيد، عن إبراهيم الخواص قال: دخلت مسجد التوبة فرأيت عبد الرحيم مستنداً إلى سارية، فقلت للقيم: متى قعد هذا الرجل ههنا؟ فقال: اليوم ثلاثة أيام قاعداً على ما تراه، لم يخرج ولم يتكلم. فقعدت بحذائه، فلما أمسينا قلت له: أي شيء حتى أحمله ونأكل؟ فسكت عني فكررت عليه فقال: أريد مصلية معقدة وخبزاً حاراً. فخرجت إلى باب الشام فطلبت ذلك فلم أجده، فعاتبت نفسي وقلت: يا فضولي من دعاك إلى أن تستدعي شهوته؟ لو اشتريت خبزاً وإداماً وحملت استغنيت عن ذلك. ورجعت مغتماً إلى المسجد، فإذا رجل يدق باب المسجد فقلت: من؟ فقال: افتح، ففتحت فإذا علج برأسه

زنبيل فحطه وقال لي: أسألك أن يأكل أهل المسجد من هذا الطعام. فأخرج منه خبزاً حاراً ومصلية معقدة في قدر، فبهت وقلت لا نمسه حتى تخبرني به. فقال: أنا رجل صانع واشتهيت مصلية معقدة وخبزاً حاراً فاشتريت اللحم وما يصلحه، وأمرتهم بطبخه وأن يخبزوا خبزاً حاراً وجئت العتمة من الدكان. وبعد ما فرغ منه ما كان خبز الخبز، فحلفت بالطلاق أن لا يأكل من هذا الخبز أو المصلية أحد إلا من في مسجد التوبة، فأحب أن تأكلوه. قال إبراهيم: فرفعت رأسي، وقلت: يا سيدي أنت أردت أن تطعمه لم غممتني في الوسط؟

محمد السمين

ومنهم الفاتك الأمين، القوي المكين، المعروف بمحمد السمين.

اخبرني جعفر بن محمد في كتابه وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: قال محمد السمين: كنت في وقت من أيامي محمولاً أعمل على الشوق وأنا أجد من ذلك وأنا مستقبل، فخرج الناس في غزاة وخرجت معهم فاشتدت شوكة الروم على المسلمين والتقوا، ولحق المسلمين من ذلك خوف لكثرتهم، فرأيت نفسي مروعاً تضطرب، فكبر ذلك علي فوبخت نفسي ألومها وأقول لها: أين ما كنت تدعينه من الشوق؟ وأعاتبها أقول لها: لما ظفرت بما كنت تؤملين تغيرت واضطربت؟ فبينا أنا في عتابي وتوبيخي لها وقع لي أن أنزل إلى هذا البحر، وأغتسل وبحضرتنا نهر من أنهار الروم فخلعت ثيابي واتزرت ودخلت البحر فاغتسلت فأعطيت قوة وذهب عني الروع والاضطراب بتلك القوة واشتدت بي العزيمة فخرجت ولبست ثيابي وأخذت سلاحي وأتيت الصف فحملت حملة لا أحس من نفسي شيئاً، فخرقت صفوف المسلمين وصفوف الروم وصرت من وراء صفوف الروم، فكبرت تكبيرة فسمع العدو وتكبيرتي وقدروا أن كميناً للمسلمين قد خرج عليهم من ورائهم فولوا منهزمين، وحمل عليهم المسلمون فقتل منهم نحو أربعة آلاف رجل، وجعل الله ذلك التكبير سبباً للفتح والنصر.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت محمد بن الحسن البغدادي يقول: سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول: سمعت مؤملاً المغازلي يقول: كنت أصحب محمد السمين فسافرت معه حتى بلغنا ما بين تكريت وموصل، فبينا نحن في برية نسير إذ زأر السبع من قريب فجزعت وتغيرت وظهر ذلك على صفتي، وهممت أبادر، فضبطني محمد، وقال: يا مؤمل، التوكل ههنا ليس في مسجد الجامع.

محمد بن سعيد القرشي

ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد القرشي. ذو البيان الشافي واللسان الموافي.

صفحة : 1918

سمعت أبا عمرو عثمان بن محمد العثماني يقول: قال أبو عبد الله القرشي –في كتابه شرح التوحيد في نعت المتحقق بالله في وجده به: إن لله عباداً اختارهم من خلقه واصطفاهم لنفسه، وانتخبهم لسره، وأطلعهم على غامض وحيه ولطيف حكمته، ومخزون علمه، أبانهم عن أوصافهم المنتشئة عن طبائعهم، ولم يردهم إلى علومهم المردودة إلى استخراجهم بحكم عقولهم، ولم يخرجهم إلى المرسوم من حكمة حكمائهم، بل كان هو لسانهم الذي به ينطقون، وبصرهم الذي به يبصرون، وأسماعهم التي بها يسمعون، وأيديهم التي بها يبطشون، وقلوبهم التي بها يفكرون، وبه في جميع أوصافهم يتصرفون. بائن عن الحلول في ذواتهم وأبدان الأشياء فيما بينه وبينهم. قهر كل موجود، وغمر كل محدود، وأفنى كل محدود، وأفنى كل معهود. ظهر لأهل صفوته فلم يعترضهم الشك في ظهوره، وحققهم به فلم يطلبوا الإدراك في تحصيله، ألبس حقائقهم لبسة البقاء، وأشهدهم نفسه بعد الفناء. فلم يجعل للعلم إلى كيفيته سبيلا، ولا إلى نعت ذلك تمثيلا، بل جعل في الأصول وحكم العقول على صحة ذلك علماً ودليلا، ليهديه الحق إلى ذي العقل الأصيل، والسالك في الوجه الجميل، وذلك قول السيد الجليل في ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: ما زاغ البصر وما طغى . النجم 17 . وقوله: ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى . النجم 11: 13 . فقال ابن عباس –وهو من المختصين بالحكمة في التنزيل– وأسماء بنت أبي بكر: إن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه.

وكذلك رواه أنس وغيره. وأقول في ذلك:

لنعت لحاظ العين إن كان لحظها إلى وصفها حقاً يليق ويرجع
وأثبت لحظ العين منك بلبسة إلهية يعني بها الطبع أجمع
فأشهدنا ما لا يجد ظهوره وليس له علم به اللفظ يصدع
فلم يعترضها الشك فيما تحققت ولم يبق منها ما يشك ويجزع
كذا من بجمع الحق كان ظهوره يخلصه من طبعه ثم يجمع اخبرنا عبد الواحد بن بكر، قال: حدثني أحمد بن سعيد، قال: سمعت أبا عبد الله القرشي وسئل عن البكاء الذي يعتري العبد من أي وجه يعتريه؟ فقال: الباكي في بكائه مستريح إلى لقائه، إلا أنه منقطع راجع عما كان بينه وبينه، فدخل عليه استراحة وشفاء ثم أنشأ يقول:

بكيت بعين ليس تهدي دموعها وأسعدها قلب حزين متيم
فنوديت كم تبكي فقلت لأنني فقدت أوانا كنت فيه أكلم
وكان جزائي منكم غير ما أرى فقد حل بي أمر جليل معظم

فقال كذا من كان فينا بحظـه إذا لحظ وصف قد يبيد ويعدم
ولكننا لا نشتكي ضر ما بـنـا ونستره حتى يبين فـيعـلـم قال: وسمعت أبا عبد الله القرشي وسئل عن شرط الحياء، فقال: شرط الحياء موافقة من أنت منوط بمعونته، فإذا استولى عليك من مشهد الحياء عين المشاهدة رجعت إليه به.

علي السامري

ومنهم القارئ التالي الساري إلى المعالي الموافق للباري، علي بن الحسين السامري: ثابت في قصده واف بعهده.

سمعت محمد بن أحمد بن إبراهيم يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: ذكر عمر بن ملكان، عن أبيه قال: كان بيني وبين علي السامري مؤاخاة، فلما قبض كنت أتمنى مدة أن أراه فأعلم حاله عند الله، فرأيته في بعض الليالي في زينة حسنة وهيئة جميلة وقد غمض إحدى عينيه فقلت له: يا أخي عهدي بك ولم يكن بعينك بأس، فارقتنا وعيناك صحيحتان فما بال التي أغمضتها؟ قال: اعلم أني كنت في بعض الليالي أقرأ كتاب الله فمرت بي آية وعيد فأشفقت هذه –يعني عينه الناظرة– فبكت، وقنطت هذه فأمسكت، فلما أفقت عاتبتها فقلت لها: ما بالك لم تشفقي شفقة أختك هذه؟ وقلت لها في عتابي لها: وحبي لمحبوبي لئن أباحني منه مناي لأمنعنك مالك منه. فغمضتها عند ذلك وفاء بما قلت. فقلت له: يا أخي فهل قلت في ذلك شيئاً؟ فأنشأ يقول:

بكت عيني غداة البين حزنا وأخرى بالبكا بخلت علينا
فجازيت التي جادت بدمع بأن أقررتها بالحب عينـا
وعاقبت التي بخلت بدمـع بأن غمضتها يوم التقينـا

أبو جعفر الحداد

صفحة : 1919

ومنهم أبو جعفر الحداد، المتشمر في التزود والاجتهاد، صحب أبا تراب وأكابر العباد. اخبرني عبد الواحد بن بكر، حدثنا محمد بن عبد العزيز قال: حدثني أبو عبد الله الحضرمي قال: مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل في كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم، ثم يخرج من بين الصلاتين –المغرب والعشاء– فيتصدق ما يفطر عليه من الأبواب.

وكان يقول: الفراسة هي أول خاطر فلا معارض، فإن اعترض فيها معارض بشيء يزيل المعنى فليست بفراسة، فإن ذلك خاطر أو محادثة النفس. وحكى عنه أحمد بن النعمان

أنه قال: كنت جالساً على بركة بالبادية فيها ماء وقد مر على ستة عشر يوماً لم آكل ولم أشرب، فانتهى إلي أبو تراب فقال لي: ما جلوسك ههنا؟ فقلت: أنا بين المعرفة والعلم أنتظر ما يغلب علي فأكون معه. فقال أبو تراب: سيكون لك شأن. وحكى عنه أبو الحسين العلوي، قال: قال أبو جعفر: إذا رأيت ضر الفقير على ثوبه فلا ترج خيره.

أبو جعفر الكبير وأبو الحسن الصغير

ومنهم المعروفان بالمزينين: الكبير أبو جعفر، والصغير أبو الحسن. جاروا الحرم سنين عدة، وماتا بمكة، كانا جميعاً من الاجتهاد متمتعين، وبالعبادة متنعمين.

سمعت والدي يقول: سمعت أبا جعفر المزين الكبير يقول: سمعت أن الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم ولكن بقدر عظمته، ولم يؤمن الخائفين بقدر خوفهم ولكن بقدر جوده وكرمه، ولم يفرح المحزونين بقدر حزنهم ولكن بقدر رأفته ورحمته.

سمعت أبا جعفر الخياط الأصبهاني –بمكة– يقول: سمعت أبا جعفر المزين يقول: محنتنا وبلاؤنا صفاتنا، فمتى فنيت حركات صفاتنا أقبلت القلوب منقادة للحق منصرفة لحالها.

سمعت أحمد بن أبي عمران الهروي يقول حكى أبو نصر الهروي، قال: سمعت أبا الحسن المزين الصغير يقول: دخلت البادية عن التجريد حافيا أشد تجريدا مني، فجذبني إنسان من ورائي وجعل يقول: يا حجام كم تحدث نفسك بالأباطيل؟ فردني إلى المحسوسة.

سمعت عبد المنعم بن عمر يقول: سمعت المرتعش يقول: قال أبو الحسن المزين: إن الذي عليه أهل الحق في وحدانية الله تعالى غير مفقود فيطلب ولا ذو غاية فيدرك. فمن أدرك موجودا معلوما فهو بالموجود مغرور والموجود عندنا معرفة حال وكشف علم بلا حال، لأن الحق باق بصفة الوحدانية التي هي نعت ذاته، وليس كمثله شيء وهو شيء ليس كالأشياء. والتوحيد هو أن تفرده بالأولية والأزلية دون الأشياء، جل ربنا عن الأكفاء والأمثال.

أبو أحمد القلانسي

ومنهم الحفي المؤانسي، أبو أحمد القلانسي، كان ذا فتوة كاملة ومروءة شاملة.

اخبرنا عبد المنعم بن عمر –فيما قرأت عليه– قال: سمعت أبا سعيد بن الأعرابي يقول: سمعت محمد بن علي الكتاني يقول: قال منبه البصري: سافرت مع أبي أحمد القلانسي فجعنا جوعاً شديداً ففتح علينا بطعام فآثرني به، وكان معنا سويق فقال لي كالمازح: تكون جملي؟ فقلت: نعم. فكان يوجرني ذلك السويق، يحتال بذلك ليوصله إلي ويؤثرني على نفسه.

وروي عن أبي أحمد قال: دخلت على قوم من الفقراء بالبصرة فأكرموني فقلت لبعضهم

ليلة: أين إزاري؟ فسقطت من أعينهم. وقيل لأبي أحمد القلانسي: علام بنيت المذهب؟ قال: على ثلاث خصال لا نطالب أحدا من الناس بواجب حقنا، ونطالب أنفسنا بحقوق الناس، ونلزم التقصير أنفسنا في جميع ما نأتي. وكان من دعائه لإخوانه لا جعلنا الله وإياكم ممن يكون حظه الأسى والأسف على مفارقة الدنيا، وجعل أحب الأوقات إلينا وإليكم يوم اللقاء الذي يكون فيه دوام البقاء. وكان يقول: العبد مأخوذ عليه أن يراعي ظاهر الأعمال وباطنها، فظاهرها بذل المجهود وخلع الراحة واحتمال مكاره النفس، والزهد في فضول الدنيا. وباطن الأعمال التقوى والورع الصادق والصدق والصبر والرضا والتوكل والمحبة له وفيه والإيثار له وإجلال مقامه والحياء منه وحسن موافقته وإعزاز أمره. فهذه الأعمال الظاهرة والباطنة مطايا العابدين ونجائبهم، وعليها يسيرون إلى الله ويسابقون بها إلى ثوابه وينزلون بها في قربه.

أبو سعيد القرشي

ومنهم أبو سعيد القرشي. كان بالعلل والآفات عارفا، وعنها ناهيا وواقفا.

صفحة : 1920

اخبرنا أبو الفرج بن بكر، قال: سمعت همام بن الحارث يقول: سمعت أبا سعيد القرشي يقول: قلوب أهل الهوى سجون أهل البلاء، فإذا أراد الله أن يعذب البلاء حبسه في قلوب أهل الهوى فيضج إلى الله بالاستغاثة والخروج منها، من حر أجواف أهل الهوى.
قال: وسمعت أبا سعيد يقول: الحرص موصول بالطمع، والطمع موصول بالأمل، والأمل موصول بالشهوة، والشهوة موصولة بالشبهة، والشبهة موصولة بالحرام، والحرام موصول بالنار، قال تعالى: واتقوا النار التي أعدت للكافرين . آل عمران 131 .

أبو يعقوب الزيات

ومنهم أبو يعقوب الزيات، خلع الراحة والسبات، احترازا من الفجيعة بالبيات.
اخبرنا جعفر بن محمد بن نصير –في كتابه– قال: سمعت الجنيد ابن محمد يقول: قصدت أبا يعقوب الزيات في جماعة من أصحابنا فاستأذنا عليه، فقال: من؟ فقلت: الجنيد وجماعة. ففتح لنا وقال: لم يكن لكم من الشغل بالحق ما يقطعكم عن المجيء إلي؟ فقلت له: إذا كان قصدنا إليك من شغلنا بالحق نكون عنه منقطعين. فسألت في التوكل فأخرج درهماً كان عنده ثم أجابني وأعطى المسألة حقها. ثم قال: كان الحياء يحجزني عن الجواب وعندي شيء. فقلت: ما قولك في رجل يرجع إلى فنون من العلم يحسن أن يصف صفات الحق وصفات الخلق للخلق، ترى له مجالسة الناس؟ قال: إن كنت أنت فنعم وإلا

فلا.

وحكى عنه أبو سعيد الخزاز قال: حضرت أبا يعقوب الزيات وقال لمريد: تحفظ القرآن؟ فقال لا. فقال: واغوثاه بالله، مريد لا يحفظ القرآن كأترجة لا ريح لها، فبم يتنغم؟ فبم يترنم؟ فبم يناجي ربه؟ أما علمت أن عيش العارفين سماع النغم من أنفسهم ومن غيرهم؟

أبو جعفر الكتاني

ومنهم أبو جعفر الكتاني. كان بذكره متنعماً، ولساعاته مغتنماً، جاور الحرم سنتين. ومكن من الخدمة للمقام المكين.

سمعت عبد الواحد بن أحمد الهاشمي يحكي عن أبي عبد الله بن خفيف وأخبرنيه -في كتابه- قال: سألت أبا جعفر الكتاني: كم مرة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام؟ فقال: كثير. فقلت: يكون ألف مرة فقال لا. فقلت: فتسعمائة؟ فقال لا. قلت: فثمانمائة مرة؟ فقال لا قلت: فسبعمائة مرة فقال بيده هكذا -أي قريبا منه- وكان له كل يوم ختمة يختمها مع الزوال والمؤذنون يؤذنون للظهر إذا ختم فصعد غرفته يوماً للتطهر -وكان قد كف بصره- فوقع في المستحم وانكسر رجله ولم يكن بالقوي فيصيح فتأخر رجوعه إلى المسجد حتى كادت الصلاة يفوت وقتها، فتعرف المؤذنون والمجاورون حاله فصعدوا غرفته فوجدوه قد انكسر رجله، فأصلحوا من شأنه ونظفوه ونزلوه به حتى صلى فمنعته علته عن زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك السنة، فخرج بعض أصحابه زائرا فدفع إليه رقعة وأمره أن يلقيها في القبر فافتقد صاحبه الرقعة من جيبه فرأى من ليلته النبي صلى الله عليه وسلم في نومه فقال: يا أبا جعفر وصلت الرقعة وقد عذرناك.

وحدثنا عبد الواحد بن بكر، قال: سمعت همام بن الحارث، يقول: سمعت الكتاني يقول: إني لأعرف من اشتكت عينه فاعتقد فيما بينه وبين الله أن لا ترجع إلى شيء من منافع نفسه ومصالحه أو تبرأ عنه، فعوفي فهتف به هاتف فقال: يا هذا لو عقدت هذا العقد في المذنبين الموحدين أن لا يعذبوا لعفي عنهم ورحموا. فانتبه فإذا عينه صحيحة ليس بها علة.

أبو بكر الزقاق

ومنهم أبو بكر الزقاق. كان مؤيدا بالألطاف والأرفاق.

سمعت أبا الفضل أحمد بن أبي عمران الهروي يقول: سمعت محمد ابن داود الرقي يقول: سمعت أبا بكر الزقاق يقول: كان سبب ذهاب بصري أني خرجت في وسط السنة أريد مكة وفي وسطي وعلى كتفي نصف جل، فرمدت إحدى عيني فمسحت الدموع بالجل فقرح المكان فكانت الدموع والدم يسيلان من عيني وقرحتي، وأنا من سكر إرادتي

لم أحس به، وإذا أثرت الشمس في يدي قلبتها ووضعتها على عيني، رضاء مني بالبلاء، وكنت في التيه وحدي، فخطر بقلبي أن علم الشريعة يباين علم الحقيقة. فهتف بي هاتف من شجر البادية: يا أبا بكر، كل حقيقة لا تتبعها شريعة فهي كفر.

صفحة : 1921

سمعت أبا سعيد القلانسي يقول: قال أبو علي الروذباري يحكي عن أبي بكر الزقاق، قال: بقيت بمكة عشرين سنة، وكنت أشتهي البن فغلبتني نفسي فخرجت إلى عسفان واستضفت حياً من أحياء العرب، فوقفت علي جارية حسناء فنظرت إليها بعيني اليمنى فأخذت بقلبي، فقلت لها: قد أخذ كلى كلك فما في لغيرك فضل. فقالت: يا شيخ بك تقبح الدعاوى العالية، لو كنت صادقاً لذهبت عنك شهوة اللبن. فقلعت عيني التي نظرت بها إليها. فقالت: مثلك من نظر لله. فرجعت إلى مكة فطفت سبعاً فرأيت في منامي يوسف الصديق عليه السلام فقلت له: يا نبي الله أقر الله عينك بسلامتك من زليخا فقال: يا مبارك بل يقر الله عينك بسلامتك من العسفانية، ثم تلا يوسف: ولمن خاف مقام ربه جنتان . الرحمن 46 . فصحت من رخامة صوت يوسف وقراءته فأفقت، وإذا عيني المقلوعة صحيحة. وكان يقول: ليس السخاء عطية الواحد للمعدوم، إنما السخاء عطية المعدوم للواحد، وكان يقول: منذ ثلاثين سنة ما عقدت عقدة واحدة مع الله خوف أن لا أفي به فيكذبني على لساني.

أبو عبد الله الحضرمي

ومنهم أبو عبد الله الحضرمي. كان للعلائق مفارقا، وبالحقائق ناطقا.

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت المرتعش يقول: سألت أبا عبد الله الحضرمي عن التصوف –وكان منذ عشرين سنة صمت عن الكلام– فأجابني من القرآن فقال: رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . الأحزاب 23 . فقلت: فأين محلهم من الأحوال؟ قال: في مقعد صدق عند مليك مقتدر . القمر 55 . قلت: زدني، قال: إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . الإسراء 36 .

عبد الله الحداد

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الرازي يعرف بالحداد. كان عن حظه حائدا، ولمشهوده شاهدا.

سمعت نصر بن أبي نصر العطار الصوف يقول: سمعت محمد بن داود الدينوري يقول: قال عبد الله بن الحداد: العبودية ظاهرا والحرية باطنا من أخلاق الكرام. وقال: العبادة

يعرفها العلماء، والإشارة يعرفها الحكماء، واللطائف يقف عليها السادة من النبلاء. وكان يقول: علامة الصبر ترك الشكوى، وكتمان الضر والبلوى. ومن علامة الإقبال على الله صيانة الأسرار عن الالتفات إلى الأغيار، وأحسن العبيد حالا من رأى نعم الله عليه بأن أهله لمعرفته، وأذن له في قربه، وأباح له سبيل مناجاته، وخاطبه على لسان أعز السفراء محمد صلى الله عليه وسلم، وعرف تقصيره عن القيام بواجب أداء شكره، إذ شكره يستوجب شكرا إلى ما لا نهاية، وأحسن العبيد من عد تسبيحه وصلاته ويرى أنه لا يستحق به على ربه شيئا. فلولا فضله ورحمته لعاينت الأنبياء عليهم السلام في مقام الإفلاس، كيف وأجلهم حالا وأرفعهم منزلة، والقائم بمقام الصدق كيف عجز عنه الرسل، كلهم يقول: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل فمن رأى لنفسه بعد هذا حالا أو مقاما فهو لبعده عن طرقات المعارف.

أبو عمرو الدمشقي

ومنهم أبو عمرو الدمشقي. مكن في الولاية، واتصلت له الرعاية.
كان للمكارم فعالاً، وعليها حافظا، أعرض عن المستروحين إلى الأرواح، ونظر إلى صنع مالك الأجسام والأشباح.
سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: قال أبو عمرو الدمشقي: التصوف رؤية الكون بعين النقص، بل غض الطرف عن كل ناقص ليشاهد من هو منزه عن كل نقص.
سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عمرو الدمشقي يقول –وسئل عن قوله صلى الله عليه وسلم: صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته – قال: إشارة إلى استواء الأحوال، أي لا ترجعوا عن الحق بإفطار، ولا تقبلوا عليه بصوم، ليكن صومكم كإفطاركم، وإفطاركم كصومكم عند دوام حضوركم. وكان يقول: الأشخاص بظلمتها كائنة، والأرواح بأنوارها مشرقة، فمن لاحظ الأشخاص بظلمتها أظلم عليه وقته، ومن شاهد الأرواح بأنوارها دلته على منورها.

صفحة : 1922

سمعت أبا القاسم عبد السلام بن محمد المخزومي يقول: سمعت أبا عمر الدمشقي يقول: خواص خصال العارفين أربعة أشياء: السياسة، والرياضة، والحراسة، والرعاية. فالسياسة والرياضة ظاهران، والحراسة والرعاية باطنان. فبالسياسة الوصول إلى التطهير، وبالرياضة الوصول إلى التحقيق. والسياسة حفظ النفس ومعرفتها. والرياضة

مخالفة النفس ومعاداتها، والحراسة معاينة بر الله في الضمائر. والرعاية مراعاة حقوق المولى بالسرائر. وميراث السياسة القيام على وفاء العبودية. وميراث الرياضة الرضاء عند الحكم. وميراث الحراسة الصفوة والمشاهدة. وميراث الرعاية المحبة والهيبة. ثم الوفاء متصل بالصفاء، والرضا متصل بالمحبة، علمه من علمه وجهله من جهله.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا عمرو الدمشقي يقول: كما فرض الله على الأنبياء إظهار الآيات والمعجزات ليؤمنوا بها، كذلك فرض على الأولياء كتمان الكرامات حتى لا يفتنوا بها.

أبو نصر المحب

ومنهم أبو نصر المحب –بغدادي– كان للعروض بذولا، وعن العوائق محمولا.

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: كان أبو نصر المحب ذا فتوة وسخاء، ومروءة وحياء.

اخبرني جعفر بن محمد في كتابه وحدثني عنه أو الحسن بن مقسم، قال: سمعت أبا العباس بن مسروق يقول: اجتزت أنا وأبو نصر المحب بالكرخ، وعلى أبي نصر إزار له قيمة، فإذا نحن بسائل يسأل ويقول: شفيعي إليكم محمد صلى الله عليه وسلم. فشق أبو نصر إزاره وأعطاه النصف، فمشى خطوتين فانصرف، وأعطاه النصف الآخر وقال: هذا ند له.

أبو سالم الدباغ

كان من المتحققين والمجتهدين. صحب الكبار وكان يعد من الأبرار.

سمعت جعفر بن محمد بن نصر في كتابه، قال: سمعت أبا سالم الدباغ يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت: أقرأ عليك يا رسول الله؟ فقال: نعم. فاستفتحت واستعذت وقرأت عليه فاتحة الكتاب وعشرين آية من أول سورة البقرة، فلم يرد علي شيئاً. فقلت: يا رسول الله لم ترد علي شيئاً، أحب أن تأخذ على كما أنزل. فقال: لو أخذت عليك كما أنزل لرجمك الناس بالحجارة.

أبو محمد الجريري

ومنهم أبو محمد الجريري –كان للأثقال حمولا، وعن القواطع ذبولا. وكان للحكمة من غير أهلها صائنا، وللمدعين والمتكسبين بها شائنا.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا محمد الراسبي يقول: سمعت أبا محمد الجريري يقول: رأيت في النوم كأن قائلا يقول لي: لكل شيء عند الله حق، ومن أعظم الحقوق عند الله حق الحكمة فمن وضع الحكمة في غير أهلها طالبه الله بحقها، ومن طالبه الله بحقها خصم.

سمعت محمد بن موسى يقول: سمعت علي بن سعيد يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: قيل لأبي محمد الجريري: متى يسقط عن العبد ثقل المعاملة؟ فقال: هيهات ما منها بد، ولكن يقع الحمل فيها.

وكان يقول: أدل الأشياء على الله ثلاثة: ملكه الظاهر، ثم تدبيره في ملكه، ثم كلامه الذي يستوفي كل شيء.

سمعت محمد بن موسى يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت أبا محمد الجريري يقول: قوام الأديان ودوام الإيمان وصلاح الأبدان في خلال ثلاث: الاكتفاء والاتقاء والاحتماء. فمن اكتفى بالله صلحت سريرته، ومن اتقى ما نهى عنه استقامت سيرته، ومن احتمى ما لم يوافقه ارتاضت طبيعته. فثمرة الاكتفاء صفو المعرفة، وعاقبة الاتقاء حسن الخليقة، وغاية الاحتماء اعتدال الطبيعة. وقال أبو محمد الجريري: من توهم أن عملاً من أعماله يوصله إلى مأموله الأعلى والأدنى فقد ضل عن طريقه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لن ينجي أحدا منكم عمله . فما لا ينجي من المخوف كيف يبلغ إلى المأمول؟ ومن صح اعتماده على فضل الله فذلك لا ينجي من المخوف كيف يبلغ المأمول؟ ومن صح اعتماده على فضل الله فذلك الذي يرجي له الوصول.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الطبري، يقول: قال رجل لأبي محمد الجريري: كنت على بساط الأنس ففتح لي الطريق إلى ما كنت عليه. فبكى أبو محمد وقال: يا أخي الكل في قهر هذه اللحظة، لكن أنشدك أبياتاً لبعضهم، فأنشأ يقول:

قف بالديار فهـذه آثـارهـم تبكي الأحبة حسرة وتشوقـا
كم قد وقفت بها أسائل مخبرا عن أهلها أو صادقاً أو مشفقا

فأجابني داعي الهوى في رمسها فارقت من تهوى فعز الملتقى

ابن الفرغاني

ومنهم الواسطي محمد بن موسى أبو بكر المعروف بابن الفرغاني.

صحب الجنيد والنوري، وانتقل إلى خراسان، سكن مرو. عالم بالأصول والفروع، ألفاظه بديعة، وإشاراته رفيعة، كان يقول: ابتلينا بزمان ليس فيه آداب الإسلام، ولا أخلاق الجاهلية، ولا أحلام ذوي المروءة.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله الواعظ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن موسى بن الفرغاني الواسطي بمرو يقول: شاهد بمشاهدة الحق إياك، ولا

تشهده بمشاهدتك له.

قال: وسمعته يقول: الأسر على وجوه: أسير نفسه وشهوته، وأسير شيطانه وهواه، وأسير مالا معنى له لحظه أو لفظه هم الفساق. وما دام للشواهد على الأسرار أثر وللأعراض على القلب خطر فهو محجوب بعيد من عين الحقيقة. وما تورع المتورعون، ولا تزهد المتزهدون إلا لعظم الأعراض في سرائرهم، فمن أعرض عنها أدباً، أو تورع عنها ظرفاً، فلذلك الصادق في ورعه، والحكيم في آدابه.

وقال: أفقر الفقراء من ستر الحق حقيقة حقه عنه.

وقال: الحب يوجب شوقاً، والشوق يوجب أنساً، فمن فقد الشوق والأنس فليعلم أنه غير محب.

سمعت محمد بن موسى يقول: سمعت عبد الواحد بن علي اليساري يقول: سمعت خالي أبا العباس السياري يقول: سمعت أبا بكر الواسطي يقول: كائنات محتومة بأسباب معروفة، وأوقات معلومة، اعتراض السريرة لها رعونة.

قال: وسمعت الواسطي يقول: الرضا والسخط نعتان من نعوت الحق بجريان على الأبد بما جريا في الأزل، يظهران على المقبولين والمطرودين. فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم كما بانت شواهد المطرودين بظلمتها عليهم. فأنى تنفع مع ذلك الألوان المصفرة، والأكمام المقصرة، والأقدام المنتفخة. وقال: كيف يرى للفضل فضلا من لا يأمن أن يكون ذلك مكراً.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا عبد الله الحضرمي، يقول: سمعت أبا العباس السياري يقول: سمعت أبا بكر الواسطي يقول: الذاكرون في ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره، لأن ذكره سواه.

وكان يقول: مطالعة الأعواض على الطاعات من نسيان الفضل، وحياة القلوب بالله، بل بإبقاء القلوب مع الله، بل الغيبة عن الله بالله.

قال: وسمعت أبا أحمد الحسوني يقول: قال أبو بكر الواسطي: الناس على ثلاث طبقات: الطبقة الأولى من الله عليهم بأنوار الهداية، فهم معصومون من الكفر والشرك والنفاق. والطبقة الثانية من الله عليهم بأنوار العناية فهم معصومون عن الكبائر والصغائر. والطبقة الثالثة من الله عليهم بالكفاية، فهم معصومون عن الخواطر الفاسدة وحركات أهل الغفلة.

أبو علي الجورجاني

ومنهم الحبر الرباني، الحسن بن علي أبو علي الجورجاني، له البيان الشافي، والكلام الوافي.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا علي

الجورجاني يقول: ثلاثة أشياء من عقد التوحيد: الخوف والرجاء والمحبة. فزيادة الخوف من كثرة الذنوب لرؤية الوعيد وزيادة الرجاء من اكتساب الخير لرؤية الوعد، وزيادة المحبة من كثرة الذكر لرؤية المنة. فالخائف لا يستريح من ذكر المحبوب، فالخوف نار منور، والرجاء نور منور والمحبة نور الأنوار.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الرازي يقول: سمعت أبا علي الجورجاني يقول في البخل: هو على ثلاثة أحرف وهو البلاء. والخاء وهو الخسران. واللام وهو اللوم. فالبخيل بلاء على نفسه، وخاسر في سعيه، وملوم في بخله.

أبو عبد الله السجزي

ومنهم أبو عبد الله السجزي، المعتبر الفكري.

سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد المعلم النيسابوري –صاحب عبد الله بن منازل– يقول: سمعت أبا عبد الله السجزي يقول: العبرة أن تجعل كل حاضر غائبا، والفكرة أن تجعل كل غائب حاضرا. وقيل لأبي عبد الله: ما يدفعك عن لبس المرقعة؟ قال: من النفاق أن تلبس لباس الفتيان ولا تدخل في حمل أثقال الفتوة. فقيل له: وما الفتوة؟ قال: رؤية أعذار الخلق وتقصيرك، وتمامهم ونقصانك، والشفقة على الخلق كلهم: برهم وفاجرهم. وكمال الفتوة هو ألا يشغلك الخلق عن الله.

محفوظ بن محمود

ومنهم المذعن للمعبود، الواثق بالودود، النيسابوري محفوظ بن محمود

صفحة : 1924

سمعت أبا عمرو محمد بن أحمد بن حمدان يقول: سمعت محفوظ بن محمود يقول: من أبصر محاسن نفسه ابتلى بمساوئ الناس، ومن أبصر عيوب نفسه سلم من رؤية مساوئ الناس، ومن ظن بمسلم فتنة فهو المفتون.

سمعت محمد بن الحسين يقول: قال محفوظ: التائب الذي يتوب من غفلاته وطاعاته.

وقال: لا تزن الخلق بميزانك وزن نفسك بميزان المؤمنين لتعلم فضلهم وإفلاسك.

وقال: أكثر الناس خيراً أسلمهم صدراً للمسلمين.

ابن طاهر الأبهري

ومنهم الأبهري أبو بكر بن طاهر، ظهر من حجابه الساتر، وغمر في جنابه العامر، رايات الكرام له مرفوعة، وطوارق الإياس عنه موضوعة، بسط لسانه في وجود الموجود وكرم المنعم المحمود.

سمعت أبا نصر النيسابوري يحكي عن عبد العزيز الأبهري، قال: قال أبو بكر بن طاهر: رفع الله عن العالمين به حجب الأستار وأطلعهم على طويات مخزونات الأسرار، وأمدهم بمواد المعارف والأنوار، فهم بما ألبسهم من نوره إلى أسراره متطلعون، وبما كاشفهم من شواهد حقيقة معرفته على سائر الأمور مشرفون، لا يقدح في قلوبهم ريب، بل كل ما أطلعهم عليه أثبت عندهم من العيان لأن بصائر الحقيقة لهم لامعة، وأعلام الحق لهم مرفوعة لائحة، ائتمنهم الحق على معرفته إلهاماً وتفضلاً وإكراماً، أجزل لهم عطاياه وجعل قلوبهم مطاياه، فدنا منها بلا مسافة، ونزل أسرارهم بلا ممازجة، فحماهم من الغفلة والفتور، ففنيت صفاتهم بوجود شهوده، فليس لهم عنه مغيب، وعليهم في كل أحوالهم منه رقيب.

سمعت أبا نصر يقول: قال عبد العزيز بن محمد الأبهري: كان عبد الله بن طاهر يقول: إذا لاحظ كرمه إني لأرجو أن يكون توحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر، ولا يعجز عن محق ما بعده من ذنب.

وكان يقول: ما أحببت أن تنجو منه بعملك فإلى حبك له تشير.

وقال: ذنب يظهر به كرمه أحب إلي من عمل يظهر به شرفي.

وقال: قوم سألوا الله بألسنة الأعمال، وقوم سألوه بألسنة الرحمة، فكم بين من سأل بربه، وبين من رجا ربه بعمله. وليس من رجا ربه بجوده كمن رجا ربه بنفسه.

وكان يقول: ما قدر طاعة نقابل بها نعمه، وما قدر ذنوب نقابل بها كرمه، إني لأرجو أن تكون ذنوبنا في كرمه أقل من طاعتنا في نعمه، إذ لا يذنب العبد من الذنوب ما يغمر به عفو مولاه.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا بكر بن طاهر يقول: في المحن ثلاثة أشياء: تطهير وتكفير وتذكير. فالتطهير من الكبائر، والتكفير من الصغائر، والتذكير لأهل الصفا.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الواحد بن أبي بكر يقول: سمعت بعض أصحابنا يقول: حضرت مع أبي بكر بن طاهر جنازة فرأى بعض إخوان الميت يكثرون البكاء فنظر إلى أصحابه وأنشد:

ويبكي على الموتى ويترك نفسه ... ويزعم أن قد قل عنهم عزاؤه

ولو كان ذا رأي وعقل وفطـنة ... لكان عليه لا عليهـم بـكـاؤه وقال أبو بكر بن طاهر: من خاف على نفسه شق عليه ركوب الأهوال، ومن شق عليه ركوب الأهوال لا يرتقي إلى سمو المعالي في الأحوال.

أبو بكر الأبهري

ومنهم المطوعي أبو بكر بن عيسى الأبهري. كان من المفوضين، وتعلو أحواله على السالكين والسائحين.

ذكر لي فيما أرى أبو الفضل أحمد بن أبي عمران الهروي، عن إبراهيم بن أبي حماد الأبهري أن أبا بكر بن طاهر الأبهري حضر أبا بكر بن عيسى الأبهري وهو في النزع فقال له: أحسن بربك الظن. ففتح عينيه مقبلا عليه فقال: لمثلي يقال هذا الكلام؟ إن تركنا عبدناه، وإن دعانا أجبناه.

أبو الحسن الصائغ

ومنهم أبو الحسن الصائغ الدينوري. سكن مصر. كان في المعاملة مخلصاً وعن النظر إلى سوى الحق معرضاً.

سمعت أبا سعيد القلانسي يقول فيما حكى لنا عن الرقي أن أبا الحسن كان يقول: حكم المريد أن يتخلى من الدنيا مرتين: أولاهما ترك نعيمها ونضرتها ومطاعمها ومشاربها وما فيها من غرورها وفضولها. والثانية إذا أقبل الناس عليه مبجلين له مكرمين لتركه للدنيا أن يزهد في الناس المقبلين عليه، فيخالط أهل الدنيا وأبناءها، فإن إقبال الناس عليه وتبجيلهم له لتركه فضول الدنيا إذا سكن إليهم، ولاحظهم، ذنب عظيم، وفتنة عاجلة. وكان يقول: من فساد الطبع التمني والأمل.

صفحة : 1925

وكان يقول: المعرفة رؤية المنة في كل الأحوال، والعجز عن أداء شكر المنعم من كل الوجوه، والتبرؤ من الحول في كل شيء.

ممشاد الدينوري

ومنهم الدينوري ممشاد، حارس همته العالية، وغارس خطراته الآتية.

سمعت أبي يقول –وكان قد لقيه وشاهده– قال: سمعته يقول: الهمة مقدمة الأشياء فمن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال.

وكان يقول: أحسن الناس حالاً من أسقط عن نفسه رؤية الخلق، وكان صافي الخلوات لسره راعيا، واعتمد في جميع أموره على من كان له كافيا، واثقاً بضمانه.

وكان يقول: لو جمعت حكمة الأولين والآخرين، وادعيت أحوال السادة من الأولياء والصادقين لن تصل إلى درجات العارفين حتى يسكن سرك إلى الله وتثق به فيما ضمن لك.

وكان يقول: ما أقبح الغفلة عن طاعة من لا يغفل عن برك. وما أقبح الغفلة عن ذكر من لا

يغفل عن ذكرك.

أبو إسحاق القصار

ومنهم الرقي إبراهيم بن داود أبو إسحاق القصار. ذو الهم المخزون والبيان الموزون. سمعت محمد بن موسى يقول: سمعت الحسين بن أحمد يقول: سمعت إبراهيم القصار الرقي يقول: قيمة كل إنسان بقدر همته، فإن كانت همته للدنيا فلا قيمة له. وإن كانت همته رضاء الله فلا يمكن استدراك غاية قيمته ولا الوقوف عليها.

اخبرنا أبو الفضل نصر بن محمد الطوسي، قال: سمعت إبراهيم بن أحمد بن المولد يقول: سأل رجل إبراهيم القصار الرقي فقال: هل يبدي المحب حبه؟ أو هل ينطق به؟ أو هل يطيق كتمانه؟ فأنشأ متمثلاً يقول:

ظفرتم بكتمان اللسان فمـن لـكـم بكتمان عين دمعها الدهـر يذرف

حملتم جبال الحب فوقـي وإنـنـي لأعجز عن حمل القميص وأضعف

وكان يقول: علامة محبة الله إيثار طاعته، ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم. وكان يقول: الأبصار قوية والبصائر ضعيفة، وأضعف الخلق من ضعف عن رد شهوته، وأقوى خلقه من قوي على ردها. وكان يقول: حسبك من الدنيا شيئان: خدمة ولي وصحبة فقير.

أبو عبد الله بن بكر

ومنهم الصبيحي أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن بكر.

له العقل الرصين، والكلام الواضح المبين. وصحبة والدي بالبصرة قبل انتقاله إلى السوس. له المصنفات في أحوال القوم بعبارات لطيفة، وإشارات بديعة. وبلغني أنه لزم سريا في داره بالبصرة ثلاثين سنة متعبداً فيها.

وكان يقول: النظر في عواقب الأمور من أحوال العاجزين، والهجوم على الموارد من أحوال السائرين، والخمود بالرضا تحت القضاء من أفعال العارفين.

وسئل عن أصول الدين فقال: إثبات صدق الافتقار إلى الله، ولزوم الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، وفروعه أربعة أشياء: الوفاء بالعهود وحفظ الحدود والرضا بالموجود والصبر عن المفقود.

وكان يقول: الربوبية سبقت العبودية، وبالربوبية ظهرت العبودية، وتمام وفاء العبودية مشاهدة الربوبية.

وكان يقول: ابتلى الخلائق بأسرهم بالدعاوي العريضة في المغيب، فإذا أظلتهم هيبة المشهد خرسوا وانقمعوا وصاروا لا شيء، ولو صدقوا في دعاويهم لبرزوا عند المشاهدة كما برز نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتقدم الخلائق بقدم الصدق حين طلب إليه

الشفاعة فقال: أنا لها. لم ترعه هيبة الموقف لما كان عليه من قدم الصدق، وما أشبه هذه الدعاوي الباطلة إلا بقول بعضهم حيث يقول:

ينوي العتاب له من قبل رؤيته فإن رآه فدمع العين مسكـوب
لا يستطيع كلاماً حين يبصـره كل اللسان وفي الأحشاء تلهيب وليس

يخرس الألسنة في المشاهدة إلا بعدها من الصدق. فمن صدق في المحبة تكلم عنه الضمير إذا سكت عن النطق باللسان.

المرتعش

ومنهم عبد الله بن محمد أبو محمد المعروف بالمرتعش –كانت المشاهدة باطنة، والمثابرة سابقة.

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: كان أبو محمد المرتعش له اللسان الناطق والخاطر الفائق، وكان يقول: أفضل الأرزاق تصحيح العبودية على المشاهدة، ومعانقة الخدمة على موافقة السنة، ولا وصول إلى محبة الله إلا ببغض ما أبغضه الله، وهي فضول الدنيا وأماني النفس، وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، ولا سبيل إلى تصحيح المعاملة إلا بالإخلاص فيها والصبر عليها.

صفحة : 1926

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت الإمام أبا سهل محمد بن سليمان الفقيه يقول: قال رجل للمرتعش: أوصني. فقال: اذهب إلى من هو خير لك مني، ودعني إلى من هو خير لي منك. وجاءه رجل فقال: أي الأعمال أفضل؟ فقال: رؤية فضل الله. وأنشأ يقول:

إن المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجز بالحازم وكان يقول: أصول التوحيد ثلاثة: معرفة الله بالربوبية، والإقرار له بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة.

النهرجوري

ومنهم أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري. كان ذا نور زاهر، وحضور شاهر.

سمعت أبا عمرو العثماني يقول: سمعت أبا يعقوب النهرجوري يقول: الذي اجتمع عليه المحققون في حقائقهم أن الله تعالى غير مفقود فيطلب، ولا له غاية فيدرك، ومن أدرك موجوداً فهو بالموجود مغرور، والموجود عندنا معرفة حال وكشف علم بلا حال. وكان يقول: من عرف الله لم يغتر بالله. وقال لرجل: يا دنيء الهمة، فقال الرجل: لم تقول هذا أيها الشيخ؟ فقال: لأن الله يقول: قل متاع الدنيا قليل . النساء 77 . ونصيبك من هذا القليل حقير، وما في يديك منه يسير، وأنت بها بخيل، تريد أن تكون بإمساكها نبيلا؟ فإن

بذلت بذلت قليلا، وإن منعت منعت قليلا، فلا أنت بالمنع ملوم ولا بالبذل محمود. وكان يقول: مشاهدة الأرواح تحقيق، ومشاهدة القلوب تعريف، فإذا اقتضاني ربي بعض حقه قبلي فذاك أوان حزني، وإذا أذن اقتضاء سره فذاك أوان سروري ونعمتي، إذ هو بالجود والوفاء معروف، والعبد بالضعف والعجز موصوف.

أبو علي الروذباري

ومنهم أبو علي الروذباري أحمد بن محمد بن مقسم، له اللسان الفصيح، والبيان النجيح. بغدادي انتقل إلى مصر وتوفي بها.

سمعت أبا محمد بن أبي عمران الهروي يقول: سمعت أبا عبد الله أحمد بن عطاء الروذباري، يقول: سئل أبو علي خالي الروذباري عمن يسمع الملاهي ويقول: أبيح له الوصول إلى المنزلة التي لا تؤثر في اختلاف الأحوال؟ فقال: نعم، قد وصل ولكن وصوله إلى سقر.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي يقول: سمعت أبا علي الروذباري وسئل عن الإشارة قال: الإشارة الإبانة عما تضمنه الوجد من المشار إليه لا غير، وفي الحقيقة أن الإشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة من عين الحقائق.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: والاهم قبل أفعالهم. وعاداهم قبل أفعالهم، ثم جازاهم بأفعالهم.

قال: وسمعت أبا علي يقول: من الاعتدال أن تسيء فيحسن إليك فتترك الإتابة والتوبة توهماً أنك تسامح في الهفوات، وترى أن ذلك في بسط الحق لك.

وقال: تشوقت القلوب إلى مشاهدة ذات الحق فألقيت إليها الأسامي فركنت إليها مشغوفون بها عن الذات إلى أوان التجلي، فذلك قوله تعالى: ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها . الأعراف 180 . فوقفوا معها عن إدراك الحقائق، فأظهر الأسامي وأبداها للخلق لتسكين شوق المحبين له، وتأنيس قلوب العارفين به، وقال: المشاهدات للقلوب والمكاشفات للأسرار والمعاينات للبصائر.

اخبرني أبو الفضل الطوسي نصر بن أبي نصر، قال: سمعت أبا سعيد الكازروني يقول: قال أبو علي الروذباري لا رضا لمن لا يصبر، ولا كمال لمن لا يشكر. بالله وصل العارفون إلى محبته، وشكروه على نعمته.

سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت همام بن الحارث، يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: إن المشتاقين إلى الله يجدون حلاوة الوقت عند وروده لما كشف لهم من روح الوصول إلى قربه أحلى من الشهد. وقال أبو علي: من رزق ثلاثة أشياء فقد سلم من الآفات: بطن جائع معه قلب خاشع. وفقر دائم معه زهد حاضر. وصبر كامل معه قناعة

دائمة.

وقال أبو علي: في اكتساب الدنيا مذلة النفوس، وفي اكتساب الآخرة عزها، فيا عجباً لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى على العز في طلب ما يبقى.

أبو بكرالكتاني

ومنهم أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني. بغدادي سكن مكة، يعرف بسراج الحرم. صحب الجنيد والخزاز والنوري.

سمعت أبا جعفر الخياط الأصبهاني يقول: صحبته سنين فكان يزداد على الأيام ارتفاعاً وفي نفسه اتضاعا.

وسمعته يقول: روعة عند انتباه من غفلة وانقطاع عن حظ النفس وارتعاد من خوف القطيعة أعود على المريد من عبادة الثقلين.

صفحة : 1927

وكان يقول: إذا سألت الله التوفيق فابتدئ بالعمل.

وكان يقول: وجود العطاء من الحق شهود الحق بالحق، لأن الحق دليل على كل شيء ولا يكون شيء دونه دليلا عليه.

سمعت محمد بن موسى يقول: سمعت أبا الحسن القزويني يقول: سمعت أبا بكر الكتاني يقول: إذا صح الافتقار إلى الله صحت العناية، لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بصاحبه.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت الكتاني يقول: الشهوة زمام الشيطان من أخذ بزمامه كان عبده. وسئل عن المتقي فقال: من اتقى ما لهج به العوام من متابعة الشهوات وركوب المخالفات، ولزوم باب الموافقة، وأنس براحة اليقين، واستند إلى ركن التوكل، أتته الفوائد في كل أحواله غير غافل عنها.

سمعت عبد الرحمن بن أحمد الصائغ الأصبهاني بمكة يقول: سمعت الكتاني يقول: عيش الغافلين في حلم الله عنهم، وعيش الذاكرين في رحمته، وعيش العارفين في ألطافه، وعيش الصادقين في قربه. وكان يقول: حقائق الحق إذا تجلت لسر أزالت الظنون والأماني، لأن الحق إذا استولى على سر قهره ولا يبقى للغير معه أثر. وكان يقول: العلم بالله أعلى وأولى من العبادة له.

ابن فاتك

ومنهم أبو عبد الله بن فاتك. من المراقبين. لزم الثغور ملتزماً للشهود والحضور.

سئل عن المراقبة فقال: إذا كنت فاعلاً فانظر نظر الله إليك، وإذا كنت قائلاً فانظر سمع

الله إليك، وإذا كنت ساكناً فانظر علم الله فيك. قال الله تعالى: إنني معكما أسمع وأرى . طه 46 . وقال: يعلم ما أنفسكم فاحذروه . البقرة 235 . وكان يقول: الرجال ثلاثة: رجل شغل بمعاشه عن معاده فهذا هالك. ورجل شغل بمعاده عن معاشه فهذا فائز. ورجل اشتغل بهما فهذا مخاطر، مرة له ومرة عليه.

ابن علان

ومنهم أبو عبد الله بن علان. محفوظ عن التلوين والنقلان.
سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت عبد الله بن عبد العزيز يقول: سمعت أبا عبد الله بن علان يقول: ما من عبد حفظ جوارحه إلا حفظ الله عليه قلبه، وما من عبد حفظ الله عليه قلبه إلا جعله الله أميناً في أرضه، وما من عبد جعله الله أميناً في أرضه إلا جعله الله إماماً يقتدى به. وما من عبد جعله الله إماماً يقتدى به إلا جعله حجة على خلقه.

سهل الأنباري

ومنهم سهل بن وهبان الأنباري، من أقران الجنيد.
اخبرنا جعفر بن محمد بن نصير –في كتابه– قال علان البناء سمعت المثني الأنباري يقول: سمعت سهل بن وهبان يقول لا تكونوا بالمضمون مهتمين فتكونوا للضامن متهمين، وبعدته غير واثقين.

عبد الله بن دينار

ومنهم عبد الله بن دينار. واعي الخطرات وراعي اللحظات.
اخبرنا محمد بن أحمد بن الفيد في كتابه وقد رأيته وحدثني عنه أبو القاسم الهاشمي قال: أخبرني جعفر بن عبد الله الدينوري، قال: سمعت أبا حمزة يقول: قلت لعبد الله بن دينار الجعفي: أوصني. قال: اتق الله في خلواتك، وحافظ على أوقات صلواتك، وغض طرفك عن لحظاتك، تكون عند الله مقرباً في حالاتك.

أبو علي الوراق

ومنهم أبو علي الوراق. عارف الآفات. مسلم من الشبهات.
اخبرنا جعفر بن محمد بن نصير في كتابه، وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت أبا علي الوراق، يقول: من جهل قدر نفسه عدل على نفسه وعدل على غيره. وآفة الناس من قلة معرفتهم بأنفسهم.

ابن الكاتب

ومنهم الحسن بن أحمد بن أبي علي المعروف بابن الكاتب. من شيوخ المصريين

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت أبا علي الكاتب يقول: إذا انقطع العبد إلى الله بالكلية أول ما يفيده الله الاستغناء به عمن سواه. وكان يقول: قال الله: من صبر علينا وصل إلينا. وكان يقول: إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا القاسم المصري يقول: قيل لأبي علي بن الكاتب: إلى أي الجانبين أنت أميل، إلى الفقراء أو إلى الأغنياء؟ فقال: إلى أعلاهما رتبة وأسناهما قدراً. ثم أنشأ يقول:

ولست بنظار إلى جانب الغنى ... إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وإني لصبار على ما ينوبني ... وحسبك أن الله أثنى على الصبر

صفحة : 1928

وكان يقول: الهمة مقدمة في الأشياء، فمن صحح همته بالصدق أتت توابعها على الصحة والصدق، فإن الفروع تتبع الأصول. ومن أهمل همته أتت عليه توابعها مهملة، والمهمل من الأفعال والأحوال لا يصلح لبساط الحق. وقال: إن الله يرزق العبد حلاوة ذكره، فإن فرح به وشكره آنسه بقربه، وإن قصر في الشكر أجرى الذكر على لسانه وسيلة حلاوته به.

القرميسيني

ومنهم القرميسيني ومظفر، له اللفظ المحبر. أحد مشايخ الجبل، عرف العلل واحترز من الزلل.

سمعت أبا بكر الدينوري الطرسوسي –شيخ الحرمة– يقول: قال مظفر القرميسيني وسئل: ما خير ما أعطى العبد؟ قال: فراغ القلب عما لا يعنيه ليتفرغ إلى ما يعنيه.

سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد بن دينار الدينوري بمكة يقول: سمعت مظفر القرميسيني يقول: أفضل أعمال العباد حفظ أوقاتهم، وهو أن لا يقصروا في أمره ولا يتجاوزوا عن حده.

وقال: العارف من جعل قلبه لمولاه وجسده لخلقه وأفضل ما يلقى بع العبد ربه نصيحة من قلبه، وتوبة من ذنوبه.

سمعت محمد بن الحسين يقول: قال مظفر القرميسيني: من أفقره إبيه أغناه ليعرفه بالفقر عبوديته وبالغنى ربوبيته.

وقال: من قتله الحب أحياه القرب.

سمعت محمد بن الحسين يقول: قال مظفر: الجوع إذا ساعدته القناعة مزرعة الفكرة وينبوع الحكمة، وحياة الفطنة ومصباح القلب.

وقال: يحاسب الله المؤمنين يوم القيامة بالمنة والفضل، ويحاسب الكفار بالحجة والعدل.
سمعت محمد بن الحسين يقول: قال مظفر: ليس لك من عمرك إلا نفس واحدة فإن لم تفنها فيما لك فلا تفنها فيما عليك.

إبراهيم بن شيبان

ومنهم القرميسيني إبراهيم بن شيبان، أيد باليقين والإيقان، وحفظ من التصنع والتزين بالعرفان، كان من المتمسكين بالقرآن والبيان.
سمعت أبا عبد الله بن دينار الدينوري بمكة يقول: سمعت إبراهيم ابن شيبان يقول: المتعطل من لزم الرخص معتنقاً للملاذ والملاهي، وأخلى قلبه من الخوف والحذر، لأن الخوف يدفع عن الشهوات، ويقطع عن السلو والغفلات.
سمعت أبا بكر بن أحمد الطرسوسي بمكة يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: من أراد أن يكون معدوداً في الأحرار، مذكوراً عند الأبرار، فليخلص عبادة ربه، فإن المتحقق في العبودية مسلم من الأغيار.
وكان يقول: الفناء والبقاء مداره على إخلاص الوحدانية والتحقق بالعبودية، وكل علم يعدو هذا ويخالفه فمرجعه إلى الأغاليط والأباطيل. ومن تكلم في الإخلاص ولم يقتض من نفسه حقيقته ابتلاه الله بهتك ستره وافتضاحه عند أقرانه وإخوانه.
سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت أبا علي القصير يقول: سمعت إسحاق بن إبراهيم بن شيبان يقول: قال لي أبي: يا بني تعلم العلم لآداب الظاهر، واستعمل الورع لآداب الباطن، وإياك أن يشغلك عن الله شاغل، فقل من أعرض عنه فأقبل عليه.

أبو الحسين بن بنان

ومنهم الواله السكران، أبو الحسين بن بنان، شيخ مصر، مات في التيه والها. صحب أبا سعيد الخزاز.
سمعت أبا عثمان سعيد بن سلام المغربي –بمكة ونيسابور– يقول: قال أبو الحسين بن بنان: الناس يعطشون في المفاوز السحيقة، والبوادي المتلفة، وأنا عطشان وأنا على شط النيل والفرات.
قال: وسمعته يقول: آثار المحبة إذا بدت ورياحها إذا هاجت، تميت قوماً وتحيي آخرين، وأفنت أسراراً وأبقت آثاراً، تؤثر آثاراً مختلفة، وتثير أسراراً مكنونة، وتكشف أحوالاً كامنة.
سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله يقول: سمعت الزقاق يقول: سمعت أبا الحسين بن بنان يقول: كل صوفي يكون هم الرزق في

قلبه فلزوم العمل أقرب له إلى الله، وعلامة سكون القلب والركون إلى الله أن يكون قوياً عند زوال الدنيا وإدبارها عنه، ويكون بما في يد الله أقوى وأوثق بالقلب يورث البركات.

علي الفارسي

ومنهم الحاضر الفارسي، أبو الحسين علي بن هند الفارسي. صحب عمراً المكي والجنيد وجعفر الحذاء.

سمعت أبا القاسم الهاشمي يقول: قال أبو الحسن بن هند الفارسي: القلوب أوعية وظروف. وكل وعاء وظرف لنوع من المحمولات، فقلوب الأولياء أوعية المعرفة، وقلوب العارفين أوعية المحبة، وقلوب المحبين أوعية الشوق، وقلوب المشتاقين أوعية الأنس. ولهذه الأحوال آداب من لم يستعملها في أوقاتها هلك من حيث يرجو به النجاة.

صفحة : 1929

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الحسين بن هند يقول: استرح مع الله ولا تسترح عن الله، فإن من استراح مع الله نجا، ومن استراح عن الله هلك. والاستراحة مع الله تروح القلوب بذكره. والاستراحة عن الله مداومة الغفلة.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن إبراهيم يقول: سمعت أبا الحسين بن هند يقول: المتمسك بكتاب الله هو الملاحظ للحق على دوام الأوقات، والمتمسك بكتاب الله لا يخفي عليه شيء من أمر دينه ودنياه، بل يجري في أوقاته على المشاهدة لا على الغفلة، فيأخذ الأشياء من معدنها ويضعها في معدنها. وكان يقول: اجتهد أن لا تفارق باب سيدك بحال فإنه ملجأ الكل، فإن من فارق تلك السدة لا يرى بعدها لقدميه قرارا ولا مقاما. وقال:

كنت من كربتي أفر إليهم فهم كربتي فأين المفـر

الحسين بن علي بن يزدانيار

ومنهم المتمسك بالتنصل والاعتذار، أبو بكر الحسين بن علي بن يزدانيار. له لسان في لزوم الظواهر، وتحقيق بمناجاته ما يعرض من الخواطر في السواتر.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت محمد بن شاذان الرازي يقول: سمعت أبا بكر بن يزدانيار يقول: إياك والطمع في المنزلة عند الله وكنت تحب المنزلة عند الناس.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر بن شاذان يقول: سمعت ابن يزدانيار

يقول: الروح مزرعة الخير لأنه معدن الرحمة، والجسد مزرعة الشر لأنه معدن الشهوة، والروح مطبوع بالخير، والنفس مطبوعة بإرادة الشر، والهوى مدبر الجسد، والعقل مدبر الروح، والمعرفة خاطرة فيما بين العقل والهوى، والمعرفة في القلب، والعقل والهوى يتنازعان ويتحاربان، والهوى صاحب جيش النفس، والعقل صاحب جيش القلب، والتوفيق من الله مدد العقل، والخذلان مدد الهوى، والظفر لمن أراد الله سعادته أو شقاوته، ومن استغفر وهو ملازم للذنب محجوب عن التوبة والإنابة. والمعرفة صحة العلم بالله، واليقين النظر بعين القلب إلى ما وعد الله وادخره.

أسند الحديث الكثير، ومن مسانيد حديثه ما: اخبرني محمد بن عبد الله بن شاذان الرازي –في كتابه وقد رأته– قال: حدثني الحسين بن علي بن يزدانيار الصوفي، حدثنا محمد بن يونس الكديمي، حدثنا أبو عاصم، حدثنا ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المؤمن يأكل في معاء واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء .

إبراهيم بن أحمد المولد

ومنهم المؤيد إبراهيم بن أحمد المولد. صحب أبا عبد الله الجلاء، وإبراهيم ابن داود القصار الرقي.

وكان يقول: حلاوة الطاعات للمخلص مذهبه لوحشة العجب.

سمعت عمرو بن واضح يقول: سمعت إبراهيم بن المولد يقول: عجبت لمن عرف الطريق إلى ربه كيف يعيش مع غيره وهو تعالى يقول: وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له . الزمر 54 .. وكان يقول: من قال بالله أفناه عنه، ومن قال عنه أبقاه له

وكان يقول: من قام إلى الأوامر لله كان بين قبول ورد. ومن قام إليها بالله كان مقبولا بلا شك.

وكان يقول: نفسك سائرة بك، وقلبك طائر بك، فكن مع أقربهما وصولا.

سمعت محمد بن الحسين يقول: أنشدني منصور بن عبد الله قال: أنشدني إبراهيم بن المولد لبعضهم:

لولا مدامع عشاق ولوعتـهـم لبان في الناس عز الماء والنار

فكل نار فمن أنفاسهم قدحـت وكل ماء فمن عين لهم جـار وكان يقول:

ثمن التصوف الفناء فيه، فإذا فنى فيه بقى بقاء الأبد، لأن الفاني عن محبوبه باق بمشاهدة المطلوب، وذلك بقاء الأبد.

حدثنا أبو الفضل الطوسي نصر بن محمد بن أحمد بن يعقوب العطار –قدم نيسابور وكتبت عنه حديث إبراهيم بن أحمد بن المولد الصوفي– حدثنا محمد ابن يوسف –بدمشق– حدثنا سالم بن العباس الوليد الحمصي، حدثنا عبد الرحمن ابن أيوب بن سعيد،

عن أيوب السكوني، حدثنا العطاف بن خالد، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أذن الله لأهل الجنة بالتجارة لاتجروا بالبز والعطر .
تفرد به العطاف عن نافع.
حدثناه عاليا محمد بن المظفر، حدثنا محمد بن سليمان، حدثنا عبد الرحمن بن أيوب الحمصي، حدثنا العطاف بن خالد، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن الله أذن لأهل الجنة في التجارة بينهم لتبايعوا البز والعطر .

صفحة : 1930

حدثنا أبو بكر محمد بن يحيى بن محمد بن المصري –قدم علينا رفيق ابن منده– حدثنا أبو الفتح أحمد بن إبراهيم بن برهان المقرئ، حدثنا إبراهيم بن المولد الصوفي، حدثنا أحمد بن عبد الله بن علي الناقد –بمصر– حدثنا أبو يزيد القراطيسي، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا محمد بن حازم، عن أبي رجاء، عن أبي سنان، عن وائلة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كن ورعاً تكن أعبد الناس .
تفرد به أبو رجاء واسمه محرز بن عبد الله عن يزيد بن سنان.
حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا عبد الرحمن بن سلم، حدثنا سهل ابن عثمان، حدثنا المحاربي، عن أبي رجاء محرز بن عبد الله، عن يزيد بن سنان، عن مكحول، عن وائلة بن الأسقع، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة كن ورعاً تكن أعبد الناس، وكن قانعاً تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب .

علي بن عبد الحميد

ومنهم علي بن عبد الحميد العطائري، المجتهد الزائري، له الأحوال البديعة والأعمال الرفيعة.
سمعت محمد بن الحسين اليقطيني، ومحمد بن إبراهيم، يقولان: سمعنا علي بن عبد الحميد العطائري يقول: دققت على أبي الحسن السري بن المغلس السقطي بابه فسمعته يقول: اللهم من شغلني عنك فأشغله بك عني. فكان من بركة دعائه أني حججت من حلب ماشياً على قدمي أربعين حجة. وكان يعد من الأبدال.
حدثنا محمد بن علي بن عاصم، حدثنا علي بن عبد الحميد العطائري –وكان من الأبدال– حدثنا سوار بن عبد الله، حدثنا معتمر بن سليمان، حدثنا سفيان الثوري، عن معاوية بن صالح، عن محمد بن ربيعة، عن عبد الله بن عامر، قال: سمعت معاوية يقول: قال رسول

. الله صلى الله عليه وسلم: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين

سعيد بن عبد العزيز

ومنهم سعيد بن عبد العزيز الحلبي –سكن دمشق، صحب سريا السقطي أحد الأوتاد، من علماء العباد. تخرج له عدة من الأعلام: إبراهيم بن المولد وطبقته، ملازم للشرع متبع له.

حدثنا محمد بن المظفر، حدثنا سعيد بن عبد العزيز بن مروان أبو عثمان –بدمشق– حدثنا أبو نعيم عبيد بن هشام، حدثنا حفص بن عمران الواسطي، حدثنا عمرو بن كثير، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن أبان ابن عثمان بن عفان، عن أبيه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: من أولى رجلاً من بني عبد المطلب معروفاً في الدنيا فلم يقدر المطلبي على مكافأته فأنا أكافئه عند يوم القيامة .

أبو بكر الشبلي

ومنهم المجتذب الولهان، المستلب السكران، الوارد العطشان. اجتذب عن الكدور والأغيار، واستلب إلى الحضر والأنوار، وسقى بالدنان، وارتهن ممتلئاً ريان. أبو بكر الشهير بالشبلي.

سمعت عمر البناء المزوق البغدادي بمكة يقول: سمعت الشبلي يقول: ليس من احتجب بالخلق عن الحق كمن احتجب بالحق عن الخلق. وليس من جذبته أنوار قدسه إلى أنسه كمن جذبته أنوار رحمته إلى مغفرته.

سمعت محمد بن علي بن حبيش يقول: أدخل الشبلي دار المرضى ليعالج فدخل عليه علي بن عيسى الوزير عائداً، فأقبل على الوزير فقال: ما فعل ربك؟ فقال الوزير: في السماء يقضي ويمضي، فقال: سألتك عن الرب الذي تعبده لا عن الرب الذي لا تعبده –يريد الخليفة المقتدر– فقال علي لبعض حاضريه ناظره. فقال الرجل: يا أبا بكر سمعتك تقول في حال صحتك: كل صديق بلا معجزة كذاب، وأنت صديق فما معجزتك؟ قال: معجزتي أن تعرض خاطري في حال صحوي على خاطري في حال سكري، فلا يخرجان عن موافقة الله تعالى.

سمعت أبا نصر النيسابوري يقول: سمعت أبا زرعة الطبري يحكي عن خير النساج قال: كنا في المسجد فجاءنا الشبلي وهو سكران، فنظرنا ولم يكلمنا فانهجم على الجنيد في بيته وهو جالس مع امرأته مكشوفة الرأس فهمت أن تغطي رأسها، فقال لها الجنيد لا عليك، ليس هو هناك. قال: فصفق على رأس الجنيد وأنشأ يقول:

عودوني الوصال والوصل عذب ورموني بالصد والصد صعب

زعموا حين عاتبوا أن جرمـي فرط حبي لهم وما ذاك ذنـب

لا وحسن الخضوع عند التلاقي ما جزى من يجـب إلا يحـب ثم ولى

.الشبلي فضرب الجنيد رجليه وقال: هو ذاك. وخر مغشياً عليه

صفحة : 1931

أنشدنا محمد إبراهيم بن أحمد قال: أنشدني أبو محمد عبد الله بن محمد الحزبي، قال:
:سمعت الشبلي كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين

والهجر لو سكن الجنان تحولت نعم الجنان على العبيد جحيمـا

والوصل لو سكن الجحيم تحولت حر السعير على العباد نعيمـا سمعت

محمد بن إبراهيم، قال: سمعت أبا الحسن المالكي بطرسوس يقول: اعتل الشبلي علة شديدة فأرجفوا بموته فبادرنا إلى داره فاتفق عنده ابن عطاء وجعفر الخلدي وجماعة من كبار أصحاب الجنيد، قال: فرفع رأسه فقال لهم: مالكم، أيش القصة؟ قال: فقلت وكنت أجرأهم عليه-: مالنا، جئنا إلى جنازتك، فاستوى جالسا فقال: الجوار الجوار، أموات جاءوا .إلى جنازة حي. ثم قال لهم: ويحكم: أحسب أني قد مت فيكم من يقدر أن يحمل هيكلي

سمعت محمد بن إبراهيم يقول: سمعت الشبلي يقول: وقفت بعرفة فطالبت الوقت فما رأيت أحداً له في التوحيد نفس، ثم رحمتهم فقلت: يا سيدي إن منعتهم إرادتك فلا تمنعهم .مناهم منك

سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب الوراق يقول: سمعت الشبلي يقول: ليس للمريد فترة ولا للعارف معرفة ولا للمعرفة علاقة ولا للمحب سكون، ولا للصادق دعوى، ولا للخائف .قرار، ولا للخلق من الله فرار

قال: وسمعته يقول: اللحظة كفر والخطرة شرك، والإشارة مكر، واللحظة حرمان .والخطرة خذلان والإشارة هجران

سمعت عثمان بن محمد العثماني يقول: قال الشبلي: من انقطع اتصل ومن اتصل .انفصل

سمعت أبا القاسم عبد السلام بن محمد المخرمي يقول: سمعت الشبلي وسئل عن قول .الله: ادعوني أستجب لكم . غافر 60 . قال: ادعوني بلا غفلة أستجب لكم بلا مهلة

سمعت محمد بن إبراهيم يقول: سمعت الشبلي يقول: اشتغل الناس بالحروف واشتغل أهل الحق بالحدود، فمن اشتغل بالحروف اشتغل بها خشية الغلبة، ومن اشتغل بالحدود .اشتغل بها خشية الفضيحة

سمعت أبا نصر النيسابوري يقول: سمعت أبا علي أحمد بن محمد يقول: سمعت الشبلي يقول: قوم أصحاء جئتم إلى مجنون، أي فائدة لكم في؟ أدخلت المارستان كذا وكذا مرة،

.وأسقيت من الدواء كذا وكذا دواء، فلم أزدد إلا جنوناً

سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب الوراق يقول: سمعت الشبلي وسئل عن المحبة فقال: المحبة الفراغ للحبيب وترك الاعتراض على الرقيب.

قال: وسمعته يقول: إذا ظننت أني فقدت فحينئذ قد وجدت، وإذا ظننت أني وجدت فهناك فقدت.

.قال: وسمعته يقول: صراط الأولياء المحبة. وقال: المحبة الكاملة أن تحبه من قبله

.وقال: من أحب الله من قبل أن بر الله فهو مشرك

سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن يعقوب الوراق يقول: سمعت أبا بكر الشبلي يقول: صاحب الهمة لا يشتغل بشيء وصاحب الإرادة يشتغل بشيء. وقال: الهمة لله وما دونه ليس بهمة.

قال: وسمعته يقول: ما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم في أتم معانيكم فهو مردود إليكم محدث مصنوع. وقال: من قال الله بالعادة فهو أحمق، ومن قال بالعرض فهو أخرق، ومن قال بالإخلاص فالشرك وطنه، ومن قال الله على أنها حقيقة للحق جهل بالله ظنه، ومن قال الله معتصماً بها فقد جهل أوليته حتى يقول الله بالله.

:قال: وسمعته ينشد في مجلسه

الغيب رطـب ينـادي يا غافلين الصـبـوح

فقلت أهلاً وسـهـلاً ما دام في الجسم روح سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت الشبلي يقول: الأرواح تلطفت فتعلقت عند لدغات الحقيقة فلم تر غير الحق معبودا يستحق العبادة، فأيقنت أن المحدث لا يدرك القديم بصفات معلولة، فإذا صفاء الحق أوصله إليه لا وصل هو.

سمعت محمد بن إبراهيم أبا طاهر يقول: سمعت الشبلي يقول: تاهت الخليقة في العلم، وتاه العلم في الاسم، وتاه الاسم في الذات.

:وسمعته كثيراً ينشد

ودادكم هجر وحبكـم قـلـى ووصلكم صرم وسلمكم حرب وسمعته ينشد كثيراً:

لما بدا طالعاً غابت لهـيبـتـه شمس النهار ولم يطلع لنا قمر

صفحة : 1932

سمعت أبا نصر النيسابوري يقول: سمعت أحمد بن محمد الخطيب يقول: سمعت بكيراً تلميذ الشبلي يقول له: يا أستاذ أين أبغيه؟ فقال له: ثكلتك أمك، وهل يبغي من يأخذ

السموات على أصبع والأرضين على أصبع فيهزهما ويقول: أنا الملك أين الملوك؟ إن الله لم يحجب عن خلقه، إنما الخلق احتجبوا عنه بحب الدنيا.

سمعت أبا نصر يقول: سمعت أحمد بن محمد النهاوندي يقول: مات للشبلي ابن كان اسمه غالبا، فجزت أمه شعرها عليه، وكان للشبلي لحية كبيرة فأمر بحلق الجميع، فقيل له: يا أستاذ ما حملك على هذا؟ فقال: جزت هذه شعرها على مفقود، فكيف لا أحلق لحيتي أنا على موجود.

سمعت أبا نصر النيسابوري يقول: سمعت أحمد بن محمد الخطيب يقول: سمعت الشبلي يقول: من اطلع على ذرة من علم التوحيد حمل السموات والأرضين على شعرة من جفن عينيه.

سمعت أبا نصر يقول: سمعت أحمد يقول: حضرت الشبلي وسئل عن قول بعضهم لا تغرنكم هذه القبور وهدوءها فكم من فرح مسرور، وداع بالويل والثبور. فقال: أيما هي القبور عندك؟ قال: قبور الأموات. فقال: لا، بل أنتم القبور: كل واحد منكم مدفون، فالمعرض عن الله داع بالويل والثبور، والمقبل على الله الفرح المسرور. ثم أنشأ يقول:

قبور الورى تحت التراب وللهوى رجال لهم تحت الثياب قـبـور فقلت له: يا سيدي ونعد في الموتى؟ فقال:

يحبك قلبي ما حييت فإن أمت يحبك عظم في التراب رميم سمعت أبا سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الرازي بنيسابور– يقول: سمعت الشبلي وسئل عن الزهد فقال: تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء.

وقال: من عرف الله خضع له كل شيء لأنه عاين أثر ملكه فيه.

قال: وسمعته يقول وقال له رجل: ادع الله لي، فأنشأ يقول:

مضى زمن والناس يستشفعون بي فهل لي إلى ليلي الغداة شفـيع وقال له رجل: يا أبا بكر نراك جسيماً بديناً والمحبة تضني؟ فأنشأ يقول:

أحب قلبي وما يدري بدنـي ولو درى ما أقام في السمن سمعت أبا طاهر محمد بن إبراهيم يقول: سمعت أبا بكر الشبلي يقول: إن الله تعالى موجود عند الناظرين في صنعه، مفقود عند الناظرين في ذاته.

اخبرني جعفر بن محمد بن نصير –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، قال: سمعت أبا بكر الشبلي يقول: التصوف لا حال يقل، ولا سماء يظل.

سمعت أبا بكر محمد بن أحمد المفيد يقول: سمعت الجنيد بن محمد –وأقبل يوماً على الشبلي– يقول: حرام عليك يا أبا بكر إن كلمت أحداً فإن الخلق غرقى عن الله وأنت غرق في الله.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت الشبلي يقول في قول الله: يمحو الله ما يشاء ويثبت . الرعد 39 . قال: يمحو ما يشاء من شهود العبودية وأوصافها، ويثبت ما يشاء من شواهد الربوبية ودلائلها.

وسئل عن قوله تعالى: والذين هم عن اللغو معرضون . المؤمنون 3 . فقال: كل ما دون الله لغو.

وكان يقول: حفظ الأسرار صونها عن رؤية الأغيار.

وكان يقول: الغيرة غيرتان: غيرة البشرية وغيرة الإلهية على الوقت أن يضيع فيما سوى الله.

اخبرني جعفر بن محمد –في كتابه– وحدثني عنه محمد بن إبراهيم قال: حضرت وفاة الشبلي فأمسك لسانه وعرق حبينه، فأشار إلى وضوء الصلاة فوضأته ونسيت التخليل، تخليل لحيته، فقبض على يدي وأدخل أصابعي في لحيته يخللها، فبكيت وقلت: أي شيء يتهيأ أن يقال لرجل لم يذهب عليه تخليل لحيته في الوضوء عند نزوع روحه وإمساك لسانه وعرق جبينه؟.

سمعت عبد الواحد بن محمد بن عمرو يقول: سمعت بندار بن الحسين يقول: سمعت الشبلي يقول: وكان أكثر اقتراح الجنيد على القوالين هذه الأبيات:

فلو أن لي في كل يوم وليلة ثمانين بحراً من دموع تدفق

لأفنيتها حتى ابتدأت بغيرها وهذا قليل للفتى حين يعشق

أهيم به حتى الممات لشقوتي وحولي من الحب المبرح خندق

وفوقي سحاب تمطر الشوق والهوى وتحتي عيون للهوى تتدفق

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الشبلي يقول: ما أحوج الناس إلى سكرة، فقلت: يا سيدي أي سكرة؟ فقال: سكرة تغنيهم عن ملاحظة أنفسهم وأفعالهم وأحوالهم. وأنشأ يقول:

صفحة : 1933

وتحسبني حياً وإني لميت وبعضي من الهجران يبكي على بعض

سمعت أحمد بن محمد بن مقسم يقول: سمعت أبا بكر الشبلي يقول: والله ما أعطيت فيه الرشوة قط ولا رضيت بسواه ولقد تاه عقلي فيه. وربما قال: غلبت ثماني وعشرين مرة حتى قيل لي مجنون ليلى فرضيت. ثم أنشد:

قالوا جننت على ليلى فقلت لهم الحب أيسره ما بالمجانين ثم أنشد وقال:

جننا على ليلى وجنت بغيرنا: وأخرى بنا مجنونة لا نريدها ثم أنشد

ولو قلت طأ في النار بادرت نحوها سروراً لأني قد خطرت ببالـكـا ثم أنشد:

سألبس للصبر ثوباً جميلا وأدرج ليلي ليلاً طويلا

وأصبر بالرغم لا بالرضا: أعلل نفسي قليلاً قلـيلا ثم أنشد وقال

تنقب وزر فقلـت لـهـم أشهر ما كنت حين أنتقب

إن عرفوني وأثبتوا صفتي أصبحت دراً والدر ينتهب سمعت أحمد بن محمد بن مقسم يقول: حضرت أبا بكر الشبلي وسئل عن قوله تعالى: إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب . ق 37 .

فقال: لمن كان الله قلبه. وأنشد:

ليس مني قلب إليك معنى كل عضو مني إليك قلوب وتلا قوله تعالى: فإذا برق البصر وخسف القمر إلى قوله: إلى ربك يومئذ المستقر . القيامة 7: 1 . فلحقوا فهم ما أشار إليهم، فقال بعضهم: متى يصح ذا؟ قال: إذا مانت الدنيا والآخرة حلماً، والله تعالى يقظة. وأنشد:

دع الأقمار تغرب أو تنير لنا بدر تذل له البـدور

لنا من نوره في كل وقت ضياء ما تغيره الدهور أنشدني منصور بن محمد المقري، قال: أنشدني أحمد بن نصر بن منصور الشاذابي المقري، قال: قيل لأبي بكر الشبلي: مزقت وأبليت كل ملبوسك والعيد قد أقبل والناس يتزينون وأنت هكذا؟ فأنشأ يقول:

قالوا أتى العيد ماذا أنت لابـسـه فقلت خلعة ساق حبه جـزعـا

فقر وصبرهما ثوباي تحتهـمـا قلب يرى إلفة الأعياد والجمعـا

الدهر لي مأتم إن غبت يا أملـي والعيد ما كنت ليمرأى ومستمعا

أحرى الملابس ما تلقى الحبيب به يوم التزاور في الثوب الذي خلعا سمعت منصور بن محمد يقول: دخل أبو الفتح بن شفيع عليه عائداً في دار المرضى،قال: فسمعت صياحه يقول:

صح عند الناس أني عاشـق غير أن لم يعلموا عشقي لمن سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت أبا القاسم عبد الله بن محمد الدمشقي يقول: وقفت يوماً على حلقة أبي بكر الشبلي فوقف سائل على حلقته وجعل يقول: يا الله يا جواد. فتأوه الشبلي وصاح وقال: كيف يمكنني أن أصف بالجود ومخلوق يقول في شكله:

تعود بسط الكف حتى لـوانـه ثناها لقبض لم تجبه أنامـلـه

تراه إذا ما جئته مـتـهـلـلا كأنك تعطيه الذي أنت آمـلـه
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق اللـه سـائلـه
هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله ثم بكى
وقال: بلى يا جواد، فإنك أوجدت تلك الجوارح وبسطت تلك الهموم، ثم مننت بعد ذلك على أقوام بالاستغناء عنهم وعما في أيديهم بك، فإنك الجواد كل الجواد، فإنهم يعطون عن محدود، وعطاؤك لا حد له ولا صفة، فيا جواد يعلو كل جواد، وبه جاد من جاد.

صفحة : 1934

سمعت منصور بن محمد يقول: سمعت أحمد بن منصور بن نصر يقول: جاء ذات يوم الشبلي إلى أبي بكر بن مجاهد، وكان في مسجده غائباً، فسأل عنه فقيل له: هو عند علي بن عيسى، فقصد دار علي فاستأذن فقيل أبو بكر الشبلي يستأذنك. فقال أبو بكر بن مجاهد لعلي بن عيسى: اليوم أريك من الشبلي عجباً. فلما دخل وقعد قال له أبو بكر بن مجاهد: يا أبا بكر، أخبرت أنك تحرق الثياب والخبز والأطعمة وما ينتفع به الناس من منافعهم ومصالحهم، أين هذا من العلم والشرع؟ فقال له: قوله تعالى: فطفق مسحاً بالسوق والأعناق . ص 33 . أين هذا من العلم؟ فسكت أبو بكر بن مجاهد وقال لعلي: كأني لم أقرأها قط. وبلغني عن غيره أنهم عاتبوه في مثله فتلا هذه الآية: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم . الأنبياء 98 . وتلا: إنني براء مما تعبدون . الزخرف 26. . هذه الأطعمة وهذه الشهوات حقيقة الخلق ومعبودهم، أبرأ منهم وأحرقه
سمعت أحمد بن محمد بن مقسم يقول: سمعت أبا بكر الشبلي يقول: نظرت في ذل كل ذي ذل فزاد ذلي عليهم، ونظرت في عز كل ذى عز فزاد عزي عليهم، فإذا عزهم ذل في عزي وتلا في أثره: من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً . فاطر 10 .
وكان يقول: من اعتز بذي العز فذو العز له عز. وقال:
أظلت علينا منك يوماً غمـامة أضاء لها برق وأبطأ رشاشها
فلا غيمها يجلو فييأس طامـع ولا غيثها يأتي فيروي عطاشها فقال له
رجل: يا أبا بكر، أخبرني عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد. فقال: ويحك، من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار إليه فهو ثنوي، ومن أومأ إليه فهو عابد وثن، ومن نطق فيه فهو غافل، ومن سكت عنه فهو جاهل، ومن أرى أنه عتيد فهو بعيد، ومن تواجد فهو فاقد. وسأله رجل عن مقام التوبة فقال له: يطرق سمعي من كتاب الله ما يحدوني على ترك الأشياء والأعراض عن الدنيا، ثم أرد إلى نفسي وإلى أحوالي وإلى الناس، ثم لا أبقى على هذا ولا على هذا، وأرجع إلى الوطن الأول مما كنت عليه من سماعي القرآن.

فقال له: يقول الله: ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك به إلى فهو عطف مني عليك، ولطف مني بك، وما أردك به إلى نفسك فهو شفقة مني لك، لأنك لم يصح لك التبرؤ من الحول والقوة في التوجه إلي.

وسئل عن حقيقة الذكر فقال: نسيان القوى.

وسئل عن التوكل فقال: أن يحملك فيما حملك وسئل عن الخوف فقال: أن تخاف أن يسلمك إليك.

وسئل عن الرجاء فقال: ترجو ألا يقطع بك دونه.

وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: جعل رزقي تحت سيفي فقال: سيفه الله، فأما ذو الفقار فهو قطعة حديد.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت أبا العباس محمد بن الحسن الخشاب يقول: سمعت بعض أصحاب الشبلي يقول: رأيت الشبلي في المنام فقلت له: يا أبا بكر، من أسعد أصحابك بصحبتك؟ فقال: أعظمهم لحرمات الله، وألهجهم بذكر الله، وأقومهم بحق الله، وأسرعهم مبادرة في مرضاة الله، وأعرفهم بنقصانه، وأكثرهم تعظيماً لما عظم الله من حرمة عباده.

ذكر جماعة أدركهم المصنف

قال الشيخ: ذكر جماعة من أعلام العارفين أدركنا أيامهم، انتشرت في العالم أحوالهم لاعتصامهم بالشرع المتين، فكانوا به عالمين وعاملين، وبمعاني الأحوال عارفين قائمين، وبمكارم الأخلاق متمسكين آخذين.

ذكرت عن كل واحد منهم نبذاً مما نقل إلينا من أقوالهم الحميدة، وأحوالهم الشديدة.

ابن الأعرابي

فمنهم الأغر الأبلج، أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي. بصري نزيل مكة، توفي سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة. له التصانيف المشهورة.

حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أبو سعيد احمد بن محمد بن زياد الأعرابي –بمكة– حدثنا الحسن بن علي بن عفان، حدثنا يحيى بن فضيل، عن الحسن بن صالح، عن أبي جناب الكلبي، عن طلحة بن مصرف، عن زر بن حبيش، عن صفوان بن عسال، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسح على الخفين يا رسول الله؟ فقال: نعم، للمسافر ولا تنزع من غائط ولا بول ولا نوم، ويوماً للمقيم .

غريب من حديث طلحة لا أعلم رواه عنه إلا أبو جناب.

سمعت عبد المنعم بن عمر يقول: سمعت أبا سعيد بن الأعرابي يقول: إن الله طيب الدنيا للعارفين بالخروج منها، وطيب الجنة بالخلود فيها. فلو قيل للعارف: إنك تبقى في الدنيا لمات كدا. ولو قيل لأهل الجنة: إنكم تخرجون منها لماتوا كمدا، فطابت الدنيا بذكر الخروج منها، وطابت الجنة بذكر الخلود فيها.

قال: وسئل أبو سعيد: ما الذي ترضى من الأوقات؟ قال الأوقات كلها لله، فأحسن الأوقات وقت يجري فيه على ما يرضيه عني.

وقال: إن الله أعار بعض أخلاق أوليائه أعداءه يستعطفهم بها على أوليائه.

أبو عمررو الزجاجي

ومنهم أبو عمرو الزجاجي محمد بن إبراهيم –نيسابوري الأصل، سكن مكة، حج قريبا من ستين حجة، لم يتغوط في الحرم أربعين سنة وهو مقيم بها، توفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

سمعت أبا بكر الرازي –ببغداد– يقول: قدم مع أبي إسحاق المزكي من مكة فسمعته يقول: سمعت أبا عمرو الزجاجي يقول: كان الناس في الجاهلية يتبعون ما تستحسنه العقول والطبائع، فردهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى اتباع الشرائع، فالعقل الصحيح ما يستحسن محاسن الشريعة، ويستقبح ما تستقبحه.

وسئل أبو عمرو عن الحمية فقال: الحمية في القلب تصحيح الإخلاص وملازمته. والحمية في النفوس ترك الدعوى ومجانبته.

وكان يقول: قسم الله الرحمة لمن اهتم لأمر دينه.

محمد بن عليان

ومنهم محمد بن علي النسوي يعرف بمحمد بن عليان. رفيع الهمة، له الكرامات الظاهرة.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت محمد بن أحمد الفراء، يقول: سمعت محمد بن عليان يقول: الزهادة في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة.

وكان يقول: آيات الأولياء وكراماتهم رضاهم بما سخط العوام من مجاري المقدور.

وكان يقول: المروءة حفظ الدين وصيانة النفس، وحفظ حرمات المؤمنين، والجود بالموجود، وقصور الرؤية عنك وعن جميع أفعالك.

وكان يقول: كيف لا تحب من لا تنفك عن بره طرفة عين؟ وكيف تدعي محبة من لا توافقه طرفة عين؟

أحمد بن أبي سعدان

ومنهم أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي سعدان. بغدادي الأصل، كان ذا لسان وبيان، كان في علوم الشرع أحد الأعلام، ينتحل للشافعي، وله في علم العمال والعباد اللسان الشافي، أقام بطرسوس مدة فبعث رسولا إلى الروم لكمال حاله وبيانه.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت أبا القاسم الرازي يقول: سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول: من علم بعلم الرواية ورث علم الدراية، ومن عمل بعلم الدراية ورث علم الرعاية، ومن علم بعلم الرعاية هدى إلى سبيل الحق.

سمعت محمد بن إبراهيم بن أحمد يقول: سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول: الصابر على رجائه لا يقنط من فضله، ومن سمع بأذنه حكى، ومن سمع بقلبه وعظ، ومن عمل بما علم هدى واهتدى.

وقال: أول قسمة قسمت للنفس من الخيرات الروح ليتروح به من مساكنة الاغترار، ثم العلم ليدله على رشده، ثم العقل ليكون مشيراً للعلم إلى درجات المعارف، ومشيراً للنفس إلى قبول العلم، وصاحباً للروح في الجولان في الملكوت.

أبو الخير الأقطع

ومنهم أبو الخير الأقطع التيتاتي له الآيات. توفي بعد الأربعين. كان السباع والهوام يأنسون بمجالسته ويأوون إليه. كان ينسج الخوص بإحدى يديه.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت أحمد بن الحسين الرازي يقول: سمعت أبا الخير يقول: من أحب أن يطلع الناس على عمله فهو مرائي، ومن أحب أن يطلع الناس على حاله فهو كذاب.

قال: وسمعت جدي إسماعيل بن نجيد يقول: دخل على أبي الخير جماعة من البغداديين يتكلمون بشطحهم بحضرته. فضاق صدره من كلامهم فخرج، فجاء السبع فدخل البيت فانضم بعضهم إلى بعض ساكتين، وتغيرت ألوانهم، فدخل أبو الخير فقال: يا سادتي أين تلك الدعاوي؟ وكان يقول: ما بلغ أحد حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب، وأداء الفريضة، ومحبة الصالحين، وخدمة الفقراء الصادقين.

وكان يقول: القلوب ظروف، فقلب مملوء إيمانا وعلامته الشفقة على جميع المسلمين والاهتمام بما يهمهم، ومعاونتهم على مصالحهم. وقلب مملوء نفاقا وعلامته الحقد والغل والغش والحسد.

سمعت أبا الفضل أحمد بن أبي عمران الهروي يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول:

سمعت أبا الخير الأقطع يقول: إن الذاكر يقول: إن الذاكر لا يقوم له في ذكره عوض، فإذا قام له العوض خرج من ذكره.

سمعت من غير واحد ممن لقي أبا الخير أن سبب قطع يده أنه كان قد عاهد الله أن لا يتناول بشهوة نفسه شيئاً مشتهياً. فرأى يوماً بجبل اللكام شجرة زعرور فاستحسنها فقطع منها غصناً فتناول منها شيئاً من الزعرور، فذكر عهده وتركه، ثم كان يقول: قطعت غصناً فقطع مني عضو.

أبو عبد الله البصري

ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم البصري، صاحب سهل بن عبد الله التستري وحفظ كلامه، سلك مسلك أستاذه سهل وابنه أبي الحسن. أدركته وله أصحاب ينتسبون إليه.

كان أبو عبد الله يقول: من عامل الله على رؤية السبق ظهرت عليه الكرامات.

وكان يقول: تزال عن القلب ظلم الرياء بالإخلاص، وظلم الكذب بنور الصدق، ومن صبر على مخالفة نفسه أوصله الله إلى مقام أنسه.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سأل رجل أبا عبد الله بن سالم وأنا أسمع: أنحن مستعبدون بالكسب أو بالتوكل؟ فقال: التوكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم، والكسب سنته. واستن الكسب للضعفاء عن حال التوكل. ونزل عن درجة الكمال التي هي حاله، فمن أطاق التوكل فغير مباح له كسب يعتمد عليه، ومن ضعف عن التوكل أبيح له طلب المعاش في كسبه لئلا يسقط عن درجة سنته، حيث سقط عن درجة حاله.

وكان يقول: رؤية المنة مفتاح التودد.

وقال: يستر عورات المرء عقله وحلمه وسخاؤه. ويقومه في كل أحواله الصدق.

أبو الحسن البوسنجي

ومنهم أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن البوسنجي. سكن نيسابور، له البيان الشافي في المعارف والتوحيد، وله الفتوة والتجريد. توفي سنة ثمان وأربعين وثلثمائة.

حدثت عن محمد بن عبد الرحمن الشامي، قال: حدثني إسماعيل بن أبي إدريس، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا من الأوجاع كلها أن نقول: بسم الله الكبير أعوذ بالله العظيم من شر عرق نفار، ومن شر حرق النار.

حدثناه سليمان بن أحمد، حدثنا علي بن المبارك الصنعاني، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس

به.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس محمد بن الحسين الخشاب البغدادي يقول: سمعت أبا الحسن البوسنجي وسألته عن السنة، فقال: البيعة تحت الشجرة وما وافق ذلك من الأفعال والأقوال.

وسألته عن التصوف فقال: اسم ولا حقيقة، وقد كان قبل حقيقة ولا اسما.

قال: وسألته عن المروءة فقال: ترك استعمال ما هو محرم عليك مع إكرام الكاتبين.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا الحسن البوسنجي يقول: الناس على ثلاثة منازل: الأولياء وهم الذين باطنهم أفضل من ظاهرهم. والعلماء وهم الذين سرهم وعلانيتهم سواء. والجهال وهم الذين علانيتهم تخالف أسرارهم ولا ينصفون من أنفسهم، ويطلبون الإنصاف من غيرهم.

وسئل عن المحبة فقال: بذل مجهودك مع معرفة محبوبك لأن محبوبك مع بذل مجهودك يفعل ما يشاء.

وقال: التوحيد حقيقة معرفته كما عرف نفسه إلى عباده، ثم الاستغناء به عن كل ما سواه.

وقال: أول الإيمان منوط بآخره، ألا ترى أن عقد الإيمان لا إله إلا الله، والإسلام منوط بأداء الشريعة بالإخلاص. قال الله تعالى: وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين . البينة 5 .

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا الحسن البوسنجي يقول: الخير منازله، والشر لنا صفة.

وسئل عن الفتوة، فقال: حسن المراعاة ودوام المراقبة، وألا ترى من نفسك ظاهراً يخالفه باطنك.

القاسم السياري

ومنهم أبو العباس السياري. الملقن تحف الباري. شيخ المراوزة ومحدثهم وفقيههم، توفي سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة.

صفحة : 1937

حدثنا محمد بن أبي يعقوب، حدثنا القاسم بن القاسم السياري المروزي، حدثنا أبو الموجه محمد بن عمرو بغير حديث. وحدثنا محمد بن الحسين بن موسى، حدثنا عبد الواحد بن علي السياري، حدثنا خالي أبو العباس القاسم بن القاسم السياري، حدثنا أحمد

بن عباد بن سلم –وكان من الزهاد– حدثنا محمد بن عبيدة النافقاني، حدثنا عبد الله بن عبيدة العامري، حدثنا سورة بن شداد الزاهد، عن سفيان الثوري، عن إبراهيم بن أدهم، عن موسى بن يزيد، عن أويس القرني، عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد، ما من عبد يدعو بهذه الأسماء إلا وجبت له الجنة، إنه وتر يحب الوتر، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام، إلى قوله الرشيد الصبور .

مثل حديث الأعرج عن أبي هريرة. حديث الأعرج، عن أبي هريرة صحيح متفق عليه.

وحديث الثوري، عن إبراهيم فيه نظر لا صحة له.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الواحد يقول: سمعت خالي القاسم بن القاسم يقول: كيف السبيل إلى ترك ذنب كان عليك في اللوح المحفوظ محفوظا، وإلى صرف قضاء كان به العبد مربوطا.

وكان يقول: حقيقة المعرفة الخروج عن المعارف، وألا يخطر بقلبه ما دونه، وكان يقول: المعرفة حياة القلب بالله، وحياة القلب مع الله، ومن عرف الله خضع له كل شيء لأنه عاين أثر ملكه فيه. ومن حفظ قلبه مع الله بالصدق أجرى الله على لسانه الحكمة.

وكان يقول: ظلم الأطماع يمنع أنوار المشاهدات.

وكان يقول: الربوبية نفاذ الأمر والمشيئة والتقدير والقضية، والعبودية معرفة المعبود، والقيام بالمعهود.

وكان يقول: قيل لبعض الحكماء: من أين معاشك؟ فقال: من عند من ضيق المعاش على ما شاء من غير علة.

وكان يقول: ما أظهر الله شيئاً إلا تحت ستره وستر شيئية الأشياء حتى لا يستوي علمان ولا معرفتان ولا قدرتان.

جعفر الخلدي

ومنهم جعفر بن محمد بن نصير الخلدي، أبو محمد الخواص السائح اللامح القوام. المزين بالأخلاق الحميدة، والآخذ بالوثائق الأكيدة. كتب الآثار، وصحب الأخيار: الجنيد والثوري ورويما. حج سنين. توفي سنة ثمان وأربعين وثلثمائة.

اخبرني جعفر بن محمد بن نصير –فيما كتب إلى سنة ثلاث وأربعين– حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي، حدثنا حميد، عن أنس: أن الرجل كان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم فيسلم لذلك ثم لا يمسي حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما فيها .

اخبرنا جعفر بن محمد في كتابه، حدثنا موسى بن هارون، حدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا

يونس بن بكير، عن خالد بن يسار، عن المسيب بن دارم، قال: قام الذي قتل عثمان في قتال العدو يستشعر المعركة رجاء أن يقتل فقتل من حوله ولم يقتل حتى مات على فراشه. قال جعفر: رجاء أن يقتل فيكفر عنه قتل عثمان. ولو قتل ألف مرة ما كفر عنه ذلك.

وأخبرني جعفر قال: لا يجد العبد لذة المعاملة مع لذة النفس، لأن أهل الحقائق قطعوا العلائق التي تقطعهم عن الحق قبل أن تقطعهم العلائق.

وقال جعفر: الفرق بين الرياء والإخلاص أن المرائي يعمل ليرى، والمخلص يعمل ليصل.

وقال جعفر: الفتوة احتقار النفس وتعظيم حرمة المسلمين. وقال جعفر لبعض أصحابه: اجتنب الدعاوي والتزم الأوامر فكثيراً ما كنت أسمع سيدنا الجنيد يقول: من لزم طريق المعاملة على الإخلاص أراحه الله عن الدعاوي الكاذبة.

وسئل جعفر عن العقل فقال: ما يبعدك عن مراتع الهلاك.

وسئل عن قوله تعالى: ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله . المائدة 5 . قال: من لا يجتهد في معرفته لا تقبل خدمته.

أبو بكر الطمستاني

ومنهم أبو بكر الطمستاني، العالم الرباني. صحب الأعلام والأكابر، ونبه به الأعلام والأصاغر. قدم أصبهان وخرج منها إلى نيسابور وتوفي بها سنة أربعين وثلثمائة.

سمعت أبا حامد أحمد بن محمد بن رسته الجمال الصوفي يقول: إنه قدم فكان نازلاً عليه فذكر من أحواله الرفيعة، واستصغاره الفانية الوضيعة، وكان يقول: جالسوا الله كثيراً وجالسوا الناس قليلا.

صفحة : 1938

وكان يقول: الطريق واضح والكتاب والسنة قائمة بين أظهرنا، فمن صحب الكتاب والسنة وعزف عن نفسه والخلق والدنيا، وهاجر إلى الله بقلبه فهو الصادق المصيب المتبع لآثار الصحابة، لأنهم سموا السابقين لمفارقتهم الآباء والأبناء المخالفين، وتركوا الأوطان والإخوان، وهاجروا وآثروا الغربة والهجرة على الدنيا والرخاء والسعة وكانوا غرباء، فمن سلك مسلكهم واختار اختيارهم كان منهم ولهم تبعاً.

وكان يقول: لا يمكن الخروج من النفس بالنفس، وإنما يمكن الخروج من النفس بالله وبصحة الإرادة لله.

وكان يقول: من استعمل الصدق بينه وبين ربه حماه صدقه مع الله عن رؤية الخلق

والأنس بهم.

وكان يقول: من لم يكن الصدق وطنه فهو في فضول الدنيا وإن كان ساكناً.

وكان يقول: العلم قطعك عن الجهل فاجتهد ألا يقطعك عن الله.

وكان يقول: النفس كالنار إذا أطفئ من موضع تأجج من موضع، كذلك النفس إذا هدأت من جانب ثارت من جانب.

وكان يقول: كيف أصنع والكون كله لي عدو، وإياك والاغترار بلعل وعسى، وعليك بالهمة فإنها مقدمة الأشياء وعليها مدارها وإليها رجوعها.

أبو العباس أحمد الدينوري

ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري. صحب يوسف بن الحسين ولقى رويما وأبا العباس بن عطاء.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: قال أبو العباس الدينوري: مكاشفات الأعيان بالأبصار، ومكاشفات القلوب بالاتصال.

وكان يقول: إن أدنى الذكر أن ينفي ما دونه ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر في الذكر عن الذكر ويستغرق بمذكوره عن الرجوع إلى مقام الذكر. وهذا حال فناء الفناء.

وكان يقول: لله عباد لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته، وله عباد لم يستصلحهم لخدمته فأهملهم. وكان يقول لا بلاغ إلى مراتب الأخيار إلا بالصدق، وكل وقت خلا عن الصدق فباطل.

وكان يقول: المحب اختار المكروه والأثقال لرضا محبوبه يبتغي لذلك رضاه وهو غاية المنى.

وأنشدوا:

رأيتك يدنيني إليك تباعـدي فباعدت نفسي لابتغاء التقرب

أحمد بن عطاء

ومنهم أبو عبد الله أحمد بن عطاء بن أحمد الروذباري، له من فنون العلم الحظ الجزيل، توفي بصور سنة تسع وخمسين وثلثمائة. ورد علينا نعيه وأنا مقيم بمكة.

سمعت أبا الفضل الهروي يقول: حضرت أحمد بن عطاء وسئل عن القبض والبسط وحال من قبض ونعته، وحال من بسط ونعته، فقال: القبض أول أسباب الفناء، والبسط أول أسباب البقاء، فحال من قبض الغيبة، وحال من بسط الحضور. ونعت من قبض الحزن، ونعت من بسط السرور.

وكان يقول: الذوق أول المواجيد، فأهل الغيبة إذا شروبوا طاشوا، وأهل الحضور إذا شربوا عاشوا.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا نصر الطوسي يقول: سمعت أبا عبد الله الروذباري يقول: رأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي: أي شيء أصح في الصلاة؟ فقلت: صحة القصد، فسمعت هاتفاً يقول: رؤية المقصود بإسقاط رؤية القصد أتم.

وكان يقول: مجالسة الأضداد ذوبان الروح، ومجالسة الأشكال تلقيح للعقول. وليس كل من يصلح للمجالسة يصلح للمؤانسة، وليس كل من يصلح للمؤانسة يؤمن على الأسرار، ولا يؤمن على الأسرار إلا الأمناء فقط.

وكان يقول: الخشوع في الصلاة علامة الفلاح، قال الله تعالى: قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون . ، . المؤمنون 1

بندار بن الحسن

ومنهم أبو الحسين بندار بن الحسن بن محمد بن المهلب. كان بعلم الأصول مهذبا، وفي الحقائق مقربا. كان له القلب العقول واللسان السئول. وكان للمخلصين عضدا، وللمريدين مسددا. توفي سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة. وحضر مجلسه أبو زرعة الطبري، شيرازي المولد، سكن أرجان. أسند الحديث.

صفحة : 1939

اخبرنا محمد بن الحسين في كتابه، حدثنا علي بن عبد الله بن مبشر الواسطي، حدثنا محمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا مالك بن أنس، عن سعيد المقبري، عن أبي سلمة قال: سألت عائشة: كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان؟ فقالت: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة. كان يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً مثلهن، ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ قال: يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي .

حدثنا أبو بكر بن خلاد، حدثنا محمد بن غالب، حدثنا القعنبي، عن مالك به.

سمعت عبد الواحد بن محمد بن بندار يقول: سألت بندار بن الحسن عن الفرق بين المتصوفة والمتقرئة فقال: إن الصوفي من اختاره الحق لنفسه فصافاه وعن نفسه... ومن التكلف برأه –والصوفي على زنة عوفي، أي عافاه. وكوفي أي كافاه، وجوزي أي جازاه الله، ففعل الله ظاهر في اسمه. وأما المتقري فهو المتكلف بنفسه، المظهر لزهده مع كمون رغبته وترئية بشريته، اسمه مضمر في فعله لرؤيته نفسه ودعواه.

وسئل أيضاً عن الفرق بين التقري والتصوف فقال: القارئ هو الحافظ لربه من صفات

أوامره. والصوفي الناظر إلى الحق فيما حفظ عليه من حاله. وقال: الصوفي حروفه ثلاثة، كل حرف لثلاث معان: فالصاد دلالة صدقه وصبره وصفائه. والواو دلالة وده وورود ووفائه. والفاء دلالة فقره وفقده وفنائه. والياء للاضافة والنسبة، وأهل الحروف والإشارات يقيمون حرف الياء في الابتداء والانتهاء، ففي الابتداء النداء وفي الانتهاء النسبة والإضافة، ففي الابتداء يا عبد، وفي الانتهاء يا عبدي. ففي الأول للنداء وفي الانتهاء للإضافة والنسبة.

وكان يقول: الجمع ما كان بالحق والتفرقة ما كان للحق.

وكان يقول: لا تخاصم لنفسك فإنها ليست لك، دعها لمالكها يفعل بها ما يشاء.

وكان يقول: دع ما تهوى لما تؤمل.

وقال: القلب مضغة وهو محل الأنوار، وموارد الزوائد من الجبار، وبها يصح الاعتبار. جعل الله القلب أميراً فقال: إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب . ق 37 . ثم جعله لديه أسيراً فقال: يحول بين المرء وقلبه . الأنفال 24 .

ابن حفيف

ومنهم أبو عبد الله محمد بن حفيف. الحنيف الظريف. له الفصول في النصول، والتحقق والتثبت في الوصول، لقي الأكابر والأعلام. صحب رويما وأبا العباس بن عطاء وطاهراً المقدسي وأبا عمرو الدمشقي. وكان شيخ الوقت حالاً وعلماً. توفي سنة إحدى وسبعين وثلثمائة.

ومن مفاريد ما سمع منه ما: اخبرنا في إجازته وكتابه إلي قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن شاذهرمز، حدثنا زيد بن أخرم، عن أبي داود، عن شعبة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما عرج بي إلى السماء سمعت تذمراً فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: موسى يتذمر على ربه، فقلت: ولم ذلك؟ قال: عرف ذلك منه فاحتمله .

هذا من حديث شعبة متكرر. أبو داود وزيد ثبتان لا يحتملان هذا. ولعل أدخل لابن شاذ هرمز حديثاً في حديث عبد الله بن مسعود.

حدثنا القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا شعيب بن أحمد الدارعي، حدثنا الخليل أبو عمرو وعيسى بن المساور قالا: حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا قنان بن عبد الله النهمي، عن ابن ظبيان، عن أبي عبيدة بن عبد الله ابن مسعود، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سمعت كلاماً في السماء فقلت يا جبريل من هذا؟ قال: هذا موسى. قلت: ومن يناجي؟ قال: ربه. قلت: ويرفع صوته على ربه؟ قال: إنه قد عرف له حدته .

ومن أجوبته فيما سئل عن السكر فقال: غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب. وقال: الخوف اضطراب القلب مما علم من سطوة المعبود.

وسئل عن الرياضة فقال: كسر النفوس بالخدمة، ومنعها عن الفترة، وقال: التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله.

وقال: التوكل الاكتفاء بضمانه وإسقاط التهمة عن قضائه.

وقال: اليقين تحقيق الأسرار بأحكام المغيبات.

وقال: المشاهدة اطلاع القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر الحق من الغيوب.

وقال: المعرفة مطالعة القلوب لإفراده عن مطالعة تعريفه.

صفحة : 1940

وقال: التوحيد تحقيق القلوب بإثبات الموحد بكمال أسمائه وصفاته ووجود التوحدي مطالعة الأحدية على أرضات السرمدية، والإيمان تصديق القلوب بما أعلمه الحق من الغيوب، ومواهب الإيمان بوادي أنواره والملبس لأسراره، وظاهر الإيمان النطق بألوهيته على تعظيم أحديته. وأفعال الإيمان التزام عبوديته والانقياد لقوله، والإنابة التزام الخدمة وبذل المهجة. والرجاء ارتياح القلوب لرؤية كرم الموجد. وحقيقة الرجاء الاستبشار لوجود فضله وصحة وعده، والزهد سلو القلب عن الأسباب ونفض الأيدي عن الأملاك. وحقيقة الزهد التبرم بالدنيا ووجود الراحة في الخروج منها، والقناعة الاكتفاء بالبلغة. وحقيقة القناعة ترك التشوف إلى المفقود والاستغاء بالموجود.

وسئل عن الذكر فقال: اعلم أن المذكور واحد والذكر مختلف، ومحل قلوب الذاكرين متفتوتة. فأصل الذكر إجابة الحق من حيث اللوازم لقوله عليه الصلاة والسلام: من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته .

ثم ينقسم الذكر قسمين ظاهر وباطن، فأما الظاهر فالتهليل والتحميد والتمجيد وتلاوة القرآن. وأما الباطن فتنبيه القلوب على شرائط التيقظ على معرفة الله وأسمائه وصفاته، وعلى أفعاله ونشر إحسانه وإمضاء تدبيره ونفاذ تقديره على جميع خلقه، ثم يقع ترتيب الأذكار على مقدار الذاكرين، فيكون ذكر الخائفين على مقدار قوارع الوعيد، وذكر الراجين على ما استبان لهم من موعده، وذكر المجتنبين على قدر تصفح النقباء، وذكر المراقبين على قدر العلم باطلاع الله إليهم، وذكر المتوكلين على قدر ما انكشف لهم من كفاية الكافي لهم، وذلك مما يطول ذكره ويكثر شرحه. فذكر الله منفرد وهو ذكر المذكور بانفراد أحديته على كل مذكور سواه، لقوله تعالى: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي . . والثاني إفراد النطق بألوهيته. لقوله عليه الصلاة والسلام: أفضل الذكر لا إله إلا الله ذكر جماعة من المحدثين من أهل أصبهان قال الشيخ: سألتم عن إيداع ذكر جماعة من نساك بلدنا وعبادهم ليكون الكتاب متوما بذكرهم ونشر أحوالهم. واعلموا أن طريقة

المتقدمين من نساك بلدنا القدوة والاتباع لمتقدميهم من العمال والعلماء الذين لحقوا الأئمة والأعلام.

وقد ذكرت جماعة منهم في كتابنا بطبقات المحدثين من الرواة من أهل بلدنا: منهم محمد بن يوسف المعداني المعروف بعروس الزهاد ومن ينجو نحوه في التنسك والتعبد، والغالب من أحوالهم اغتنام الوقت وعنايته بجمع الهم ومحافظة الأوراد للارتياد، والتسارع إلى الاستباق. فأما بسط الكلام في الأحوال والمقامات قولاً بلا فعل فيرونه دعاوى لا حقيقة لها، يحترزون منها غاية التحرز، لا يريدون عما حواليهم بدلا، ولا يبغون عنها حولا. كانوا كما وصفهم به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، من أحوال المختارين من الصحابة والسالكين طريقته من التابعين فيما رواه عنه نوف البكالي وكميل بن زياد وغيرهما، وهو ما: حدثناه إبراهيم بن إسحاق، حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، حدثنا علي بن حجر، حدثنا يوسف بن زياد، عن يوسف بن أبي المتيد، عن إسماعيل ابن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: قال علي بن أبي طالب: كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً بالعمل، فإنه لن يقبل عمل إلا مع التقوى، وكيف يقل عمل يتقبل .

كانوا بالله عالمين ولعباده ناصحين، كما: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا أبو نعيم بن صرد، حدثنا علي بن هشام بن اليزيد، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن عمر بن علي، عن حسين، عن أبيه، عن علي قال: أنصح الناس وأعلمهم بالله أشد الناس حباً وتعظيماً لحرمة أهل لا إله إلا الله.

وكما رواه عبد خير بن علي وهو ما: حدثناه عمر بن محمد بن عبد الصمد، حدثنا الحسين بن محمد بن غفير، حدثنا الحسن بن علي السيسري، حدثنا خلف بن تميم، حدثنا عمر الرحال، عن العلاء بن المسيب، عن عبد خير، عن علي قال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك وأن يعظم حلمك وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا لأحد رجلين: رجل أذنب فهو يدارك ذلك الذنب بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات. ولا يقل عمل في تقوى، وكيف يقل عمل يتقبل.

صفحة : 1941

كانوا بالصحابة مقتدين، ولسبيلهم متبعين يصبحون شعثاً غيرا صفرا بين أعينهم مثل ركب المعزى، باتوا يتلون كتاب الله، يميدون عند ذكر الله كما تميد الشجرة في يوم ريح، كانوا مصابيح الهدى. لم يكونوا بالجفاة المرائين، خلق الثياب جدد القلوب. في الدنيا زاهدين وفي الآخرة راغبين وعن الله فهمين وفي قراءة كلامه متدبرين، وبمواعظه متعظين

وبصنائعه معتبرين. اتخذوا الأرض بساطاً ورمالها فراشاً والقرآن والدعاء دثاراً وشعاراً، عبدوه في بيوت بالقلوب الطاهرة والأبصار الخاشعة. هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فقاموا لله بحجته وتبيانه، فاستلانوا ما استوعروه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون. حصبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى.

فهذه نعوت الأصفياء من الأولياء، والنجباء من الأتقياء. من سلك مسلكهم مقتدياً بأفعالهم مراعياً لأحوالهم المنتفع برؤيته، والمغبوط وصحبته.

حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن شمر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أيها الناس، ألا أنبئكم بخياركم؟ قالوا: بلى، قال: الذين إذا رءوا ذكر الله وإذا تكلموا كان كلامهم لعز الإسلام ونجاة النفوس وصلاحها، لا لعز النفوس وطلب الدنيا وقبول الخلق، وكانوا لعلمهم مستعملين ولرأيهم متهمين، ولسبيل أسلافهم متبعين، وبكتاب الله وسنة نبيه متمسكين. الخشوع لباسهم، والورع زينتهم والخشية حليتهم. كلامهم الذكر وصمتهم الفكر. نصيحتهم للناس مبذولة، وشرورهم عنهم مخزونة، وعيوب الناس عندهم مدفونة. ورثوا جلاسهم الزهد في الدنيا لإعراضهم وإدبارهم عنها، ورغبوهم في الآخرة لإقبالهم وحرصهم عليها .

النعمان بن عبد السلام

فمن المتقدمين الذين ذكرناهم في كتاب طبقات المحدثين والرواة من أهل أصبهان النعمان بن عبد السلام أبو المنذر. كان عبد السلام والده يلي أمر السلطان ومات عن ضيعة نفيسة ومال جم، فترك ذلك كله ورغب عنها زهداً فيها. صحب سفيان الثوري ومالك بن أنس.

سمعت أبا محمد بن حيان يحكي، عن أبي عبد الله الكسائي يقول: بلغني أن رجلاً رأى في المنام كأن ملكاً يقول لآخر وهو على سور المدينة: اقلب، قال: كيف أقلب والنعمان بن عبد السلام قائم يصلي.

ابن معدان

ويليه في الفضل والعلم والعبادة محمد بن يوسف بن معدان بن سليم عروس الزهاد. وقد تقدم ذكره. وكذلك أخواه عبد الرحمن وعبد العزيز. وتوفي محمد بن يوسف بالمصيصة ودفن إلى جنب مخلد بن الحسين. فارق ضياعه زاهداً فيها.

وكان يقول: لقد خاب من كان حظه من الدنيا. وكان يتمثل كثيراً بهذا البيت:

إذا كنت في دار الهوان فإنما ينجيك من دار الهوان اجتنابها

عامر بن حمدويه

ومنهم عامر بن حمدويه الزاهد. سكن مسيلة. صحب سفيان الثوري وسمعته يروي عنه مسائل.

عصام بن يزيد

ومنهم عصام بن يزيد بن عجلان أبو سعيد الملقب بخير. صحب سفيان الثوري ثلاث عشرة سنة، وكان رسوله إلى أمير المؤمنين المهدي، فعرض عليه المهدي براً ومالاً فلم يقبل، ثم رجع من عنده إلى سفيان فقال لسفيان: لو أتيتهم؟ فقال سفيان: أتراني أخاف هوانهم؟ إنما أخاف كرامتهم. فلما مات سفيان رجع إلى أصبهان وسكنها.

موسى بن مساور

ومنهم موسى بن مساور أبو الهيثم الضبي. روى عن سفيان بن عيينة ووكيع. وكان جيداً فاضلاً، ترك ما ورثه عن أبيه لإخوته تورعاً، ولم يتناول منه شيئاً، لأن أباه كان يتولى للسلطان. له الآثار المشهورة في بناء الرباطات وإصلاح الطرق.

سمعت أبا محمد بن حيان يقول: بلغني أنه رؤي في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي. مررت يوماً بامرأة تحمل جراباً ثقل عليها فحملته معها فشكر الله لي ذلك فغفر لي.

محمد بن الوليد

ومنهم محمد بن الوليد الأموي، من أهل المدينة، سمع سفيان بن عيينة، يعد من الأبدال. له الدعوة المجابة.

محمد بن النعمان

صفحة : 1942

ومنهم محمد بن النعمان بن عبد السلام. صحب وكيعاً وسفيان بن عيينة وأبا بكر ابن عياش. له الورع الثخين والعقل الرصين. كان زيد بن أخرم يسميه عابد أهل أصبهان. كان دأبه المجاهدة والمكابدة الدائمة حتى ضعف وخيف على عقله. ثم رجع إلى الميسور، ترك خشونة المطعم والملبس.

سمعت أبا محمد بن حيان يقول: سمعت أحمد بن محمد بن صبيح يقول: سمعت محمد بن النعمان يقول: دانقاً تدفعه في مظلمة أحب إلي من مائة ألف تتصدق بها.

سمعت أبا محمد بن حيان يقول حدثني محمد بن الحسين بن المهلب، حدثنا محمد بن

.عاصم، قال: سمعت محمد بن النعمان، يقول: المصر لا يقبل له عمل

صالح بن مهران

ومنهم أبو سفيان صالح بن مهران كان يقال له الحكيم. يكتب كلامه، قال سليمان الشاذكوني: ما رأيت أورع من أبي سفيان.

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن علي بن الجارود، حدثنا محمد بن عاصم، قال: سمعت أبا سفيان يقول: ليستيقن الناس أنهم لا يرون في الإسلام فرحاً. وكان يقول: كل صاحب صناعة لا يقدر أن يعمل في صناعة إلا بآلة، وآلة الإسلام العلم، وإذا رأيت العالم لا يتورع في علمه فليس لك أن تأخذ عنه.

وكان يقول: وضعوا مفاتيح الدنيا على الدنيا فلم تنفتح فوضعوا عليها مفاتيح الآخرة فانفتحت.

سمعت أبا محمد بن حيان يقول: حدثنا محمد بن يحيى بن منده، حدثنا محمد ببن عاصم، قال: سمعت أبا سفيان يقول: الورع ورعان: ورع صواب وورع أحمق، فالصواب أن تقول للرجل: من أين جئت؟ فيقول: من السوق. والورع الأحمق أن تقول للرجل: من أين جئت؟ فيقول من المسجد إن شاء الله.

وكان يقول: كل عمل يعمل لغير الله فهو ذنب على عامله. والإخلاص اليقين.

عبد الله بن خالد

ومنهم عبد الله بن خالد. كان من التعبد والورع بالمحل الرفيع، فأكره على قضاء البلد. لقي سفيان بن عيينة وشعيب بن حرب وإبراهيم بن أبي بكر الشيباني.

سمعت أبا محمد بن حيان يحكي، عن أبي عبد الله السليمي الفقيه، قال: سمعت يحيى بن مطرف يقول: مر عبد الله بن خالد يوماً يريد مجلس الحكم وجونته على عنق غلام له، فوقع لرجل حمله عن حمار له، فقال: أعينوني على حمل هذا. فقال عبد الله لغلامه: ضع الجونة، ووضع عبد الله كساءه على عاتقه فحمل مع غلامه على حمار الرجل، ثم لبس كساءه وتوجه إلى المجلس. وجلس يوماً بالمدينة للقضاء فحكم بشيء فقال المحكوم عليه: أيها القاضي حدا بترس؟ قال فوضع يده على رأسه وجعل يضرب بيده على رأسه ويقول: قاضي خاكس بسر قاضي خاكس بسر فختم جونته وديوانه وهرب، فلم ير بعده إلا يوماً في الثغر حارساً.

رجاء بن صهيب

ومنهم أبو غسان رجاء بن صهيب الجرواني، أحد المعرضين عن الدنيا الراحلين عنها.

وكان يقول: نعم الدار الدنيا طريقاً إلى الجنة، ومن اتخذ الدنيا طريقاً لم يعرج على ما

.فيها. فالدنيا طريق الأكياس، غنموا فيها النفوس ورحلوا بها عنها

عبد الله بن داود

.ومنهم عبد الله بن داود –سنديله، كان من المتعبدين خيراً فاضلاً مجاب الدعوة
.أسند الكثير. يحدث عن الحسين بن حفص
سمعت والدي يحكي، عن محمد بن يحيى بن منده أنه سمع عبد الله ابن داود يقول: من علامات الحق البغض لمن يدين بالهوى، ومن أحب الحق فقد وجب عليه البغض لأصحاب الهوى –يعني بأصحاب الهوى الذين عدلوا عن الآثار وتبعوا الآراء-.

إبراهيم بن عيسى

ومنهم إبراهيم بن عيسى الزاهد. صحب معروفاً الكرخي وسمع من أبي داود الطيالسي ومحمد بن المقرئ.
سمعت أبا محمد بن حيان يقول، حدثنا حيوة بن أبي شداد –بنهاوند– حدثني أبو جعفر الداني قال: كنت في دار إبراهيم بن عيسى وكان إذا فرغ من صلاته وقت السحر يدعو لليهود والنصارى والمجوس: اللهم اهدهم. فإذا فرغ من دعائه يرفع يديه يقول: اللهم إن كنت مدخلي النار فعظم خلقتي حتى لا يكون لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيها موضع. ومن كلامه: المؤمن حسن بالله ظنه واثق بوعده، اتخذ التقوى رقيباً والقرآن دليلاً والخوف محجة والشوق مطية والوجل شعاراً والصلاة كنزاً والصبر وزيراً والحياء أميراً لا يزداد لله براً وصلاحاً إلا ازداد الله عليه خوفاً. أحسن الظن بالله فأحسن العمل.

صفحة : 1943

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر –إملاء– حدثنا العباس أحمد بن محمد البزاز المدني، حدثنا إبراهيم بن عيسى الزاهد، حدثنا أحمد الدينوري، حدثنا عبد العزيز بن يحيى، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يطلع عليكم رجل من أهل الجنة. فطلع معاوية. ثم قال من الغد مثل ذلك فطلع معاوية، ثم قال من الغد مثل ذلك فطلع معاوية .

عبد الوهاب الضبي

ومنهم عبد الوهاب بن المنذر الضبي. فقيه عابد صوام قوام، كان له كل يوم ختمة. كان هذا دأبه إلى أن مات. روى عن معتمر بن سليمان.
سمعت أبي يقول: حكى لي عنه أنه قال: لكل شيء أول، وأول الخير الاستغفار، قال

.تعالى: استغفروا ربكم إنه كان غفارا . نوح 10 . يعني لا يزال يغفر للمستغفرين

حامد شاذة

ومنهم حامد بن المسبور بن الحسين المؤذن –مؤذن الجامع– يعرف بشاذة. كان يعرف .بالدعاء المجاب، من الأمناء والنصحاء. حدث عن سليمان بن حرب وأزهر ابن سعيد

حدثنا أبي، حدثنا محمد بن أحمد بن أبي يحيى، حدثنا حامد بن المسبور، حدثنا أزهر بن سعيد، عن محمد بن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف .

أسيد بن عاصم

ومنهم أبو الحسين أسيد بن عاصم بن محمد. كان هو وأخوه محمد بن علي ممن سلكوا مسلك أصحاب سفيان الثوري في العلم والعبادة ومكارم الأخلاق وفواضل الأعمال. يفزع إلى أدعيتهم عند نزول المحن والأعلال فترى الإجابة في الوقت. يقصدون من الديار .والنواحي البعيدة يسألون الدعاء في عوارضهم فيدعون فيرون الإجابة

حدثنا عبد الله بن الحسين بن بندار، حدثنا أسيد بن عاصم، حدثنا الحسين بن حفص، حدثنا سفيان، عن يونس بن عبيد، عن شعيب، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق صفية وجعل عتقها صداقها .

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أبو علي بن إبراهيم، حدثنا أسيد ابن عاصم، حدثنا إسماعيل بن عمر، حدثنا قيس بن عمار الذهني، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يا أيها الناس، إنه لا دين لمن دان بجحود آية من كتاب الله. يا أيها الناس، إنه لا دين لمن دان بفرية باطل ادعاها على الله. يا أيها الناس، إنه لا دين لمن دان بطاعة الله من عصى الله .

أبو جعفر الفريابي

ومنهم أحمد بن معاوية بن الهذيل أو جعفر الفريابي وأخوه الهذيل بن معاوية. كان سمتهما في التعبد والاتباع والاقتداء سمت البدلاء والأولياء. سمعا الحديث من أصحاب .الثوري والحسين بن حفص وغيره

حدثنا أبي، حدثنا محمد بن يحيى بن منده، حدثنا أحمد بن معاوية، حدثنا حسين بن حفص، حدثنا إبراهيم –يعني ابن طهمان– عن ابن سعيد –وهو عمر بن سعيد– عن الأعمش، عن عمرو بن مرة الحمصي، عن أبي البختري قال: جاء أعرابي فبال في المسجد فأخذوه فسبوه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم فصب على مكان البول الماء ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنكم بعثتم هداة ولم تبعثوا مضلين، كونوا معلمين ولا تكونوا معاندين.

أرشدوا الرجل . قال: ثم جاء من الغد فقال: اللهم اغفر لي ولمحمد ولا تغفر لأحد غيرنا. قال ففعلوا به مثل ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنكم بعثتم هداة ولم تبعثوا مضلين، كونوا معلمين ولا تكونوا معاندين، أرشدوا الرجل .

عمرو بن سعيد هو أخو سفيان بن سعيد، لا أعلم رواه، عن الأعمش بهذا اللفظ غيره. حدثنا أبي، حدثنا محمد بن يحيى بن منده، حدثنا أحمد بن معاوية، حدثنا الحسين بن حفص، حدثنا أبو هانئ بن سفيان، عن الأعمش،عن إبراهيم التيمي قال: إني ليأتي علي الشهر والشهران لا أطعم شيئاً.

حدثنا أبي وأبو محمد بن حيان قالا: حدثنا محمد بن يحيى بن منده، حدثنا الهذيل بن معاوية، حدثنا إبراهيم بن أيوب، حدثنا النعمان بن سفيان، عن منصور بن صفية، عن أمه، عن عائشة قالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن سب الأموات وقال: طوبى لمن وجد في صحيفته استغفار كثير .

صفحة : 1944

حدثنا عبد الله بن محمد بن يحيى بن منده، حدثنا الهذيل بن معاوية، حدثنا إبراهيم بن أيوب، عن ابن هانئ، عن محمد بن الربيع، عن الثوري، عن حماد بن يحيى الأجلح، عن محمد بن واسع، عن مطرف بن الشخير قال: من صفى صفى له، ومن خلط خلط له.

حدثنا أبي، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا الهذيل بن معاوية، حدثنا إبراهيم بن أيوب، حدثنا النعمان، عن سفيان، عن يحيى بن أبي سعيد قال: ما أخوان في الإسلام أحدهما يعرف والآخر لا يعرف وهو في مثل حاله إلا كان أفضلهما الذي لا يعرف.

أحمد بن محمد بن إسحاق

ومنهم المقرون تعبده وتقشفه بالبذل والسخاء، أبو عثمان أحمد بن محمد بن إسحاق بن يزيد بن عجلان. ختن ابن رجاء بن صهيب. كانت العبادة عنه مشهورة، والكرم عنه مأثور ومذكور. كان كثير الحديث: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد الزهري، حدثنا أبو عيسى، حدثنا الأصمعي، عن أبي طلحة، عن أبي الرجال، عن عمرة، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بيت لا تمر فيه جياع أهله .

موسى الخزاز

ومنهم الناسك النبيه ذو الفضل الكثير أبو عبد الرحمن بن عبد الرحمن الخزاز.

سمعت أبا محمد بن حيان يقول: كان له الفضل والعبادة والنسك الكثير، وكان تخلى في داره مستأنساً بذكره ومشاهدته.

أسند الكثير.

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا محمد بن يحيى بن منده، حدثنا موسى بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن النعمان، عن سفيان، عن عمرو ابن دينار، وأبي الزبير، عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى ولا يدعها للشيطان، ولا يمسحن أحدكم يده بالمنديل حتى يلعقها أو يلعقها فإنه لا يدري في أي طعامه البركة .

أحمد بن مهدي

ومنهم ذو الدين المتين، والمحدث الأمين. أنفق على العلم المال الكثير المنور المنير آثار الرسول البشير النذير، كان ذا سخاء وكرم، راقب المعبود وخدم، حليف العبادة والسهر، أليف السنة والأثر، أبو جعفر أحمد بن مهدي بن رستم.

سمعت علي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم يقول: قال أحمد بن مهدي: جاءتني امرأة ببغداد ليلة من الليالي فذكرت أنها من بنات الناس، وأنها امتحنت بمحنة، وقالت لي: أسألك بالله أن تسترني. فقلت: وما محنتك؟ فقالت أكرهت على نفسي وأنا حبلى، وذكرت للناس أنك زوجي وأن ما بي من الحمل فمنك، فلا تفضحني واسترني سترك الله. فسكت عنها ومضت. فلم أشعر حتى وضعت وجاء إمام المحلة في جماعة الجيران يهنئوني بالولد الميمون النجيب، فأظهرت التهلل، ووزنت في اليوم التالي دينارين ودفعتهما إلى الإمام فقلت: أبلغ هذا إلى تلك المرأة لتنفقها على المولود فإنه سبق ما فرق بيني وبينها، فكنت أدفع في كل شهر دينارين أوصلهما إليها بيد الإمام وأقول: هذا نفقة المولود. إلى أن أتى على ذلك سنتان. ثم توفي المولود فجاءني الناس يعزونني فكنت أظهر لهم التسليم والرضا. فجاءتني المرأة بعد ذلك ليلة من الليالي ومعها تلك الدنانير التي كنت أبعث بها إليها بيد الإمام فردتها وقالت: سترك الله كما سترتني. فقلت لها: هذه الدنانير كانت صلة مني للمولود وهي لك لأنك ترثينه فاعملي فيها ما تريدين.

سمعت أبا محمد بن حيان يقول: كان أحمد بن مهدي ذا مال كثير فأنفقه كله على العلم، نحو ثلثمائة ألف درهم، وذكر أنه لم يعرف له فراش أربعين سنة.

حدثنا أحمد بن جعفر بن سعيد، حدثنا أحمد بن مهدي، حدثنا عمر بن خالد المصري، حدثنا عيسى بن يونس، عن سفيان، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن الأغر، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة يوماً من الدهر، أصابه قبل ذلك ما أصابه .

حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أحمد بن مهدي، حدثنا سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة، عن عبيد الله، حدثنا أبي، عن جدي، عن موسى بن طلحة،

عن أبيه قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد صعد على المنبر فتلا هذه الآية: رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . الأحزاب 23 . الآية، فسأله رجل: يا رسول الله من هؤلاء? فأقبلت وعلى ثوبان أخضران فقال: أيها السائل هذا منهم .

محمد بن معروف العطار

صفحة : 1945

قال الشيخ: ومن المشهورين بالنسك والعبادة والورع محمد بن معروف العطار، المعروف بمؤملة، كان إمام الجامع، سمع من يحيى بن سعيد القطان ويزيد بن هارون، وهو الذي ينسب إليه المسجد، مسجد مؤملة بن معروف.

حدثنا أبو عمرو محمد بن عبد الله بن محمد بن معروف، حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا الهيثم بن حكيم، قال: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله –أو قال لا يشرك بالله شيئاً– دخل الجنة .

هارون الراعي

ومنهم أبو عبد الرحمن الراعي هارون بن سعيد كان من الزاهدين والسائحين. لقي بالشام أبا سليمان الداراني ومحمد بن المبارك الصوري وأحمد بن عاصم الأنطاكي. حدث عنه أبو مسعود الرازي في مسنده سمع من عبد الرحمن بن إبراهيم بن دحيم ومحمد بن أبي السري العسقلاني وطبقتهم.

حدثنا أبو محمد بن حيان –من أصله– حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس، حدثنا أبو عبد الرحمن الراعي، حدثنا دحيم، حدثنا ابن قديد، حدثنا يحيى ابن أبي خالد، عن ابن أبي سعيد الأنصاري، عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الندم توبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا محمد بن عبيدة بن الوليد، حدثنا أبو عبد الرحمن الراعي، حدثنا هارون بن سعيد، حدثنا عبد العزيز بن عمران، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله . الحجرات 1 . قال لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

العباس بن إسماعيل

ومنهم أبو الفضل العباس بن إسماعيل الطامدي، كان من العبادة والخلوة بالمحل المكين مع ما كان يرجع إليه من العلم الواسع النافع.

سمعت أبي يقول: سمعت احمد بن جعفر بن هانئ يقول: سمعت محمد بن يوسف يقول: سمعت عباس الطامدي وقد اعتل أياماً فوجدته متأسفاً فسألته فقال: أعقبتني هذه العلة ضعفاً نقص من ختماتي في الشهر ثلاثين ختمة.

حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن كوثة الأصبهاني –بمكة– قال: سمعت عباساً الطامدي يقول: سمعت حسين بن الفرج يقول: سمعت ابن المبارك يقول: إن كان الفضل في الجماعة فالسلامة في الوحدة.

حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبد الله خلة الصفار، حدثنا محمد ابن يوسف الصوفي، حدثنا العباس بن إسماعيل الطامدي، حدثنا مكي بن إبراهيم بن موسى بن عبيدة الربذي، عن محمد بن كعب القرظي قال: قرأت في التوراة –أو قال في صحف إبراهيم الخليل– فوجدت فيها: يقول الله يا ابن آدم ما أنصفتني خلقتك ولم تك شيئاً وجعلتك بشراً سويا، خلقتك من سلالة من طين فجعلتك نطفة في قرار مكين، ثم خلقت النطفة علقة فخلقت العلقة مضغة فخلقت المضغة عظاماً فكسوت العظام لحماً ثم أنشأتك خلقاً آخر. يا ابن آدم هل يقدر على ذلك غيري؟ ثم خففت ثقلك على أمك حتى لا تتبرم بك ولا تتأذى، ثم أوحيت إلى الأمعاء أن اتسعي، وإلى الجوارح أن تفرقي، فاتسعت الأمعاء من بعد ضيقها، وتفرقت الجوارح من بعد تشبكها. ثم أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك من بطن أمك فاستخلصك على ريشة من جناحه فاطلعت عليك فإذا أنت خلق ضعيف ليس لك سن يقطع ولا ضرس يطحن فاستخلصت لك في صدر أمك عرقاً يدر لبناً بارداً في الصيف حاراً في الشتاء، واستخلصته لك من بين جلد ولحم ودم وعروق، ثم قذفت لك في قلب والدك الرحمة وفي قلب أمك التحنن، فهما يكدان عليك ويجهدان ويربيانك ويغذيانك، ولا ينامان حتى ينومانك. يا ابن آدم، أنا فعلت ذلك بك لا لشيء استأهلت به مني، ولا لحاجة استعنت بك على قضائها. يا ابن آدم، فلما قطع سنك وطحن ضرسك أطعمتك فاكهة الصيف في أوانها وفاكهة الشتاء في أوانها، فلما أن عرفت أني ربك عصيتني فادعني فإني قريب مجيب، واستغفرني فإني غفور رحيم.

زكريا بن الصلت

ومنهم زكريا بن الصلت، له الورع الوثيق والقلب الرفيق، مشهور بالتعبد والاجتهاد، والتوحد والانفراد.

وكان يقول: ما شافع أشفع للرجل المذنب من الخدمة لرب العالمين.

وكان يقول: من نظر إلى مبتدع بعينه فقد أعان النظر على العمى، ألا فجنبوا أشفار العيون بالإغماض عن نظر المبتدعين.

حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن العباس بن أيوب، حدثنا زكريا بن الصلت، حدثنا عبد السلام بن صالح، حدثنا عباد بن العوام، حدثنا عبد الغفار المدني، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله عند كل بدعة تكيد الإسلام وأهله من يذب عنه ويتكلم بعلاماته فاغتنموا تلك المجالس بالذب عن الضعفاء، وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا .

تفرد به عبد الغفار عن سعيد وعنه عباد.

الأخوان عبد الله وهمام

ومنهم الأخوان أبو بكر عبد الله وأبو عمرو همام ابنا محمد بن النعمان بن عبد السلام. ورثا العلم والعبادة عن أسلافهما المشهورين. الغالب على أبي بكر القدوة والرواية، وعلى أبي عمرو العبادة والرعاية. حالهما في العلم والنسك مشهور، وفضلهما في الناس منشور.

حدثنا جعفر بن معبد، حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان، حدثنا فروة بن أبي العراء، حدثنا علي بن مسهر، عن يوسف بن ميمون، عن عطاء، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحب أن يسبق الدائب المجتهد فليكف عن الذنوب .

غريب تفرد به يوسف عن عطاء.

حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن عمر القرظي، حدثنا همام بن محمد ابن النعمان، حدثنا العباس بن يزيد بن فضيل، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلمتان خفيفتان على اللسان ثقليتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

محمد بن الفرج الودنكاني

ومنهم المعد في الأبدال، المثبت في الأحوال، كانت دعوته مجابة، صحب أبا عثمان الرازي، سعيد بن العباس أبو بكر محمد بن الفرج الودنكاني. كان الجهاد والرباط ميسراً له. كان من دعائه: اللهم اقبضني في أحب المواطن إليك. فخرج إلى طرسوس ثلاث مرات فمات بها سنة أربع وثمانين ومائتين.

حدثنا أحمد بن جعفر بن معبد، حدثنا أبو بكر محمد بن الفرج، حدثنا محمد بن عاصم بن عمرو أبو الأزهر الصواف البصري، حدثنا أبو عاصم عمرو ابن عثمان بن مقسم، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما عمل أحب إلى الله من جهاد في سبيله وحجة مبرورة متقبلة لا رفث فيها ولا فسوق ولا جدال .

حديث غريب من حديث نافع لا أعلم رواه عنه إلا عثمان.

حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله، عن ممشاد، حدثنا أبو بكر محمد ابن الفرج، حدثنا عبد الجبار –يعني ابن العلاء– حدثنا مروان –يعني ابن معاوية– عن أبي يعقوب، عن الوليد بن العيزار، عن أبي عمرو، عن عبد الله بن مسعود قال قلت: يا رسول الله: أي الأعمال أقرب إلى الجنة؟ قال: الصلاة على مواقيتها. قلت: وماذا يا نبي الله؟ قال: بر الوالدين. قلت: وماذا يا رسول الله؟ قال: الجهاد في سبيل الله .

سمعت أبا محمد بن حيان يقول حدثنا جدي محمود بن الفرج قال: أملاه علي، حدثنا أبو حجر، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: مرض أبي بن كعب مرضاً فبعث النبي صلى الله عليه وسلم طبيباً فكواه على أكحله .

سمعت أبا محمود يقول وحكى، عن جده محمود، قال: سمعت أبا عثمان سعيد بن العباس يقول: إذا تواضعت فقد أدركت جميع الفضائل، وإذا حفظت لسانك فقد حفظت جميع جوارحك، وإذا أخلصت الأعمال، فقد أحكمت جميع عملك.

ابن معدان

ومنهم ذو القلب الرجيف واللب الثاقب الحصيف والنفس الذائب النحيف، عرف ماله عظيماً فخنع وخضع، وراقبه عليماً فخشي وخشع، ولاحظه كريماً فرضي وقنع، فابتهل إليه مستغفراً ومفتقراً، ولامح صنائعه معتبراً. وتنصل إليه من زلله وهفواته معتذراً، موقناً أنه على قبوله مقتدر. أبو عبد الله محمد بن يوسف بن معدان المعروف بالبناء. كان للآثار حافظاً ومتبعاً، له التصانيف في نسك العارفين ومعاملة العاملين.

صفحة : 1947

سمعت أبا محمد بن حيان يقول: كان محمد بن يوسف ممن يقال إنه مستجاب الدعوة، وكان رئيساً في علم التصوف، صنف في هذا المعنى كتباً حساناً، رأيته وسمعت من كلامه قال: اعلم أن قلوب العمال من أهل المعرفة بالله على أربع منازل: قلب مع الله، وقلب في ملك الله، وقلب في التمييز، وقلب في المكابدة. فأما القلب الذي مع الله فعلامته المناجاة والاشتغال بالله، وأما القلب الذي في ملك الله فمرة يجول في الجنة ومرة يجول في النار، والصراط والحساب والميزان والعرض، وأما القلب الذي في المكابدة فهو الذي يرد على الشيطان خوف الفقر وهو مشغول بتصحيح الكبيرة. فهذه الأربع المنازل منازل العقلاء. والخامس قلب النقمة الشيطان.

سمعت أبي يقول: سمعت أحمد بن جعفر بن هانئ يقول: سمعت محمد بن يوسف يقول: أسباب المعرفة أربعة: حصافة العقل، وكرم الفطنة، ومجالسة أهل الخبرة، وشدة العناية.

وبسبب هذه الأمور الأربعة الرحمة. ومن أقرب الأمور إلى الرحمة التبرؤ من الحول والقوة، والمعرفة بأن التبرؤ منه، والمعرفة أيضاً هبة. ومن أفضل الأشياء العلم. والمبتغي من العلم نفعه، فإذا لم ينفعك فحمل تمرة خير لك من حمل ذلك؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعاذ منه فقال: أعوذ بك من علم لا ينفعك . وقال: خير العلم ما نفع . والعلم يصاب من عند المخلوقين والنفع لا يصاب إلا بالله ومن عنده، ومنفعة العلم طاعته، وطاعته منفعته، والعلم النافع هو الذي به أطعته، والذي لا ينفع هو الذي به عصيته.

وكان يقول: قلوب العارفين مساكن الذكر وأفضل الأعمال رعاية القلب، والذكر غذاء القلب.

وقال: همم العارفين تعالت عما فيه لذة نفوسهم واتصلت همومهم بما فيه المحبة لسيدهم، لأن الله تعالى معناهم ولدى الله مثواهم.

وكان يقول: من آمن بالقدوم على معطي الخزائن والهدايا قبل ملاقاته.

وقال: إذا كسى الله القلب نور المعرفة قلده قلائد الحكمة، ومن كان الصدق وسيلته كان الرضا من الله جائزته.

وقال: إن من التوفيق ترك التأسف على ما فات والاهتمام بما هو آت. ومن أراد تعجيل النعم فيكثر من مناجاة الخلوة.

حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن يوسف بن معدان الصوفي، حدثنا عبد الله بن محمد السندي –الأسدي بطرسوس– حدثنا عبد الله ابن نمير، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما حق امرئ مسلم أن يبيت ليلتين وله شيء يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عنده .

حدثنا أحمد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا عبد الله، حدثنا ابن نمير، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة ربه كان له الأجر مرتين .

حدثنا أحمد، حدثنا محمد، حدثنا إبراهيم بن سلام، حدثنا يحيى بن سليم، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الحيات التي تكون في البيوت .

حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الواعظ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن معدان، حدثنا أبو صالح محمد بن زنبور، حدثنا الحارث ابن عمير، عن حميد، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تصدقوا فإن الصدقة فكاككم من النار .

حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن محمد، حدثنا محمد بن يوسف بن معدان، حدثنا نصر بن علي الجهضمي، حدثنا النعمان بن عبد الله، حدثنا أبو ظلال، عن أنس، قال: قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: بخل الناس، قالوا: يا رسول الله بم بخل الناس؟ قال: بالسلام
.

أبو الحسن بن سهل

ومنهم المحبر بالوصل، المحفوظ في الفضل، أبو الحسن علي بن سهل. كان للحق مجيباً واصلاً، وعن النفس مغيباً راحلاً.

سمعت أبا حامد أحمد بن رستم يقول: كان علي بن سهل ممن أيد على مخالفة النفس فارتاض نفسه رياضة هذبها بعد أن كان منشؤه نشء المترفين هائماً عن الخلق مشغولاً، وفيما يعانيه محمولاً.

صفحة : 1948

سمعت أبا عبد الله أحمد بن إسحاق الشعار يقول: سمعت علي بن سهل يقول: ما احتكمت قط إلا بولي وشاهدين. وسمعت أبا حامد وأبا جعفر المحلاوي يقولان –وكانا من أصحابه– قالا قال علي بن سهل: استوى على الشوق فألهاني عن الأكل، وقطعني عن العمل في ابتداء أمري، فرأيت في بعض الليالي في غفوتي أني دخلت الجنة فرأيت قصراً عظيماً رفيعاً، فقلت لمن هذا القصر؟ فقيل لمحمد بن يوسف، ثم أفضيت إلى قصر آخر مثله فقلت: لمن هذا؟ فقيل لي لك يا أبا الحسن، فاطلعت على لعبة غلب ضوء وجهها كل شيء فنظرت إليها فأدبرت وهي تقول: أنت لا ترغب فينا. وإذا أنا بصوت ما سمعت نغمة أشجى ولا أحزن منه وهي تقول:

مقيم للجـليل بـكـل قـلـب على الرضراض للخطر العظيم فظننت أنها تعنيني. وكان رحمه الله له الحال المكين، والبيان المبين.

فقد حدثنا علي بن هارون –صاحب أبي القاسم الجنيد بن محمد– قال: قرأت ما كتب به علي بن سهل إلى الجنيد في خطابه وصدر كتابه: توجك الله تاج بهائه وحلاك حلية أهل بلائه، وأودعك ودائع أحبائه، وجعلك من أخلص خلصائه، وأشرف بك على عظيم بنائه، وهداك وهدى بك إلى كل حال مع ما يرده عليك من دوام الإقبال، وحباك مع ذلك بالوصل والاتصال. لتكون يا أخي لديه رضي البال، ورفعك يعلوه على كل حال.

سمعت أبي وعنده أصحاب علي بن سهل أنه كان يقول: ليس موتي كموتكم بالأعلال والأسقام، إنما هو دعاء وإجابة، أدعي فأجيب. فكان كما قال. كان يوماً قاعداً في جماعة فقال: لبيك ووقع ميتاً، رحمة الله عليه وعلى أموات المسلمين.

حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا علي بن سهل الصوفي الأصبهاني، حدثنا ابن مهدي، حدثنا علي بن صالح –صاحب المصلى– حدثنا القاسم بن معن، عن حميد الطويل، عن أنس بن

مالك. أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. قلت يا رسول الله أنصره مظلوماً كيف أنصره ظالماً? قال: ترده عن الظلم فذاك نصرة منك له .

أحمد بن جعفر بن هاني

ومنهم المملوء من المعاني، المكلوء من التواني، أحمد بن جعفر بن هاني. كان له الأحوال الرفيعة، والاستدلال بالأعمدة المنيعة، المتفكر في البراهين والآيات، والمعتبر بالمنصوب من الأدلة والعلامات. كان شأنه السباق والبدار، مرتقباً لموارد القلوب من التحف والأنوار. سمعت أبي يقول: سمعت أحمد بن جعفر يقول لا يأتي العبد المعونة من مولاه وهو يعتمد على غيره ووالاه. وإذا ناصح العبد مولاه في معاملته ألبسه خلعة من خلعه تظهر عليه نوره ومشاهدته. ومن لم يحكم فيما بينه وبين مولاه التقوى والمراقبة حجب عن الكشف والمشاهدة، ومن آثر مولاه حماه من رجس الدنيا ولم يكله إلى غيره.

وكان يقول: من كانت الدنيا طريقه إلى الجنة نصب له منار الدلالة لئلا يضل عنها.

وقال: إذا سكنت الخشية في القلب رأى علم التوفيق في الجوارح.

حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن جعفر بن هاني، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، عن أبي مسهر، عن الحكم بن هشام، عن يحيى بن سعيد، حدثنا أبو قرة، عن أبي خلاد –وكانت له صحبة–، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهداً في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة .

حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن جعفر، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا عبد الله بن سابق، حدثنا موسى بن طريف. قال: جاء عيسى بن مريم إلى رجل نائم فقال له عيسى: قم. فقال له الرجل: قد تركت الدنيا لأهلها. فقال له عيسى: نم مكانك إذاً.

محمد بن الحسين الخشوعي

ومنهم المزين بالخشوع، الممكن للخضوع، كانت العبادة حرفته، والتلذذ بالعبرة شهوته، له الكلام البليغ في تأديب النساك والعباد، تخرج به جماعة من السباق والرواد. منهم أبو الحسن علي بن أحمد بن المرزبان الأسواري وطبقته، وسليم بن عبد الله بن المرزبان أبو بكر الواعظ وشيعته، وبعدهما من المذكورين والمشهورين عبد الله بن محمد بن صالح، وأبو عثمان بن أبي هريرة، ومن نحا نحوهم في النسك والعبادة، تمسكوا بالشرع المشروع، والمنهج المتبوع. اقتدوا بالآثار، وتخلقوا بأخلاق العباد والأبرار، من الصيام الدائم، والقيام اللازم، والقلب الفارغ الهائم. أبو عبد الله بن الحسين الخشوعي.

فمما نقل عنه من كلامه أنه كان يقول: حياة الصديقين في المراعاة، وروح حياتهم القدوة والاقتداء بأوامر الأنبياء وأحوالهم، وحياة أرواحهم بالطاعة وذوق تصحيح سلوك سبيل الأئمة، وتواتر اللطف والمبار.

وكان يقول: من لزم الخدمة ورث منازل القربة، ومنازل القربة تورث حلاوة الأنس.

حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الواعظ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن الحسين الخشوعي، حدثنا جعفر بن أمية، حدثنا محمد بن أيوب الرازي، حدثنا الأصمعي، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم بن أبي النجود قال: همان لابد للمؤمن منهما: هم المعاش وهم المعاد.

حدثنا أبو مسلم محمد بن إبراهيم الغزال –في داره قراءة عليه– قال حدثني محمد بن الحسين الخشوعي العابد، حدثنا الحسين بن عبد الله بن الحسن، حدثنا أبو بكر بن خلاد، حدثنا يحيى، حدثنا عبيد الله، عن نافع، عن صفية، عن بعض أزواج النبي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أتى عرافا يسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة.

ذكر المشهورين بالعبادة من أهل الشام ومن المشهورين بالنسك والعبادة من عباد الشام واقتصرنا على تسميتهم. فمنهم: عامر بن ناجية. والحسن بن محمد بن مزيد، لقى ذا النون، وأحمد بن أبي الحواري. والحسن بن علي بن سعيد أبو علي السنبلاني، يعد من الأبدال. وزيد بن بندار البجائي أبو جعفر، صام هو وابنه وامرأته أربعين سنة. ويسار بن مسهر من العباد. ومحمد بن جزي العابد. ومحمد بن العباس بن خالد. وأبو عبد الله المحدث. ومحمد ابن عيسى بن يزيد السعدي. وأبو بكر الطرسوسي. ومسعود بن يزيد. وأبو عمران موسى بن إبراهيم الصوفي. وعمر بن عبد الرحيم بن شبيب المقري. وعبيد الله بن أحمد بن عقبة المحدث. ومحمد بن الحسين الجوربي، صحب سهل بن عبد الله، كان من التعبد والاقتداء والاتباع للسلف الماضين بالمحل الرفيع.

سمعوا الآثار واستعملوها في مدى الأيام الأيام والساعات فعمروها. عدوا من البدلاء. كانت أدعيتهم مجابة، ولهم يد في قلوب الولاة مهابة.

وبعدهم طائفة تخرجوا بمحمد بن يوسف البنا، وإن كانوا اختاروا التجرد والتخلي من فضول الدنيا ورفضها، وحذف العلائق والعوائق ونبذها، ومداومة التشمير والاستباق.

ومنهم أبو عبد الله الصالحاني الفقيه. وأحمد بن جعفر القطان. وأحمد بن ميمون. وأبو جعفر أحمد بن قادة. وأبو بكر بن خارج. وعبيد الله بن يحيى أبو عبد الرحمن المديني. وأحمد بن محمد بن عمر بن أبان العبدي. كانوا يرجعون إلى أحوال حميدة وبيان وبصيرة.

وممن أدركناهم وأدركنا أيامهم وصحبوا محمد بن يوسف وسمعوا منه: محمد بن عبد

الرحمن بن محمد بن أحمد بن سياه المذكور. ومحمد بن جعفر بن حفص المعدل المغازلي. وأبو بكر محمد بن عبد الله بن ممشاذ المعروف بالقنديل القوال. وأحمد بن بندار بن إسحاق الفقيه الشعار. وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن الكسائي المقري. وعبد الرحمن بن محمد بن ششتاه القرمطي المؤذن، وسمعت أبا محمد بن حيان يقول وحكى له عنه حكايات وذكر أنه كان يزوره مع والده محمد بن جعفر في الجمعات وقال: سمعته يروي عن سليمان بن شبيب وعبيد الله بن يزيد أخي رستم. وأبي مسعود، ولم أكتب عنه. فلما رأى في تصانيفه روايته عن حسين المروزي وعبد الجبار بن العلاء كان يتحسر لما فاته من حديثه. هؤلاء قد صحبوه ورووا عنه الآثار.

وأما الذين تخرجوا بعلي بن سهل وأبي عبد الله الصالحاني فجماعة يكثر تعدادهم، غير أن المتقدمين الذين لهم الحال المكين: أبو بكر عبد العزيز بن محمد بن الحسن الخفاف الواعظ، وأبو بكر عبد الله بن إبراهيم بن واضح وأخوه عمر، وأبو جعفر محمد بن الحسين بن منصور وأخوه علي بن الحسين.

وختم التحقيق بطريقة المتصوفة بأبي الحسن علي بن ماشاذه، لما أولاه الله من فنون العلم والسخاء والفتوة، وسلوكه مسلك الأوائل في البذل والعطاء والإنفاق، والتبري والتعري من التملك والإمساك. وكان عارفاً بالله عالماً، وفقيهاً عاملاً، عالماً بالأصول وبارعاً في الفروع، له من الأدب الحظ الجزيل، والخلق الحسن الجميل.

رزقنا الله تعالى ما رزقهم من الإقبال عليه والانقطاع إليه، وجمعنا وإياهم بطوله في سائر أرضه وبحبوبة جنته، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

صفحة : 1950

قال المؤلف: هذا آخر ما أمليته يوم الجمعة سلخ ذي الحجة سنة اثنين وعشرين وأربعمائة.

والحمد لله وحده أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله